

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس الأول: المقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران:102]،

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء:1]،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 70-71]،

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام، نفتتح إن شاء الله الكلام على بعض الكتب التي يمكن أن تنتهي معنا بإذن الله، نسأل الله الإعانة ولا حول ولا قوة إلا بالله. تنتهي في مدة وجيزة، هنا دورة متكاملة للتأسيس والتأصيل لطلبة العلم، لا سيما وأننا في أزمنة احوج ما تكون إلى طلبة العلم الذين يتقنون مسائل العلم. وقد كفانا هامشية العلم والثقافة التي قد نزلت منزلة العلم، لذلك فإن أهل البدع الآن يتناولون علينا بقوة وشراسة لا يعلم بها إلا الله جلّ في علاه.

وما أدري العتب يكون على من؟! يعني ما يقال في الذين حقاً صدّرتهم الله تعالى معلمين لناس مؤسسين لعقائدهم الصحيحة، ما يقال عليهم شوية عيال وأيضاً يقال لا يفقهون شيئاً ما عندهم علم بالأصول!! وهذا الكلام هو يعني يقال فيمن يتصنّع العلم، لا يتقن علماً بحال من الأحوال، بل هو يتصنّع العلم. لكن من أعطاه الفرصة إلى أن يفعل ذلك، أو يقول هذا عن الذين قد اصطفاهم الله جلّ في علاه للعلم ولتأسيس العلم ولتأصيل العلم ولإتقان العلم، يعني عوّد على المنهج السديد الأصيل. وإلاّ فهذه الدعوة المباركة كان الأصل الأصيل لها هو تنشئة علماء صناعة العلماء، وهذا أصل أصيل في هذه الأمة.

الأمة إن لم تصنع العلماء، الأمة بأسرها آثمة، بل هي هالكة. لأن الأمة أناط الله نجاتها بالعلماء ولا نجاة إلاّ بهم، والله جلّ وعلا جعلها سبباً، لأن الأمور الكونية بأن الله جلّ وعلا أناط المسببات بالأسباب، فلا يمكن تجد نتائج إلاّ بمقدمات. فالنجاة بهذه الأسباب، هكذا، غير ذلك لا يمكن أن يكون طريق النجاة إلاّ بهذا، هذا أول طرق النجاة. حتى شرف الأمة وعلو الأمة ومكانة الأمة ما تعرف إلاّ بالعلماء، معروف هذا أمر ليس فيه ثمة مراجعة في هذا الباب. عامة إن شاء الله سيكون الابتداء اليوم، ونحاول قدر الإمكان في مدّة وجيزة أن ننتهي من بعض الكتب المهمة التأصيلية التأسيسية في أبواب العلم.

إشارة بإيجاز على فضل العلم وأن أشرف المجالس على الإطلاق هي مجالس العلم، وما أدري لِمَ تحارب مجالس العلم؟ المفروض على الأقل حتى لو كنا اتجهنا اتجاهات أخرى لا بد أن نحافظ على الأصل الأصيل الذي يرفعنا، والأصل الأصيل الذي يمكن لنا، والأصل الأصيل الذي به مكانتنا وهو العلم. فما أدري لِمَ مجالس العلم تحارب؟ ولِمَ مجالس العلم تعارض؟ الله المستعان، هذا عدم فقه. لكن أقول المجالس هذه هي أشرف المجالس على الإطلاق. وهي أحب المجالس إلى الله جلّ في علاه.

ولذلك أنت ترى كثير من علمائنا من السلف يقدّمون طلب العلم على كثير المسائل التي فيها ما فيها من العلو والدرجات السامية الراقية عند ربنا جلّ في علاه، كما صحح عن ابن عبد البر حديث: **مداد العلماء أعظم عند الله من دماء الشهداء**. وأيضاً كان أبو هريرة يقول بذلك، يقول: **مسألة واحدة أتعلمها من زيد بن ثابت في آية من آيات الله جلّ في علاه خيرٌ لي من سبعين سنة جهاد**. طبعاً يقصد ذلك جهاد الطلب، هذا المقصود بذلك كما قال أحمد وغيره في هذا الباب. نعم هذا الثغر بالذات، الجهاد جهادان: جهاد لسان وجهاد سنان. جهاد اللسان الذي لا ينقطع بحال، والأمة أحوج ما تكون له، لأن الضرب الفكري هو الذي يقوّض أركان الأمة.

إذا الثغر الاصيل يهاجم، الكثير من الشبان والشباب والأطفال والنساء بالأظافر. لكن عندما تهاجم الأفكار وهذا الذي يفعلونه، يعني أصلاً هم لا يريدون أي هجوم من أي باب إلا هذا الباب، باب الفكر، تقويض الأفكار الصحيحة. فهو أعظم ما يمكن أن تقدمه الله تعالى جهاداً هو هذا الباب، هو باب طلب العلم وإتقان العلم. لا سيما وأن البدعة قد أطلت برأسها على زماننا وعلى وقتنا وعلى ما نحن فيه من ضعفٍ، وهم قد التمسوا ضعفنا فضربوا عليه بقوة. وأيضاً قد تجرأوا علينا جرأة لا تعلم بها لا يعلم بها إلا الله جلّ في علاه، وما ذاك إلا منا وقد ظهر منا الضعف الذي كنا نخبئه خلف شعاراتٍ عالية، لكن التأصيل هو الذي يظهر العالم من غيره.

عامّة فضل العلم وفضل مجالس العلم يكفيننا فيه قول الله جلّ في علاه: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** [الزمر:9]، قل لا يستوون، هذه الإجابة. بل أجاب الله عنها في كثير من مواطن الكتاب يبين عدم استواء الذين يعلمون والذين لا يعلمون، عندما قال الله تعالى: **(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ)** [النساء:83]، وهذه مهمة جداً. في حوالك المسائل يرجع لمن؟ يرجع فقط لمن أعرفه أن يكون أنا خاص به فقط أم يرجع للأعلم؟!

يرجع للأعلم أصولياً، إن كان فيه خلاف أنه لو أكثر من عالم في مكان يرجع لعالم من العلماء هو مخير، وهذا خطأ بَيِّن.

الصحيح أنه يرجع للأعلم، حتى لو كان الأدنى علماً أتقى وأورع لا يرجع له، يرجع للأعلم. لو استويا في العلم، هنا ينظر فيها في فوارق التقوى والورع، لكن أصولياً لا بد أن يرجع إلى الأعلم، لأن الله جلَّ وعلا قال: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ^ط وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [النساء:83]. هو ما قال الذين يتقون، قال (يَسْتَنبِطُونَهُ) عنده الآلة التي فيها علو العلم، آلة العلم التي يتقنها فلا بد أن يرجع إلى الأعلم. وطبعاً أصالةً كما قال ابن تيمية: ولو استويا لا بد أن تبحث عن الأتقى لأن الله جلَّ وعلا يوقِّق الأتقى. كما قيل لأحمد: لم أحلتنا على فلان وفلان عنده علم مثله أو فوقه؟ قال: هذا له طرق يسد بها، بقول جلَّ في علاه: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) [الأنفال:29]. لكن الأصل أن ترجع إلى الأعلم، (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل:43]، هذا على التأصيل العام.

فهل يستون؟ لا، لا يستون. لا يستون في المكانة، لا يستون في الحال، لا يستون في النجاة، لا يستون أيضاً في الدرجات عند رب الأرض والسموات. أنت لو نظرت نظرة واحدة ترى عالم أنجاه علمه وجاهل قتله جهله، وهذا ظاهرٌ جداً في مسألة الرجل الذي قتل مئة نفس عندما ذهب للراهب. هنا الأغرار الأغمار، العوام عوام، عندما ذهب إليهم قال: دلوني على أعلم أهل الأرض. لم ينظروا لعلمه ولا إتقانه، نظروا لعبادته. لذلك قلت لك أنت وجوباً ترجع للعالم، لا ترجع إلى العابد أبداً. بل الإمام مالك صح عنه في الموطأ وفي غير الموطأ، قال: لا تأخذ العلم من أربعة، وذكر منها عابد شغلته عبادته عن العلم. مع أننا سنبيين من آداب طالب العلم أنه:

هتف العلم بالعمل *** فإن أجابه، وإلا ارتحل

الغرض المقصود، بأنه لمّا قال: دلوني على أعلم أهل الأرض. العوام لا يعرفون شيئاً، أنا أعرف أن كلامي لاذع لكن هو حق ومرارته لا بد أن تقبل، كثير من الوسط الملتزم عوام ولذلك خطأ بيّن أن يتركوا أنفسهم على هكذا وألاً يتعلموا. دعكم مما ينطلي عليكم من الكلام على أن هذا أعلم وهذا أتقن. لا، العالم علمه يدل عليه أثره بذلك عليه. ليس بالكلام، ممكن تستأجر أي شخص حتى يمدح آخر ويقول هذا أعلم أهل الأرض هذا عالمٌ نبيل. لا، علمه يدل عليه، لابد أن تعلم ذلك.

فالغرض المقصود، ردّوه إلى الراهب فلمّا سأله قال: قتلت تسعة وتسعين نفساً هل لي من توبة؟ قال: إنك لجريء، قتلت تسعة وتسعين نفساً وتريد التوبة؟! لا توبة لك. فقط أكمل به المئة، جاهلٌ قتله جهل، السبب في قتله هو الجهل. أما العالم لمّا ذهب إليه، والرجل فقيه وصادق، فقيه لأنه يعلم أنه في عظم المسائل يرجع لمن للأعلم. هذه دلالة على أنه فقيه، لأنه يبحث عن الأعلم. فلمّا ردّوه إلى الأعلم قال: ومن يمنعك من التوبة؟! ودلّه ونجا، نجا بعلمه.

حتى أنصاف حتى أنصاف طلبة العلم ما يصح تأخذ العلم من أنصاف، لا بد أن تأخذ ممن غرسه ممن قتل وقته علماً وبحثاً وإتقاناً وشهد له العلماء بذلك. لكن رجل لم تعرف عنه أنه تعلم من شيخ واحد حتى حرفاً واحداً، ومع ذلك تقول أنا ممكن أطلب العلم عليه!! ستخرج مثلاً خرج هو، لا يمكن أن تستفيد بحال من الأحوال. الغرض المقصود حتى الأنصاف، في حديث الشجرة (حسنه بعض المتأخرين، وإن كان حديث إسناده ضعيف) عندما قام الرجل كان فيه شجرة في رأسه، قام جنباً أراد الصلاة فقال: أريد الاغتسال وترون ما بي؟ انظروا عندهم شطر علم، فقالوا له: أنت واجد للماء وقد قال الله جل في علاه: **(فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا)** [النساء:43]، فقالوا: أنت واجد للماء لا بد أن تغتسل. فاغتسل فمات، فماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-؟! قال: **قتلوه قتلهم الله**، دعا عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أن معهم شطر علم هم ليسوا بجهلة.

فأنصاف العلم عندهم شطر قالوا: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا)، لا يمكن أن تتيمم إلا ألا تجد الماء. لكنهم فقدوا مسألة المناطات الذي هو التأصيل العام، أن يعرف أن فاقد الماء قد يفقده حقيقة وقد يفقده حكماً. هم لم يعلموا مسألة فقدان الماء حكماً، فاستجروا على أنفسهم دعاء أعظم الخلق قدراً وأقرب الناس استجاباً للدعاء، قتلوه قاتلهم الله.

لا يستوون بحال من الأحوال، لا يستوون، عند العودة إلى المسائل والفتن تعرف كيف لا يستوون. عندما ترجع لمن لا يدرك، لمن لم يعرف مناطات المسألة، لا بد فتواه تضع أمة. وإذا رجعت لعالم نبيل له الرأس وله الإتقان لا بد أن تنجو الأمة بحال من الأحوال، ولك في الفتن كثيرة كما سنبين في هذا الباب. عامة قال الله جلّ وعلا: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر:9]، هذا تشويق وأيضاً تهيج لمشاعر الناس حتى يرتقي أهل العلم إلى منزلتهم ودرجتهم العالية التي أناط الله نجاة الأمة بها.

أيضاً قول الله جلّ في علاه: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران:18]، "شَهِدَ اللَّهُ" هنا على أشرف مشهود. (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وجعل الناس فريقين فريقاً في الجنة وفريق في السعير، قضية الكون الكبرى. قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]. فشهد عليها على أشرف مشهود، ثم تثى في الشهادة بالملائكة أشرف الخلق على الإطلاق.

وطبعاً هناك خلاف بين العلماء الملائكة أعظم قدراً أم صالحى البشر أعظم خلقاً؟ وإلا فهناك اتفاق على أن الانبياء يتقدمون على الملائكة، الأنبياء أفضل من الملائكة، وهذا عند أهل السنة والجماعة. المعتزلة عندهم بعض الفروقات التي يتكلمون بها. والخلاف بين العلماء من أفضل؟ صالحو البشر أم الملائكة؟ وطبعاً سادة صالحو البشر العلماء، صالحو

البشر هم أولياء الله. ولذلك يقول الإمام أبو حنيفة يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم:-
قال الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، فقال: لو لم يكن الفقهاء هم أولياء الله
فليس لله ولي. والشافعي قال ذلك، قال: العلماء هم أولياء الله، فإن لم يكن العلماء فلا أعلم لله
ولياً.

ونحن لا ندعي للعلماء العصمة بحال من الأحوال، لهم الزلات والسقطات والهنات. لكننا كما
قال سعيد بن المسيب بالمقياس الصحيح وهو: نحن نقيس الناس بالغالب، كما قال الشافعي
في أصول الرسالة قال: تمحيض الخير لا تجده وتمحيض الشر لا تجده. تمحيض الخير لا
تجده إلا في الملائكة (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم:6]،
وتمحيض الشر لا تجده إلا في إبليس أو غير إبليس. وإبليس حتى تمحيض الشر فيه أنه شر
نسبي إضافي، لأنه به خير (لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [الأنفال:37]. وحتى كل كافر، لن
تجد تمحيض الشر فيه. فلذلك هو قال: المسألة على الغالب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم:- كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

فهنا الملائكة، ثم بعد ذلك تلت بأهل العلم. وهذه منقبة ليست بعدها منقبة، أن الله جلّ وعلا
أشهدهم على توحيده سبحانه جلّ في علاه. هم على الله أدلاء، أعظم مكانة لهم ذلك. لذلك في
سند صحيح ابن عيينة كان يقول: أشرف الناس وأحسن الناس على الإطلاق الواسطة بين
رب الناس وبين الناس. الأنبياء المرسلون وورثة الأنبياء والمرسلين، وورثة الأنبياء
والمرسلين هم أشرف الناس وأعظم الناس مكانة. ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:-
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وهذا منطوق دائماً كنا نسمعه حتى من مشايخنا؛ منطوق
ومفهوم. المنطوق كتب الله النجاة والخيرية لمن تفقه في الدين، إذاً مفهوم المخالفة من لم
يتفقه ما أراد الله به خيراً.

من مات بالجهالات التي يعيش بها، هذا ما أراد الله به خيراً، في كل أحواله ما أراد به خيراً، والله لو نجا يوم القيامة قد سقط منه الخيرات لا الخير الواحد. لأنه كما قال ابن عباس: يأتي كل انسان يوم القيامة وبه حسرة، يتحسر الراقي على منزلة كاد يرتقي إليها بحسن فاتت منه. فاتت منه لجهل، فاتت منه جهالة، وأما الآخر فيكون في أدنى الدرجات ويرى من هو فوقه كما يرى النجم في السماء فيتحسر على ذلك. هنا النبي صلى الله عليه وسلم- يبين أن الله جلّ وعلا أناط الخيرية بالفقه في الدين، ولذلك المفهوم كل من لم يتفقه في الدين فلا خير فيه، وهذا الذي قاله علماؤنا.

لذلك علي بن أبي طالب قال: الناس ثلاث: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعا. لا تقسيم فوق هذا التقسيم، وعلي بن أبي طالب سنة متبعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ. وعلي بن أبي طالب سنته متبعة، وهذا الذي قسم الناس تقسيماً لا يمكن أن تقول إن أحد يتفوق على هذا التقسيم من كلام علي بن أبي طالب، وقد ورد عن معاذ وعن ابن مسعود وعن زيد وعن غير هؤلاء بنفس التقسيم. ابن مسعود قال: كن عالماً أو متعلماً، وزاد واحدة فقال: أو محباً لأهل العلم. لم؟ هذا أيضاً زيادة فقه، لحديث أنس الذي سَعَدَ به: المرء مع من أحب.

لترى هذه المسألة حتى ولو كنت تدافع عن شيخ معين فتبغض الآخر من أجل هذا الشيخ الآخر، أنت فيك دخن ليست الخيرية فيك. لأن الإمام ابن تيمية قال: اسوأ القلوب قلباً على الإطلاق القلب الذي يحمل على أهل العلم، لأنه بالحق أنه لم يأخذ وصية النبي صلى الله عليه وسلم-، فهو يرتقي بعدها إلى أن يحمل على الأنبياء والمرسلين. فلذلك ابن مسعود قال: كن عالماً أو متعلماً أو محباً لأهل العلم، ولا تكن الرابعة فتهلك. على مشارف الهلكة، الجهل قرين الهلاك، فلذلك قال: من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين.

وأيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما أراد أن يبيّن البون الشاسع والفرق الواسع بين العابد وبين العالم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **فضل العالم على العابد كفضلي أنا على أدناكم**، قال (وهذا في سنن أبو داود بسند صحيح): **وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**، شتان شتان بين القمر وبين سائر الكواكب. وقد قال أبو الدرداء: **العلماء نجومٌ في السماء**، أنا كثيراً ما قلت هذا الأثر وأعتز به جداً بسند صحيح عن أبي الدرداء لأنه موافق لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **النجوم أمانة السماء**. فيقول أبو الدرداء: **العلماء نجوم السماء**، أبو الدرداء كأنه يقول إن العلماء هم أمانة السماء يعني أمانة لهذه الأمة. وهذا صحيح لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **النجوم أمانة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعد**.

والوكيل ينزل منزلة الأصيل، الوكيل هو العالم والأصيل النبي -صلى الله عليه وسلم-. النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **وأنا أمانة لأصحابي**، إذاً الوكيل ينزل منزلة الأصيل في هذه الأمانة فيكون أمانة لهذه الأمة. لذلك صح القول عن أبي الدرداء أنه قال: **العلماء نجوم السماء**. وأيضاً أقول من فضل طلب العلم، كفى بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم بما يصنع، ومن سلك طريقاً فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة**. هذا أقصر الطريق إلى الجنة، وإن كان الطريق شاقاً جداً جداً وعرّاً جداً، لأن الله يختبر كثيراً صبر طالب العلم، هل يصبر حقاً أم لا؟

ما الذي جعل طلبة العلم الذين يحبون العلم الكثر، أنهم يخرج منهم اثنين ثلاثة أربعة؟ عدم الصبر على الطلب، ما عندهم صبر. العجلة الشديدة عندهم تجعل لا يظفرون بالخير، والعلم هذا المشكلة الكبيرة فيه أنه لا يظهر أثره إلا بعد زمنٍ طويل، لا يظهر أثره إلا بعد صبرٍ طويل. فالله يختبر صبر العلم حتى تظهر الثمرة، لأن اللؤلؤة الثمينة لا يأخذها أي أحد، لا يستطيع أن يخطفها ويذهب. كما يفعل كثير من الناس الآن يخطفون، يلبسون ثوب العلماء،

ولكن الثوب يكون واسعاً جداً لا بد أن يسقط وحده أو يسقطه الآخرون. **والمتشبع بما لم يعط**
كلابس ثوبي زور، فلا بد للإنسان أن يعلم مكانه ويعلم قدر ما هو فيه وقدر ما وضع الله في
هذا الطريق.

لا سيما أنني أذكر نفسي والإخوة بأنه إذا أخذ الله بيدك فوضعك في طريق الطلب، صار
فرض عين عليك. أنت من الخارج هو فرض كفاية، فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن
الآخرين، لكن إذا ولجت أنت صار فرض عين عليك. وما الفرق؟ تعرفون أصل العلم
التصوّر الصحيح، أي علم حتى حفظ الأسانيد. كان الشيخ أحمد شحاتة -جزاه الله خيراً-
عندما يبين شجرة الإسناد كان يقول ذلك أيضاً، يقول: تصوّر الشجرة لعلك تحفظها. أنا أقول
بالضبط كل علم، العلم فيه التصوّر، تصوّر العلم يجعلك تتقن العلم جداً.

أصور مرة أخرى: هذه دائرة العلم، عندي اثنان. ما الفرق بين هذا وبين ذاك؟ الأحمر زيد
طالب العلم أين موضعه من دائرة العلم؟ في الخارج. الاثنان في الخارج لا يلزم واحد منهما
الطلب، يلزم على الإطلاق ثلاثة أربعة خمسة، يلزم واحد منهم أن يطلب العلم حتى ترتكز
الأمة. لأنه لا يمكن للأمة أن تخلو من العلماء، إذا خلت الأمة من العلماء فاعلم أن قيام
الساعة قد آن.

والدلالة على ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين: **لا تقوم الساعة حتى**
يُرفع العلم ويظهر الجهل. هناك لفظة عظيمة في هذا الحديث، يُرفع العلم هو ظهور الجهل،
فلمَ يقول ويظهر الجهل مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوتي جوامع الكلم ويعيب العرب
في الكلام على تكرار؟ فهناك تأسيس لا يمكن أن يكون تكرار، النبي -صلى الله عليه وسلم-
يقول: **لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل**. يظهر الجهل هذه ليست تأكيداً من رفع
العلم، هذا أمر آخر أجنبي هو الجهل المركب وصاحب الجهل المركب هذا يظهر للناس على

أنه عالم. والساحة بأسرها فيها أكثر من هؤلاء ممن يتكلم في علم وهو لا علم له، علمه علم مغلوطة، ليس بعلم بحال من الأحوال. حقاً هذا أسوأ ما يكون في الأمة الآن، لذلك قال النبي محدّراً: **لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل**، وهو الجهل المركب لأن الجهل البسيط سهل أن ترفعه.

لذلك أنا أقول دائماً إذا عندك إناء ممتلئ كيف تملأه؟ أتملأه وتصب عليه ماءً أم زيتاً أم العصير؟ ماذا يقبل؟ ممتلئ ماذا يقبل؟ لا يقبل شيئاً لأنه ممتلئ. نفس الأمر، الجهل المركب عنده جهل تام يحسبه علماً، فهو ممتلئ. كل ما تملأ يقول لك ما أريد، حتى يتكبر عليك يقول لك أنت أهل بدعة وهو مبتدع ضال. فهو ممتلئ أصالةً، فلا يمكن أن تملأه. هذا العناء فيه أشد، لم؟ لا بد من مرحلتين: المرحلة الأولى التخلية، ثم بعد ذلك تملؤه. لكن الذي جاءك جاهزاً تملأ وينتهي ويستقيم الأمر به. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل**.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **وإن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يبق عالمٌ (وفي رواية أخرى: لم يُبقي عالماً) اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا. حينما ضلّوا وأضلّوا إذا تقوم الساعة، وهذا الذي قاله ابن مسعود عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم- في حديث أنس: لا يأتي زمان إلّا والذي بعده شرٌّ منه، قال: لا أقول أمير شرٌّ من أمير. انظر إلى عمق المسألة أين الشر؟ وحتى ابن تيمية يحتج بحديث وحديث فيه ضعف، لكن نستأنس به، يقول: قلوب الولاة بيدي، فأنتم تقربوا إليّ وأنا ألين قلوبهم عليكم. ارتباط كوني في المسألة، من نظر إلى اعتقاد السلف أراح واستراح ولم يصل إلى الهلاك بحال، إلّا ان يتعرج عن هذا الطريق القويم. فالغرض المقصود قال ابن مسعود: لا أقول ولي شرٌّ من ولي، ولا أقول جذب شرٌّ من جذب، أقول يذهب العلم ويترأس الجهّال، هنا زمانٌ شرٌّ من زمان.**

شر ما يكون أن يتصدر من لم يتأهل، أو أن تخفي من كان أحقيته التقديم وتؤخره وتقدم من أحقيته التأخير. لذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **من استعمل أحداً وغيره أحق منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**، هذا في مسند أحمد وإن كان الإسناد فيه ضعف. لكن بسند صحيح عن عمر بن الخطاب قال: **من استعمل أحداً وغير أحق منه أو حفظ الله منه فلا يزال أمرهم في سفال**، هذه مسألة من الأهمية بمكان هي مسألة العلم ومسألة العلماء وأن النجاة لا تكون إلا بالعلماء. إذا علمت أنه لا علماء، اعلم أنه قد قامت الساعة وأن الساعة على مشارف القيام لأن الله تعالى أقام الدنيا بوجود العلماء الذين يدلون الناس على الله جلّ في علاه. نسأل الله جلّ في علاه أن يجعلنا جميعاً منهم، خير الناس الواسطة بين رب الناس وبين الناس.

السؤال الذي يطرح نفسه قبل أن نبدأ في الكتب ما حاجة الناس إلى العلم؟ فأنا أقول قول الإمام أحمد في الشافعي إجابة وإن كان قد أجاب هو أيضاً على الإطلاق. قول الإمام أحمد في الشافعي، قال: **الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن، هل تجد لهما من خلف؟** هكذا العلم. لذلك قال أحمد بن حنبل: **حاجة الناس للعلم أشد من حاجتهم للماء وللواء، حاجة ناس لأمر:**

- الأمر الأول: النجاة من الفتن

إذا ادلهم الخطب واشتد الكرب والفتن أتت تترأ تتتابع وتتابع، يعني تهلك وتفتك وتقتل، فلا بد للإنسان أن يبحث عن النجاة. وطوق النجاة العلماء، ظلمات الفتن لا يبدها إلا العلماء. أعرج عليه سريعاً هكذا، لو نظرنا فتنة الدجال، الفتنة الأخيرة وثم نتكلم عن الفتن السابقة. وما زلنا في فتنة لا يعلم بها إلا الله جلّ في علاه، لا خروج منها إلا بالعلماء، هكذا المسببات منوطة بالأسباب.

فتنة الدجال الخروج منها بالعلم. هناك فتنة أعظم من فتنة ان يحيى ويميت؟! لو وجدت أحداً قد أحيأ وأمات، هناك فتنة أكثر من هذه الفتنة؟! فتنة أشد من أن يحيى ويميت؟ هذه أشد فتنة. لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **ما من فتنة أعظم من يوم خلق آدم إلى آخر الزمان إلا فتنة الدجال**. يحيى ويميت، هو قتل الرجل فأماته. وهو قال لمن يتبعه: أرأيتم لو أمته وأحييته أمامكم، أتؤمنون بي رباً؟ قالوا له: نعم. فقتله ثم ناداه، شقه شقين ومشى بين الجزلتين ثم ناداه، فقام متهللاً فرحاً، فغاصوا هم وآمنوا به رباً. ماذا فعل هو؟ ازداد بصيرة، العلم. هو أول ما رآه ابتسم، قال: أنت الدجال الأعور، أنت الذي وصفك لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. بالعلم، علم أن مكتوب بين عينيه كافر، فلما قتله قام متهللاً فقال: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة. ولذلك جاءت الآلة بسرعة أنه لما أراد قتله مرة ثانية ما استطاع، فالنجاة من العلم.

هذه النجاة لا تأتي إلا بعلم، أنت أصالة لو لم يكن عندك علم والدجال أمام عينك لا يمكن أن تعرف من الدجال ولا فتنة الدجال، وممكن أن تستشرف لهذه الفتنة فتأخذك. لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **من استشرف الفتنة استشرفته، أهلكته، ولذلك قال: من سمع بالدجال فليناً عنه**. فلا بد أن يكون عالماً ويعلم أن هذا الدجال فينأى عنه، يفر منه فراره من المجزوم، فالنجاة من الفتن لا تكون إلا بالعلم.

حتى النجاة من فتنة مشتبكة، (حتى الإخوة تفهم هذه من الإشارة، والإشارة تغني عن العبارة ولعل الناس يفهمون)، فتنة مشتبكة بين صلحاء وبين أناس عندهم علم، فتجد أن الفتنة معهم فتنة مشتبكة، النجاة فيها لا تكون إلا بالعلم.

طلحة - الزبير - عائشة؛ هؤلاء الثلاثة كما تقول في هذا الزمان فرسان الزمان:

طلحة الخير؛ وهو من السابقين بالإسلام الذين آمنوا على يد أبي بكر. طلحة الخير الذي بشره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، من العشرة المبشرين بالجنة. طلحة من الستة

الذين هم من الشورى، طلحة الخير له ما له من إتقان العلم، له ما له من سابقة الخير، له ما له من التوفيق، طلحة بن عبيد الله أبو محمد.

الزبير؛ حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أيضاً من العشرة المبشرين بالجنة. من السابقين إلى الإسلام، وهو أيضاً من الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. في الشورى.

عائشة رضي الله عنها وأرضاها، عائشة حبيبة النبي صلى الله عليه وسلم، زوجته في الدنيا وفي الآخرة. هي أعلم النساء العالمين على الإطلاق، كما قال الذهبي في ترجمة عائشة: **وعائشة هي أعلم نساء العالمين على الإطلاق.**

ومع ذلك كان معها ومع الثلاثة في خروجهم على علي بن أبي طالب فتنة، وبعضهم قال ليس بفتنة هذا طلبٌ لدم عثمان رضي الله عنه وأرضاه. لكن العلم يفصل. إذاً المسألة مشتبكة، فلما كانت مشتبكة ذهبوا يحجّون اثنين: ابن عمر وأبا بكر.

لما ذهبوا يحجّون ابن عمر وقالوا له قولاً فصلاً: ألا تقاتل (يعني مع علي بن أبي طالب، المفروض أن علي بن أبي طالب كان الحق معه). قالوا له: ألا تقاتل، أما قال الله تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)** [الأنفال:39]؟ قال: **يا هذا قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنتم تقاتلون تريدونها فتنة.** ابن عمر خرج منها بهذا العلم، ما استطاع أن يرد عليه الحجة. أما أبو بكر، قالوا له: طلحة والزبير وعائشة. قال: لا والله لا أخرج. قال: ولم؟ قال: **لأمرين: قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا التقى مسلمين بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، واحدة.** ثم قال في الثانية (إتقان العلم): من عليهما؟ قالوا: عائشة. قال: **قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لن يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة.** ما الذي جعله ينجو؟ العلم، حفظ هذا الحديث. فتنة عمياء كانت تضرب بالصحابة.

فاطمة سيدة نساء العالمين، ابنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي سيدة نساء العالمين طبعاً (***) لها النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، فاطمة لها ما لها من المكانة الراقية العلية. جاءت لأبي بكر رضي الله عنه وأرضاه- ومعها علي بن أبي طالب وحولها آل البيت. انظر حجة، لذلك أنا أقول أطاح الله بأبي عقل يعارض السنة، حجة بليغة لأنها ما عندها السنة. قالت له: يا أبا بكر إن مت من يرثك؟ قال: أهلي وأولادي. الحجة عليه من كلامه، إذاً إن مت يرثك أهلك وأولادك. قالت: فإن مات النبي -صلى الله عليه وسلم- من يرثه؟ الإجابة لا بد تكون أهله وأولاده، صحيح أم لا؟ حجة ملزمة أم غير ملزمة؟ هي حجة ملزمة، أبو بكر لا يخرج منها. شيء واحد فقط يخرج أبا بكر، أنه يعلم السنة خلاف ذلك. فلما قالت له ذلك ابتسم، قال: **قد قال رسول الله: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة.** خرج بالعلم، الفتنة أعظم ما تكون لا يخرج منها إلا بالعلم.

عمر بن الخطاب في المناظرة لما قالوا له: أتقاتل قوماً قالوا "لا إله إلا الله"، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله"؟** قال: **والله لأقتلن من فرق بين الصلاة وبين الزكاة، فبين ذلك الخروج.** أيضاً في هذه مسألة النجاة من الفتن بالعلم ما حدث مع ابن عباس ومناظرته العظيمة الرائعة مع الخوارج، رجع بثلاثي القوم. العجيب أنه دخل عليهم دخلة أعظم مما تكون، دخل بزي فيه أبهة، قل فيه إسراف.

لأنني أدين الله بمعنى قول الله تعالى: **(وَلَا تُسْرِفُوا)** [الأعراف: 31] كما قال ابن حزم وهو الراجح الصحيح، أي كلام آخر ضعيف. قال: **الإسراف لا يكون إلا في الحرام.** ممكن واحد يقول لي الطعام الذي كان كثيراً وقد أفسد أليس هذا حراماً؟ نقول نعم، التفريط هنا فقط، لكن نحن نقول الإسراف لا يكون إسرافاً إلا في الحرام.

فذهب بزي راقى سامي جداً، ابهة كما يقولون. فنظروا إليه، فكلّ منهم جلس يتكلم من هذا؟ هذا الرجل ابن عم رسول الله؟! فقام أحدهم وهذا كان اول الداخلين مع ابن عباس قال: إياكم وهذا الرجل، إنه من أهل مكة فيه الخصومة، قال الله عنهم: (هُم قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف:58]. يعني لهم جدال فدعك منهم. قالوا: يا ابن عباس ما الذي أنت فيه؟ قال: ما الذي أنا فيه؟

يعني هم يريدون أن يقولوا له أين الزهد وأنت ابن عم رسول الله وتنتظر للجنة؟ أين الزهد في الدنيا؟ فقال: أحرامٌ ما لبست؟! فسكتوا. فقرأ عليهم الآية حجة عليهم، قال: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [الأعراف:32]. أراد أن يظهر لهم أن الغلو الذي أنتم فيه ليس علماً ليس ديناً، المسألة منضبطة بقال الله قال الرسول. ثم بعد ذلك حجهم بالحجج الباهرة المعروفة لسنا بسبب تفصيلها، فرجع بثلاثي الناس بذلك.

- الأمر الثاني من حاجة الناس إلى العلم: حسن التعرف على الله

لن نتعرف على الله حق التعرف إلا أن تتعلم الأسماء الحسنى والصفات العلاء، أن تتعرف كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم- يتعبد لربه جلّ في علاه، مواطن العبادة مواطن الإقدام مواطن الإحجام، مواطن الكثرة في العبادة أو القلة في العبادة. هذه المسائل مسائل منضبطة، لأن الانسان ممكن يزداد اجتهاداً جداً، ولا يزداد بازدياد اجتهاده من الله إلا بعداً. فلها ضوابط لا بد أن تتعلم بها، وتتعرف على الله حق التعرف.

أن تعلم بأن الله جلّ في علاه هو الرحمن الرحيم، أنه أرحم عليك من أمك ومن نفسك. أن تعلم بأن الله جلّ وعلا ما صنع شيئاً وما فعل شيئاً إلا لحكمة، أن تعلم بأن الله تعالى ما ابتلاك ليهلكك، بل يرفعك بل يعضدك بل يعلمك، بل يجعلك من أسمى الناس وأرقى الناس منزلةً، بل لتأخذ المكافأة العظمى في الآخرة.

أن تعلم بأن الله تعالى ما مكن أهل الكفر من أهل الإيمان إلا لمصلحة عامة، كأخذ. أخذ أعظم الأمثلة الرائعة التي تضرب بذلك. فقد علا الكافرون في هذا الباب، والكافرون لا علو لهم بفضل الله جلّ في علاه، لكن علوا أو أخذوا بظهور المسلمين وكادوا أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم. وحتى أن قال قائلهم (والحمد لله أنه أسلم) قال: اعلو هبل، أعوذ بالله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تردوا عليه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: **قولوا الله أعلى وأجلّ**. ولما قال له أبو سفيان: يومٌ لنا ويومٌ علينا يوم نساء ويومٌ نُسَرّ، يومٌ بيومٌ بدر. قال: لا، لا سواء. وبين له.

الغرض المقصود حكم عظيمة جداً، لو لم يكن من الحكم إلا في أمرين جليين:

أولها أن السائر إلى طريق الله جلّ في علاه لا ينظر للنتائج، وليس له شأن بالثمرة. وهذا الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم. عندما قال: **كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم وكسروا رباعيته، اللهم العن فلان وفلان وفلان**. من ماذا قال الله جلّ في علاه؟ **(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)** [آل عمران:128]. لما تعجل يونس النقمه الحوت، لما دعا نوح على قومه ما كانت على ما أراد. فالباب أنت ما عليك إلا أن تؤدي الوظيفة التي وظيفك الله فيها، وليس لك شأن بالثمر بحال من الأحوال، فهذه حكمة عظيمة.

والحكمة الثانية المهمة جداً في هذا الباب أن ما حدث بسبب أنفسنا، قال الله جلّ في علاه: **(قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ)** [النساء:78]، **(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ)** [النساء:79]، **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)** [الروم:41]، **(أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ)** [آل عمران:165]، لذلك قال الله جلّ في علاه وهذا قولٌ فصل: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضٍ مَّا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ)** [آل عمران:155]، **"بِبَعْضٍ" لا ب"كل"**.

فالتعرف على الله حق التعرف يفيد جداً طالب العلم، ومزية طلب العلم هي حسن التعرف على الله، وهذا هو المقصود الأسمى. النبي -صلى الله عليه وسلم- بين والصحابه أيضاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أثراً بيّنوا أن العلم علما: علم بالله وعلم بأمر الله جلّ في علاه.

- الأمر الثالث من حاجة الناس للعلم، بمسألة أختم بها ألا وهي قد أطلت البدعة برأسها:

هي ما أطلت صراحة، هي عشعشت وتمكّنت واستطالت، وسأقول قولاً أستحي منه لكني سأقول هي أبرقت وأرعدت وصارت شمساً مشرقة، لكنها ليست شمس هي حريقٌ دامي. لا تجد البدعة طريقاً إلا بنوم أهل السنة، لكن الله حكيم. لم البدعة تتمكّن بهذه الطريقة؟! لم لبدعة هي التي تسود؟! ليستيقظ أهل السنة، والله يميز ويغربل الخبيث من الطيب. الآن استيقظ، لا عداوات بينكم الآن، لا تتاحر وخلاف، لا يوجد من وافقتي فهو معي ومن خلفني فهو عدوي. ولا بد أن نتقي ونقول البدع علينا جميعاً، لأن البدعة ستأتي على الشريعة فتهدمها كما قال ابن حزم: **ما ظهرت بدعة إلا وأماتت سنة**. فلا بد أن نتفق على أننا في صفٍ واحد ضد هذه البدعة المميتة التي أطلت برأسها.

وأنت لا يمكن أن تنحر البدعة إلا بسكين السنة، ولا يمكن أن تردّ أهل البدع إلا بإتقان العلم، لا بهامشية العلم لا بالثقافة. لا بد من إتقان العلم، لأن المبتدع معه شيء من العلم ومعه شطر حق. فيأتي الشيطان يُجمل هذا الحق ويجعله أمام الناس، فالناس يحسبون أن الذي يقول هو الحق وأن التمكين معه. ولن تجد مبتدعاً قط إلا ومعه بعض الحق، كما بينا الفرق بين الخوارج والمرجئة، هذا بعين عوراء وهذا بعين عوراء، هذا معه بعض الحق وهذا معه بعض الحق. لذلك أهل السنة والجماعة كالصيّاد الماهر، ينظرون بعينين جميلتين، يأخذون الحق الذي هنا والحق الذي هنا ويتركون الباطل من الناحيتين. فلا بد من الإتقان لهدم البدعة التي تهدم السنن وتهدم الشريعة.

نبتدأ إن شاء الله بكتاب العقيدة، سنشرح عقيدة السلف للصابوني:

عضوا بالنواجز على المجالس العلم. الإمام الشافعي قال: **إن العلم لا يناله امرؤ إلا بست.** وذكر من أهم شروط الست أو الوسائل الست هي **طول زمان وملازمة مكان.** العلم أنا الذي أدين الله به، لا علم إلا بالتلقين. الذي يأخذ العلم هكذا من الكتب أو يأخذ من رجل لم يأخذ العلم تلقيناً يعني لم يتعلم على شيخ هم العور عور حاد، لا علم لهم، بل عندهم أخطاء وأغلاط لا يعلم بها إلا الله جلّ في علاه. فالعلم تلقين، فاصبروا وصابروا.

كما قلنا أهم ما يمكن أن يقال في فضل العقيدة هو حسن التعرف على الله، لأنه فرض عين على الإنسان، مسألة العقيدة فرض عين على الإنسان، توحيد الله جلّ وعلا هو أول الواجبات. قال النبي صلى الله عليه وسلم- عندما بعث معاذاً إلى اليمن: **فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله، فأول الواجبات توحيد الله جلّ في علاه.** قال الله تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** [الذاريات:56]، قال ابن عباس: **إلا ليوحدون.** قال الله جلّ في علاه: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** [النحل:36]، فهذه هذا أصل الأصول.

وأيضاً من فضل العقيدة، استقامة العلم لا يكون إلا باستقامة الاعتقاد. لذلك أنا دائماً كنت أقول بوابة العلم اتقان العقيدة، فاستقامة العلم لا يكون إلا باستقامة الاعتقاد. الذي انحرف عقدياً ستجد انحرافاً فقهياً، انحراف عقدي لا بد أن تجد معه الانحراف الفقهي. لا يستقيم علمه بحال من الأحوال إلا باستقامة العقيدة على عقيدة السلف، العقيدة التي كانت أقرب ما تكون لإشراق شمس النبوة.

من ذلك أيضاً أن النجاة منوطة باستقامة العقيدة، لأن المبتدع لا ينجو في الآخرة، المبتدع لا نجاة له. قال النبي صلى الله عليه وسلم:- **وليختلنّ أقوامٌ من بين يدي، فأقول: ربي**

أصيحابي أصيحابي. فيقال: يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي، بعداً بعداً لمن بدّل بعدي. ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة. فإذا البدعة ليس معها نجاة، والبدعة يكون صاحبها على شفير هلكة. نحن نتكلم عن البدعة المفسّقة، لأن البدع المكفرة انتهى أمرها. فلذلك لا بد من استقامة العقيدة من أجل النجاة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم صلّ على محمد صلى الله عليه وسلم. قال المصنف رحمه الله:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإني لما وردت أمل طبرستان وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر (مسجد) نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام. سألتني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين، والسلف الصالحين، وهَدَوْا ودَعَوْا الناس إليها في كل حين، ونَهَوْا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالّوا في اتباعها، وعادوا فيها، وبدّعوا، وكفروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها ببركتها، ويمنها، وخيرها، وأفضوا إلى ما قدّموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمسكهم بها، وإرشاد العباد إليها، وحملهم وحثهم إياهم عليها؛ فاستخرت الله تعالى، وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار؛ رجاء أن ينتفع به أولو الأبواب والأبصار، والله سبحانه يحقق الظن، ويجزل علينا المن بالتوفيق للصواب والصدق والهداية، والاستقامة على سبيل الرشd والحق بمَنِّه وفضله.

هنا يبين المصنف ابتداءً على أهمية العقيدة، وهو كما قلنا ألمح وأشار أن الهداية الصحيحة والاستقامة السديدة لا تكون إلا باستقامة العقيدة وصحة العقيدة. فهو يقول أولاً الحمد لله رب

العالمين والعاقبة للمتقين. "الحمد لله رب العالمين" هذا من روائع البيان، معروف أن كل مصنف إن لم يبتدأ بحمد الله جلّ في علاه أو بالبسملة فيكون قد أخطأ الطريق. فهذه من روائع البيان أن يبتدأ أولاً بالبسملة أو الحمدلة، فهو لما حمد الله جلّ في علاه قال: الحمد لله رب العالمين.

وهذه فيها أمور: الأمر الأول اقتداءً بالكتاب وبالسنة. أما اقتداءً بالكتاب، لأن الله تعالى ابتدأ كتابه بالحمدلة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [الفاتحة: 2-3]، الفاتحة هي السورة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم- هي السبع المثاني وهي أم الكتاب، وفي بعض الروايات في السنن قال: وبسم الله الرحيم آية من آياتها. وأيضاً هي اتباع لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم-، أن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: كل شيء ذي بال لم يذكر فيه بيسم الله (في بعض الروايات: بحمد الله) فهو أبتى. فلذلك نقول هذه من روائع البيان والحمد لله.

اعلم أخي الكريم أنه إن صدر الباب بالحمد، فيدخل تحته الشكر. عندنا حمد وشكر، الاثنان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا قال الحمد أو قال الشكر نزل تحته الآخر. لكن هنا قال: الحمد لله رب العالمين. طبعاً أنت لا بد أن تعلم بأن التقديم والتأخير هنا معناها الحصر والقصر، تقديم الخبر على المبتدأ الأصل فيه كما قال علماء اللغة أن: تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر والقصر. يعني الحمد كل الحمد لا يكون إلا الله جلّ في علاه.

فالحمد كما قلنا- هو الثناء الحسن على الذات المقدسة، الله جلّ في علاه. والحمد لله جلّ في علاه والثناء الحسن عليه بجميل الصفات والذات، قل وجميل الفعال. هذا إذا انفرد، والشكر كذلك إذا انفرد. إذا اجتمعا فيكون الحمد هو الثناء الحسن على الذات المقدسة بجميل الصفات

والذات، والشكر الثناء الحسن بجميل الفعال. فنرى هنا عموم، الحمد أعم من الشكر في الذات. أما في الآلة الحمد يكون باللسان وبالقلب، إقرار بالقلب وأيضاً الثناء الحسن باللسان. وأما الشكر فيكون باللسان وبالقلب وبالجوارح، (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبا:13]. ولذلك قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ...بيدي ولساني والضمير المحجبا

فالشكر والحمد كما قلنا إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. قال: الحمد لله، "الله" اسم من أسماء الحسنى، وأسماء الله كلها حسنى، كما قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) [الأعراف:180]. هو أعظم اسماء الله الحسنى، أو هو الاسم الأعظم على ما قال العلماء لكثرة ذكره في كتاب الله جلّ في علاه. لا سيما وأن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما مر على رجل يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد، قال: سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب. وأيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- قال بأن اسم الله الأعظم في سور ثلاثة: البقرة وآل عمران وطه. وتجدها الثلاثة فيها ذكر اسم الله سبحانه جلّ في علاه الأعظم، هو الاسم الأعظم لله جلّ في علاه. وابن القيم يقول: "والله" كل الأسماء تضاف إليه على أنها صفات ولا عكس. كل الأسماء؛ تقول الله الكريم فيكون الكريم صفة لله. الأسماء بأسرها تضاف إلى الله على أنها صفة من صفات هذا الاسم. وطبعاً الله يتضمن صفة الإلهية، الذي تأله القلوب، وهو الذي يفرد بالعبادة سبحانه جلّ في علاه.

الحمد لله رب العالمين، وصف الله بالربوبية هنا الآن. طبعاً هو التلازم عظيم جداً بين الإلهية وبين الربوبية. العلاقة بين الربوبية والالهية علاقة تضمن والتزام. الربوبية تلتزم الإلهية، والالهية تتضمن الربوبية. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:21]، "اعْبُدُوا" إلهية، كأن سائل يسأل ولم نعبد؟! "الَّذِي خَلَقَكُمْ" استلزام هنا

الآن. الإلهية تتضمن الربوبية: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة:23]، التوكل عمل القلب وهذه إلهية، ولا يكون متوكلاً إلا أن يعتقد بأن خزائن السماوات والأرض بيد الله. فالتوكل يتضمن اعتقاد أن المعطي المانع هو الله جلّ وعلا، هذا على سبيل الخبر.

الحمد لله رب العالمين. الرب هو سبحانه جلّ في علاه، الرب هو الخالق الرازق المدبر الأمر الناهي الذي له مطلق التشريع، هذا هو الرب له صفات الربوبية. قال: رب العالمين، هو رب العالمين الخلق أجمعين، وأكثر من عالم خلقه الله جلّ في علاه: عالم الثمار عالم الأشجار عالم البحار عالم الجن عالم الملائكة عالم الإنس، فهو رب العالمين هو خالق العالمين سبحانه جلّ في علاه. فتستطيع أن تقول هو رب العالمين، هو خالق العالمين، هو رازق العالمين سبحانه جلّ في علاه، هو محي العالمين، هو مميت العالمين، سبحانه جلّ في علاه. لذلك قال الله جلّ في علاه: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) [هود:6].

قال: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين. قال: والعاقبة للمتقين، وهذا أصل أصيل. يعتقد أهل الإسلام وأهل الإيمان بأن العاقبة لا تكون إلا لمن اتقى، والعاقبة لا تكون إلا لأهل الله جلّ في علاه. قال: (فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) [هود:49]، اتق الله واصبر، فالله جلّ وعلا يجعل آخر الأمر لأهل الإيمان. لذلك لما وضعوا سلى الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم- وجاءت فاطمة تبكي، قال: لا بأس على أبيك بعد اليوم، والذي نفسي بيده لن يترك هذا الدين بين مدرٍ ولا وبرٍ إلا دخله بعز عزيزٍ وبذل ذليل. وقد كان، وقد جعل الله العاقبة لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين-، وجعل نصر للرسول وللمؤمنين بعدما عاشوا في سنواتٍ عجافٍ.

عشر سنوات في مكة يتحملون المشقة والشدة والأواء، فقد نصرهم الله جلّ في علاه وأسس النبي -صلى الله عليه وسلم- الدولة الإسلامية في المدينة، ثم فتح بعد ذلك ربوع الأرض مشارقها ومغاربها، وعبّدوا العبادة لرب العباد في مدةٍ وجيزة من عمر الزمن. ولم يمت النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى بشر الأمة بذلك عندما ضرب الكُدية في أحلك اللحظات، عندما أحاطوا به إحاطةً مُحكمة في غزوة الأحزاب، قال: **الله أكبر أُعْطِيَ الْكَزْبَيْنِ**. هنا ظهر الإيمان حقاً عندما قال الله جلّ في علاه: **(إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونًا)** [الأحزاب:10]، لكن أهل الإيمان قالوا: **(هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ)** [الأحزاب:22].

ثم قال: **وصلّى الله وسلم على محمد**، وهنا تثنّى بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الأدب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا فيه دلالة واضحة جداً على أمرٍ مهم جداً كوني، أنا أقول ما من مصنف إلّا ويفعل ذلك. وهذا فيه لفظة مهمة على أمرٍ لا يمكن رده، ابتداءً بالحمدلة ووصف الله بالربوبية سبحانه جلّ في علاه، هذا الثناء على الله، وهذا هذا افتتاح كل خير. ثم تثنّى بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، قلت هذا من بديع التصنيف، وهذا موافق لأمرٍ كوني قاله ابن عباس: **قال: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)** [الشرح:4]، **لا أذكر إلّا وتذكر معي**.

فلا تجد تصنيفاً قط إلّا ويبدأ فيه بالبسملة والحمدلة ويثنّي فيه بالصلاة على النبي، هذا أمرٌ كوني. ما من مصنف يصنّف إلّا ويبدأ بذلك، ولا بد أن يثنّي بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذه طبعاً ركن استجابة الدعاء، لمّا مرّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على رجل ما ابتداءً بالثناء على الله جلّ في علاه ولم يثنّي بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، إلّا وقال: **قد أعجل هذا أو قد عجل هذا**، ما أخذ بأسباب استجابة الدعاء. لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (وهذا الحديث جاء موقوفاً ومرفوعاً)، قال فيه علي بن أبي طالب: **أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-**.

والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلم واجبة في العمر مرة، كما قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [الأحزاب:56]، يسقط الواجب بمرة. لكن من سمع الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا من أبخل الناس، والبخل مذمة ليست بعدها مذمة. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أتدرون ما البخيل؟ من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليّ، صلى الله عليه وسلم. لذلك صعد النبي -صلى الله عليه وسلم- المنبر ثلاثاً وهو يقول: آمين، آمين، آمين. فسئل، فقال: قال جبريل: رغم أنف امرئٍ ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليك، قل آمين. فقال: قلت آمين.**

وفضل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- عظيم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن جبريل أتاني الآن وبشرني أن من صلّى عليّ من أمتي مرة صلّى الله عليه بها عشراً. واعلم أخي الكريم كما قلت أمران مهمان ذكران، بهما كشف الغمة ورفع الهم والحزن والرزق الواسع: كثرة الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وكثرة الاستغفار. كثرتان بهما الرزق والنجاة: كثرة الاستغفار وكثرة الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-. كما قال -صلى الله عليه وسلم-: **أسعد الناس صحيفةً يوم أكثرهم استغفاراً.** والثاني قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **في الصلاة عليه لمّا قال له الرجل: يا رسول الله أجعل لك شطر صلاتي؟ قال: اجعل، قال: أجعل لك ثلثي صلاتي؟ قال: اجعل، قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم- قولاً فصلاً: إذا تكفّى همك ويغفر ذنبك.**

مواطن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-:

- الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في التشهد الأخير وهي واجب عند جمهور أهل العلم، وإن كان بعض العلماء يرونها سنة. وأما ابن حزم فيراها في التشهد الأوسط والتشهد الأخير.

- وأيضاً الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الجنازة.

- الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الدعاء.

- الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضاً بعد الأذان، هذه من السنن المستحبة جداً أن تصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتسال الله جلّ في علاه له المقام المحمود.

- من مواطن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- الدخول والخروج من المسجد.

ثم قال: أما بعد، وهذا للفت الانتباه. قال: أما بعد، فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر (مسجد) نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، هذه مسألة نقف عندها.

أولاً ويقول هو ذهب إلى بيت الله الحرام، الحمد لله أنه قصد أصالة بيت الله الحرام. أما أن يسافر قاصداً قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويُفرد له سفراً، هذا لا يعرف على أهل السنة والجماعة بحال من الأحوال. السفر من أجل زيارة القبر لا يجوز، ليس من السنة بل هو من البدعة. والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد**: ذكر منها أولاً المسجد الحرام، الثاني بيت المقدس، الثالث المسجد النبوي. فإذا لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد وما ذكر القبر، فمن أفرد سفراً قاصداً فيه قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد ابتدع في دين الله جلّ في علاه.

لكن نحن نقول بأن زيارة القبر تعريجاً مع زيارة بيت الله الحرام أو المسجد النبوي هذا السنة، والذهاب إلى السلام على النبي -صلى الله عليه وسلم- من السنة. ولكن نقول زيارة المدينة نفسها لا تكون شرطاً في الحج ولا ركناً من أركان الحج، يعني لو ذهب فادّى الشعائر ومشى ورحل، ليس بها ثمة شيء. دعك من هؤلاء المخرفين الذين لا يعرفون شيئاً ويهرفون ما يعرفون بما لا يعرفون، والذين قالوا بحديث: من حج فلم يزرني فقد جفاني.

حديثٌ مظلّم، إسناده مظلّم لا يصح بحال من الأحوال. من حج فقد جفاني، هذا الكلام ليس بسديد.

لكن نحن نقول من الأدب ومن الخير أن تزور مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضاً إذا زرت وصليت في المسجد تذهب فتسلم على قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ما دمت قد جئت في السفر. ومن الآداب التي رأيناها قد اختلت عند الوسط الملتزم، أنه صباح مساء يصلي الفجر يقول دعني سأسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-، الظهر إني أسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-. ذهاب وإياب، صباح مساء يقول أسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم-. وابن عمر كان يسلم. هو طبعاً ليس مبتدع ضال إن شاء الله، لكن هذه بدعة، أنت وقعت في المحذور. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **اللهم لا تجعل قبري عيداً**، من العود. هل ابن عمر بعدما جاء من السفر وسلم ذهب ليل نهار؟! في كل مرة يسلم؟! هي مرة واحدة.

وعند السير والرحيل من المدينة في خلاف أن تذهب تُسلم أم لا، إن كنت أرى من الأصل أن تذهب تُسلم. لكن أنت عند القدوم تُسلم كما فعل ابن عمر، تذهب تُسلم وانتهى. لأن الأصل أنت تصلي في المسجد مالك وللقبور!! ليس لك شأن بها، حتى إن أردت أن تدعو وأنت في المسجد بعدما تُسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم- تستدبر القبر كما قال الإمام مالك: **تستدبر القبر وتستقبل القبلة وتدعو الله عز وجلّ**. والأولى ألا تفعل ذلك عند القبر. فهو يقول: **وزيارة قبر (مسجد) نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام**، وطبعاً نقول له زيارة بيت الله الحرام وزيارة المدينة إذا كنت حاجاً فليس شرطاً أن تزور القبر ولكن شرطاً حتى أن تُعرج على المدينة وليست ركناً من الأركان.

قال: سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين، هذه فيها أمران:

- الأمر الأول هو الرجوع لأهل العلم. وهذا هو الأصل الأصيل أنك في كل المعضلات ترجع لأهل العلم، ترجع تتعلم أصول العقيدة، تتعلم أصول الحديث، الفقه. لا بد أن تعلم من الذي تتعلم عليه، وأنت لا بد أن تتقن أو قل أن تميز بين الذي أتقن وبين الذي لملم شمل الثقافات وكان أمام الناس على أنه من العلماء. أبدأ، أنت لن تتقن إلا من العالم. لذلك هم ذهبوا إلى العالم وطلبوا منه فصولاً في أصول الدين، فالأمر الأول رجعوا العالم (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل:143]، الرجوع إلى أهل العلم واجب.

- ثانياً: كثير من إخواننا ممكن يتركونا درس علم فيه أصول منهجية يقول لك عندي درس، والدرس الذي عندك ليس فيه شيء، لا تفصيلاً ولا تفصيلاً. فلما تترك درس العلم لشيء آخر وأنت بذلك الفائدة عندك تكون ضعيفة، فقط لترضي ما أنت فيه أو للدائرة التي تريد أن تكون فيها. خطأ بين، اعرف من أين تأكل الكتف وإلا ضاعت منك الكتف، ولو ضاعت والله لو عشت عمرك بعد ذلك لن تستطيع أن تدركها بحال من الأحوال.

رجعوا لأهل العلم من أجل التعلم، ثم طلبوا منه فصولاً في أصول الدين. الأصل أنهم لما طلبوا، طلبوا تقديم الأهم على المهم واجب. تقديم الأهم على المهم واجب. لذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: **فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله. أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله". (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)** [محمد:19]. وانظر هنا دقة الفهم عند هؤلاء الطالبين، أصولاً في الدين الذي التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين.

إذاً لا اعتقاد إلا اعتقاد السلف. لذلك أنا أقول للإخوة الأفاضل العقيدة حقاً خذها من الرعيل الأول، لا يصح أن تأخذ كتب المعاصرين وتكون أصلاً في تنمية العقيدة عند الناس. هذا

خطأً بيّن، لن تستفيد ولن تثمر خيراً بحال من الأحوال، لأنه ممكن يكون هذا المعاصر قد فهم مغلوطة عن السلف ولم تكن هذه عقيدة السلف بحال من الأحوال. أو يكون أيضاً غاب عنه علم من علم السلف، لأن ما أحد أحاط بالعلم بحال من الأحوال.

ماذا افعل؟ يعني أترك المعاصر؟ لا. المعاصر هذا أنا أقبل يده لأنه سيفتح لي مغاليق السلف، أنا آخذ كتابه المعاصر معي مستأنساً أنه يفتح لي مغاليق كتب السلف. لكن أصل الاعتقاد شمس النبوة، الاعتقاد السديد على هؤلاء، وإلا الخلف فيهم ما فيهم من التخبطات. نتكلم بالتصريح، النووي وصحيح مسلم. خذ في كتاب (***) نحن لم نُعَرِّج عليه احتراماً للنووي. لكن خذ وانظر إلى أحاديث الصفات ما يقال فيها، وانظر كلامه، وارجع إلى الوراثة وانظر كلام ابن خزيمة وانظر كلام ابن أبي عاصم وانظر كلام الخلال وانظر كلام أحمد بن حنبل، وقارن بين القولين. افتح كتاب فتح الباري وانظر المسألة يمكن أن تضع، تذهب ويذهب قلبك وعقلك. لأنك ستري نقل عن السلف بعض الشيء، وثم نقل عن الخلف، تخطيط دون أن تدري.

فأنت أصالة كتب المعاصرين كتب قيّمة جداً بشرط ألا تُجعل أصلاً، فمن جعلها أصلاً أخشى أن يحيد، أخشى ألا يتقن، أخشى ألا يثمر، أخشى ألا تستقيم عقيدته. يجعلها مستأنساً بها أنها تفتح له المغاليق، لأن من سبقك في العلم أعلم منك وأحكم منك وأفهم منك، يفتح لك أبواب العلم. لكن أن تجعله أصلاً، خالفت حتى طريقة السلف. كل فتاوى ابن تيمية التي تدرس، ابن تيمية في كتبه وهي أروع كتب الاعتقاد، كل كلامه ما ارتقى به ابن تيمية إلا أنه ناقل عن السلف، يعني بضاعة ابن تيمية هو النقل عن السلف. ولذلك كان في كل محجة في المناظرات كان يقول لهم: اتنوني بآية من الكتاب أو من السنة أو بكلام من كلام العلماء المتقدمين. ما أحد يستطيع أن يجاريه. ابن تيمية نفسه لما أخطأ في بعض الأمور، ما أخطأ بها هكذا، هو نقلها عن المتقدمين.

لذلك هم كانوا الفطنة بمكان، قال: التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين. ولذلك كما قلنا هذه العقيدة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم:- **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ.** وأنا سأقول قولاً فصلاً في هذا الباب: **لا اختلاف في الاعتقاد.** القاعدة التي لا بد أن تحفرها على صدرك: **لا اختلاف في الاعتقاد عند علماء السلف،** الاختلاف الذي ظهر عند السلف اختلاف في التطبيق لا في التأصيل. أما في التأصيل الجميع يتفقون في الأسس والأصول، لا اختلاف عندهم في التأصيل.

قال: **وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين.** ثم قال: **والله سبحانه يحقق الظن ويجزل علينا،** بعدما بين أنه قد استخار الله. وهذه دلالة على ديانة العالم، وأنه حتى بعدما طُلب له استخار لأنه لا يدري هل ممكن أصلاً يصيب أو يخطئ. طبعاً في إشكال هنا **فاستخرت الله تعالى،** الإشكال هنا أن القاعدة عند العلماء لا استخارة في الطاعات. الاستخارة في أمرٍ لم يتبين لي خيره من شره، فالطاعات كلها خير فلا استخارة فيها. لكن هو يستخير يخشى من عدم إصابة الحق، فهو يخشى فيستخير من ذلك، لا يستخير على أصل الموضوع بحيث أنه يدعو الله التوفيق. ولذلك قال: **فاستخرت الله تعالى،** وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار، رجاء أن ينتفع به أولو الأبواب والأبصار. **والله سبحانه يحقق الظن ويجزل علينا** **المن بالتوفيق.** يعني الظن في الله أن يوفقني إلى أن أصيب في اعتقاد أهل السنة والجماعة، فأصيِّف هذا التصنيف الذي ينفع أهل السنة والجماعة.

عقيدة اصحاب الحديث

قال: قلت وبالله التوفيق: أصحاب الحديث -حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول صلى الله عليه وسلم -بالرسالة والنبوة-

هو قال: عقيدة أصحاب الحديث، كأنه يقول بأن العقيدة الصحيحة هي عقيدة أصحاب الحديث، أصحاب الحديث الذين اعتنوا بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. وهذه فيها دلالة واضحة جداً على أن الاعتقاد لا يكون إلا على التوقيف: كتاب أو سنة. هذه المسألة من الأهمية بمكان، ولذلك قال: عقيدة أصحاب الحديث. قد قال بعض العلماء أن أصحاب الحديث هم الفرقة الناجية هم المعنيون بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-. على الفرقة التي تنجو: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين. والطائفة التي على الحق هم أصحاب الحديث، الذين اعتنوا بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وهذه كما قلنا فيها إشارتان: الإشارة الأولى العقيدة الصحيحة هي التي تنبع من الكتاب أو من السنة. فأصحاب الحديث هم الذين يعتنون بالأثر، فإذاً العقيدة لا ينعقد عليها القلب إلا بأثر. لذلك دائماً قلنا إن طريقة المتقدمين من السلف في الاعتقاد يأتون بالدليل ويستنبطون منه الاعتقاد. كالفقه، الأحكام تكون من الأدلة.

لذلك قلنا الفرق بين السلف وبين الخلف، أن السلف يستدلون ثم يعتقدون يعني اعتقادهم من الدليل. وأما الخلف يعتقدون ثم يستدلون، لذلك ترى أنهم يلوون عنق النصوص، وإذا رأيت الرأي منهم وسمعت القائل منهم قال: من أشار بإصبعه للسماء يقطع إصبعه. الحديث في مسلم قالوا: حديث ضعيف!! حديث الجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال هذا حديث ضعيف!! هكذا اعتقد أولاً أن الله ليس على العرش، أي دليل يأتيه يثبت أن الله على العرش لا بد أن يؤوله وأن يحرفه وأن يردّه.

كما حدث معي وكما قلت للإخوة أكثر من مرة، لما قلت إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للرجل: إن أبي وأباك في النار. فلما الرجل اعترض عليّ وقال أبو النبي في النار!! قلت: دعك مني أنا، هذا الحديث في صحيح مسلم. والرجل كان في الإمارات فقال لي: أنت من

مصر؟ صحيح مسلم فيه أحاديث موضوعة. عنده شيء لا بد أن يفعله حتى يردّ الحديث، الاعتقاد السابق عنده فلا بد أن يلوي النصوص لهذا الاعتقاد السابق.

لذلك هو يقول: عقيدة أصحاب الحديث، كأنه يقول ولا تسلم إلا بعقيدة أصحاب الحديث.

قال: أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول صلى الله عليه وسلم- بالرسالة والنبوة. ويعرفون ربهم عز وجلّ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله.

انظر وهذه دقة، قال: بصفاته التي نطق بها وحيه. وكما قلت لا أسماء ولا صفات إلا بالتوقيف، ولذلك قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:180]، "لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ" هذا حصر وهذه لا تكون إلا توقيفية. اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. كلها على الوحي.

قال: ويعرفون ربهم عز وجلّ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله - صلى الله عليه وسلم- على ما وردت الأخبار الصحاح به.

على ما وردت الأخبار الصحاح به، قيّد يُخرج الضعيف، لا عقيدة في الضعيف بحال من الأحوال. كما ردنا على الإمام ابن تيمية في هذه المسألة بأنه قال: **المقام المحمود** (في التفسير لما نقله عن ابن مجاهد وأتى به عن ابن عمر مرفوعاً)، **ويقعده ربه على العرش**. وقلنا حديثٌ ضعيفٌ لم يصح، فلا نعتقد هذا الاعتقاد. وابن تيمية يقول: من ردّ هذا الحديث

فهو جهمي. طبعاً الاعتذار لابن تيمية في هذا الباب على أمرين: الأمر الأول أنه يُحسِّن هذا الحديث، والأمر الثاني أنه نقل عن أحمد هذا الكلام يعني عنده أصل في المتقدمين. ونحن نقول كلامٌ صحيح لو ثبت، إن لم يثبت فلا وهو لم يثبت.

قال: على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-. ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه.

إذاً أولاً هو قال: أصحاب الحديث يثبتون لله ما أثبتته لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-. وهذا أمرٌ جلل، فيه يتضمن الرد على أهل البدع. كأنه يقول لأهل البدع إذا أثبت الله لنفسه اليد، وأنتم قلتم القدرة. الآن أنتم ماذا فعلتم؟ ألغيت ما اعتبره الشرع وأثبتتم ما ألغاه الشرع. الشرع جاء أن الله تعالى أثبت لنفسه يداً، وأنتم قلتم هي قدرة، الآن أنتم أثبتتم لله ما لم يثبت لنفسه، وألغيت ما أثبتته لنفسه. لذلك هو يقول طريقتنا أسلم وأحكم وأعلم وأتقن وأنجى، نحن لا نثبت إلا إذا أثبت لنفسه، ولا ننفي إلا ما نفاه عن نفسه.

قال: ويثبتون له جل جلاله ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-. ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه. فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله -عز من قائل-: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) [ص:75]. ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليمين على النعمتين أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية -أهلكهم الله-، ولا يكيّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة -خذلهم الله-. وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكليف، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهم.

هنا أثبت لنا أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة: الأصل الأول هو إثبات الصفات لله جلّ في علاه كما جاءت بها النصوص، ثم قال: بغير تشبيه ولا تحريف ولا تكليف. بغير تحريف، المحرّفة المعتزلة لهم تحريف والأشاعرة لهم تحريف.

المعتزلة لهم تحريف النفي، لأن المعتزلة ينفون صفات الله جلّ في علاه. والحق أنه هنا كأنه ألمح وسمّى هذا التحريف من المعتزلة ولم يكن. تأويل اليد بالقدرة أو بالنعمة من الأشاعرة وليست من المعتزلة، وهو نسبها للمعتزلة. والمعتزلة طائفتان، طائفتان في الاسم والصفة. لا سميع ولا سمع، لا بصير ولا بصر، لا كريم ولا كرم. وطائفة تنفي الصفة مع إثبات الاسم فهؤلاء ينفون الصفة. أما الذين قالوا بأن اليد هي القدرة أو النعمة هم الأشاعرة.

إذاً أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم، لأمر: الأمر الأول إن الله نطق بذلك، إن صح الكلام، إن صح هذا إخبار. يعني الله تكلم بهذا وهو أعلم بنفسه وبذاته المقدس. وقد نقل ذلك أعلم الخلق به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يؤول ولم يحرف ولم يبين حاشاه، إذاً يسعنا ما وسعه. ثم تلقاها الصحابة الكرام على نفس الاعتقاد ولم يقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم هل اليد قدرة؟ هل اليد النعمة؟ لا. قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]، أخذوها أنها يد الله جلّ في علاه. فإذا يسعنا ما يسع النبي، ويسعنا ما يسع الصحابة الكرام في هذا الباب. فنقول الأصل الأول نثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه، وأثبتته له نبيه صلى الله عليه وسلم. في سنته.

بغير تشبيه: طبعاً هو الأولى كما قال علماؤنا- للمصنف أن يحاكي كلام الله جلّ في علاه، فيقول بغير تمثيل، لأن الله جلّ وعلا قال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى:11]. ونعيم بن حماد قال: **من شبه الله بخلقه فقد كفر**، لا يجوز تشبيه صفات الله جلّ وعلا بصفات الخلق. هل

وجدتم مخلوقاً مكلفاً عالماً أو غير عالم يشبه الذات بالذات؟ هل أحد قال ذات الله كذات البشر؟ أبداً كلهم يقولون: لا ذات تليق بالله جلّ في علاه. نفس الأمر، ما يقال بالذات يقال في الصفات، والصفات تليق بجلال الله وبهاء الله وعظمة الله جلّ في علاه. إذاً الأصل عدم التمثيل، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى:11]. وما الفرق بين التمثيل والتشبيه؟ التشبيه في أغلب الصفة، أما التمثيل الاتحاد التام هكذا دون فرق، هذا الفرق بينهما. والأمر واحد. (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11].

ولا تحريف: يقصد بالتحريف هنا ما يسمونه تأويلاً. والتأويل أصلٌ أصيل عند أهل السنة، لا يرد مطلقاً ولا يقبل. والتأويل هنا المقصود به هنا في باب الاعتقاد أو باب الأصول صرف اللفظ عن ظاهره، والتأويل بصرف اللفظ عن ظاهري مقبولٌ عند أهل السنة والجماعة عند استدعاء القرين. أي عند وجود القرينة الداعية لذلك، لأننا نبحث عن مراد الله سبحانه وتعالى. إن لم يكن ثمة قرينة فالأصل أن يبقى الظاهر على ظاهره. فإذا قال الله جلّ في علاه: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]، قلنا الظاهر أنها يد (صفة) لأنها مضافة لله جلّ في علاه، فلا نؤولها لقدرة ولا نعمة إلا بقرينة.

تعالوا نأتي إلى القرينة مثلاً. عروة بن مسعود لما جاء في صلح الحديبية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يأخذ بلحية النبي صلى الله عليه وسلم. ويقول: رأيت أحداً فعل ما تفعل بقومك؟ أنت تجدع أنفك بيدك؟ فضرب عليه المغيرة بن شعبة بقبيلة السيف. قال: من هذا؟ قالوا: المغيرة، قال: أي لكع! ما زلت في قدرتك إلى يوم الناس هذا. فقال: يا محمد ما أرى حولك إلا أوباشاً أو أشواباً من الناس سيفرون عنك عمن قريب. فماذا قال أبو بكر؟ قال كلمة شديدة (تسمحوا لي أقول) قال: امصص بظر اللات، نحن نفر عن رسول الله. قال: من هذا؟ قالوا: هذا أبو بكر. قال: لولا يدُ لك عندي ما كافأتك بها لرددت عليك. يعني إكراماً ونعماً، ما الذي جعلنا نؤول هنا؟ السياق. هنا لما قال: لولا يدُ لك عندي. يعني أنت قد أعطيتني إكراماً

وجوداً. وحتى قال: ما كافأتك. السياق مفسّر، والسياق هو الذي جعلنا نجعل اللفظ من ظاهره إلى التأويل.

إذاً نقول بغير تحريف الذي يقصدون بغير تأويل إلا بقرينة داعية. مثلاً قال الله جلّ في علاه: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليّ عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، كنت بصره الذي يبصر به.

قال المخرفون الله في كل واحد، الذين يقولون كما قال بعض علماء الجيولوجيا أو علماء الفلك، هم ما عندهم علم الشرع لكن هو رجل مبدع جداً في النجوم وغير النجوم. لما قيل له قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]. قال: لا، الله في كل مكان. هذه الكلمة كفرٌ مستقل، تكذيب لله. الله قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]. لذلك قال قائلهم اسمه الحلاج. قال: ما في الجبة إلا الله. ومن الذي في الجبة؟ يعني الله حلّ فيه. طبعاً أنا واجهت واحد في الطريق فقلت له: ما في الجبة إلا الله، ما تأويلها؟ قال: عقولنا لا تستطيع أن تفسر هذا. قلت له: لا، أنا أقول لك هذا كفرٌ مبين، الله فوق السماء فوق العرش.

إذاً قال: كنت سمعه، كنت بصره، كنت يده التي يبطش بها. هذا لا يعني أن الله هو البصر والسمع، لأن فيه قرينة ليس السياق فقط. عندنا أولاً قرينتان: القرينة الأولى قال الله جلّ وعلا: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، محكم، أنا اعتقدت اعتقاد تام الله على العرش. والقرينة الثانية مهمة جداً، قال (في الرواية الأخرى): فبي يسمع، وببي يبصر، وببي يبطش، يعني بقدرته وتوفيقه وتسديده له. إذاً كنت سمعه يعني كنت موفقاً لسمعه فلا يسمع إلا ما أحب، كنت موفقاً لبصره فلا يبصر إلا ما أحب، فإذاً هذا بلا تأويل.

قال: **ولا تكيف**، التكيف شبيه بالتشبيه، لكن التكيف أنه يتصور صورة معينة هيئة معينة للصفة، وهذه لا تصل، لأن صفات الله من الغيب، والغيب لا يعلمها إلا الله، وعلامة الإيمان (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) [البقرة:3].

ذكر المعتزلة والجهمية؛ طبعاً تعلمون أن الجهمية هؤلاء الذين يعبدون عدماً، الذين يقولون الله لا خارج العالم ولا داخل العالم لا فوق ولا تحت، يقولون أيضاً لا سميع ولا سمع ولا بصير ولا بصر، ينفون صفات الله جلّ في علاه. المعتزلة منهم من ينفي الاسم والصفة ويتجهم بهذا، ومنهم من ينفي الصفة دون الاسم. وطبعاً هو دعاهم، وهذه فيها دلالة على جواز الدعاء على أهل البدع لكن على العموم لا على التعيين. يعني لو في مبتدع لا يجوز له أن يدعو عليه بعينه، لا يصح. لعن المعين لا يجوز. قال: اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، (وهم أكفر أهل الأرض)، قال الله تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ **ظَالِمُونَ**) [آل عمران:128].

لكن أن يقول لعنة الله على الظالمين، لعنة الله على الكافرين، لعنة الله على المبتدعين، نعم. لكن بعينه لا، لا يصح أصالة أن يلعن مبتدعاً بعينه. وهذا عدم فقه، عدم فقه مما نراه في الساحة، فأنت لا تملك شيئاً. في قصة بني اسرائيل عندما مرّ على أخيه وقال: تقاصر عن المعاصي، والله لا يغفر الله لك أبداً. قال الله تعالى: أكنّت بي عالماً؟ أكنّت على ما في يدي قادراً؟ عذبتك وغفرت له. فلا يدعو عليه عيناً، ولكن يدعو على العموم. ولذلك قال: **أهلكهم الله**.

الثانية قال: أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين، والتشبيه كما قال نعيم بن حماد: **من شبه الله بخلقه فقد كفر**. فتشبيه صفات الله بصفات الخلق كفر مبين من وجهين: الوجه الأول تكذيب الله، لأن الله قال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى:11]، فمن شبه الله بخلقه فقد كذب الآية.

الوجه الثاني مهم جداً ففيه إثبات النقص لله جلّ في علاه وقد تنزّه الله عن كل نقص، تعالى الله علواً كبيراً.

قال رحمه الله:- وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكليف، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهم. حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11].

هم تركوا القول بالتعطيل وهو النفي. والتعطيل تعطيلان: تعطيل تام وتعطيل جزئي. التعطيل التام أن ينفي الاسم والصفة، التعطيل الجزئي أن ينفي الصفة دون الاسم. وهناك تعطيل آخر هو التحريف أو التأويل، لأنه نوع تعطيل، لأنه لم يثبت الصفة على وجهها، على حقيقتها. فلما يقول اليد هي القدرة، اليد هي النعمة، العين هو الكأ وإثبات لازم الصفة لا بالصفة، فهذا نوع تعطيل. الخلل في عدم إثبات الصفة، ولكن لازم الصفة موجود يعني لو قلنا (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) [القمر:14] يعني بكلنا وحفظنا، نعم هذا موجود لكن هذا بعد إثبات الصفة. ولذلك لما أقول لك: أنا أسافر أترك لك والدتي، فنقول: في عيني، لن تأخذ الكرسي وتجلس في عينك. يعني في عيني من لغة العرب؟ أنا أعتني بها وأراعيها وهذا إثبات للعين. إذاً أثبت الصفة أولاً ثم أثبت لازم الصفة.

قال: وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11]. كل ما تكلمنا عنه في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة هو نابع عن هذه الآية: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) نفي التشبيه نفياً تاماً، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) نفي التعطيل. إذاً نفي التشبيه والتمثيل والتكليف من قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، وهذه معناها إثبات الصفة. لو قلت ليس تشبيهاً ولا تمثيلاً ولا تكليفاً، إذاً سأثبت الصفة بلا تمثيل ولا تشبيه ولا تكليف. قال: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، معناها نفي التعطيل. إذاً أنا أثبت السمع وأثبت البصر ونفيت التعطيل.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس الثاني: عقيدة السلف في صفات الذات والأفعال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]،

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1]،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 70-71]،

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام: ما زلنا مع المجالس للانتهاء من هذه الكتب، نسأل الله جلّ في علاه أن ييسر لنا طريق الجنان، ونسأل الله في عليائه أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعلنا ممن يتعلم ليتعبّد وينشر ذلك بين الناس. وأسأل الله جلّ في علاه أن يشكر لكم صبركم على طلب العلم، وأن يلهمنا وإياكم الإخلاص. فقد قال ابن عيينة: **طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله**، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة**.

وهذه المجالس هي أشرف المجالس على الإطلاق، وهي أعظم المجالس نفعاً، كما قال الإمام أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-: **هذا المجلس يكفر سبعين مجلساً من غيره**. فمجلسٌ يذكر فيه الله جلَّ في علاه ويصلَّى فيه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو أنعم المجالس وأشرف المجالس وأفضل المجالس. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ما جلس قومًا مجلساً لا يذكرون اسم الله ولا يصلون على النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا كان عليهم ترة (حسرة) يوم القيامة**. اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا واغفر لنا الزلات والسقطات والهنات. تقديم الأهم على المهم واجب، نبتدأ بالعقيدة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. اللهم صلِّ على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-. قال المصنف -رحمه الله-:

قلت -وبالله التوفيق-: عقيدة أصحاب الحديث

قال -رحمه الله-: وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكليف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم. حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [الشورى: 11]

قال: قولهم في الصفات:

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة.

هو الآن ما زال يتكلم على عقيدة السلف، وجمع السلف في أصحاب الحديث. وقلنا هو صدر الباب بأصحاب الحديث لأنهم أصحاب الأثر، وهذه فيها دلالة كما قلنا على علم السلف، بأنهم لا يعتقدون إلا من الدليل، الدليل أولاً ثم الاعتقاد. وأكثر الخلف يعتقدون ثم يستدلون، وكان هذا سبب الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم.

فهو يقول الآن: هم يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار **الصحيح**، وكأنه يشير إلى أن معتقد السلف: أن صفات أو الأسماء أو كل ما يكون نسبةً لله جلّ في علاه فلا بد له من أثر. وهذه أيضاً فيها دلالة على خطأ من يقول بأن الاشتقاق من كلام السلف، ليس هذا بصحيح بحال من الأحوال، لأن الاشتقاق ليس من كلام السلف وليس هذا من منهج السلف بحال من الأحوال، بل الأسماء توقيفية والصفات توقيفية. لذلك هو ذكر قال: **الصفات من السمع والبصر والعين.**

السمع: كما السمع ثابت لله جلّ في علاه بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. نحن نذكر الإخوة أو نؤسس لهم، السمع صفة من الصفات. ودائماً لابد أن تعلم **من قواعد الصفات المهمة جداً هو أنك لا يمكن أن تثبت لله صفة إلا إذا أُضيفت إضافة مباشرة لله جلّ في علاه، لا بد أن تضاف إلى الله.** لو قلنا مثلاً في قول الله جلّ في علاه: **(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ)** [الذاريات:47]، وقلنا إن **"أَيْدٍ"** جمع يد، معنى هذا ليس صحيح لغةً. لغةً جمع يد هو أيادي، و**"الأيدي"** هنا بمعنى القوة. لو تنزلنا وقلنا إن الأيدي جمع يد، لا تكون **"أَيْدٍ"** من الصفات، لأنها لم تضاف لله جلّ في علاه. فالأصل في ذلك لا بد من الصفة أن تضاف إلى الله جلّ في علاه حتى تقول إضافة الصفة للموصوف.

فهو ذكر السمع، وهو ثابت لله جلّ في علاه، لأن الله جلّ في علاه قال: **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)** [النساء:58]. وأيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما تكلم عن سمع الله وبصر الله وأشار بيده هكذا للعين وللأذن، لا يقصد الجارحة، هو يقصد السمع والبصر. وأيضاً قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً.** أو قال: **قريباً، سبحانه جلّ في علاه. إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته.**

والسمع كما قلنا قبل ذلك كثيراً، السمع مراتب:

١- سمعٌ عام وهو سمع الإحاطة: سمع الإحاطة أنه يسمع جميع الأصوات بمختلف اللغات، لا يشغله سمع عن سمع ولا يشغله صوت عن صوت. هذا السمع العام، السمع الاحاطة.

٢- سمعٌ خاص وهو سمع الاستجابة: سمع الإجابة أنه يستجيب، وهذا خاص بالمؤمنين أو الكافرين التائبين أو للكافرين المظلومين. هذا سمع الإجابة، قال الله جلّ في علاه: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۚ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) [البقرة:186] ... إلى آخر الآيات. وطبعاً الحديث الصريح في ذلك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **سمع الله لمن حمده**. "سمع" هنا معناه سمع استجابة، لا سيما وأن الاستجابة هنا فيها دلالة أيضاً ولفت الانتباه على أنه لا بد من الثناء على الله جلّ في علاه، لأنه حمده فقد أثنى عليه خيراً. كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **فخررت ساجداً تحت العرش، فقال لي: يا محمد ارفع رأسك ...** إلى آخره. قال: **فأحمد الله بمحامد علمنيها الآن**، سبحانه جلّ في علاه. وأيضاً لما قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أي الدعاء أسمع؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **جوف الليل**. "أي الدعاء لأسمع؟" يعني الذي يسمعه الله فيجيب، وهذا سمع الاستجابة.

إذاً الله جلّ في علاه، هنا في السمع سمع خاص بالمؤمنين، بالذين يناجون ربهم جلّ في علاه. فسمع مناجاة لأن المنجاة والدعاء والسؤال فيها أمران: لأن المناجاة دعاء، ولأن المسألة دعاء. لكن الأول دعاء عبادة وثناء حسن، والثاني دعاء مسألة. والعلماء يقولون بأنهما يتلازمان، دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة لأن الكريم يكفيه التعريض بالثناء. أريت ما حدث مع الكريم ابن الكريم ابن الكريم؟ (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) [يوسف:91]، ماذا قال؟ (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) [يوسف:92]، استجاب. هم ما طلبوا منه أن يغفر لهم، فقط أثنوا عليه، فكان التعريض بالثناء. الكريم يجزل العطاء بتعريض الثناء، فهناك تلازم.

فدعاء العبادة دعاء ثناء، وهو الصلاة أو الصوم أو الحج، هذا دعاء عبادة يستلزم دعاء المسألة. والدلالة على ذلك: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ) [طه:132]، العبادة أنت بالرزق. فدعاء العبادة والثناء والحمد يستلزم استجابة الدعاء، الذي هو الدعاء المسألة.

٣- السمع الثالث سمع التوفيق والتشديد والنصرة: وهذا خاص لخواص المؤمنين.

أما الأول فهو أحاط المؤمنين والكافرين، سمع الإحاطة. لذلك لما الثلاثة نفر قال: أيسمعنا؟ قال: لو جهرنا يسمعنا ولو أخفينا ليسمعنا، أنزل الله تعالى الآيات: (أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) [الزخرف:80]، سبحانه جلّ في علاه. وكانت عائشة تقول: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، إن المرأة تشكو زوجها ويخفي عليّ بعض حديثها. والله جلّ وعلا أنزل في كتابه: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) [المجادلة:1]. السمع الثاني سمع خاص بالمؤمنين، سمع المناجاة أو السؤال أو دعاء المسألة ودعاء الثناء.

السمع الثالث أخصّ المؤمنين؛ الأنبياء والمرسلين وأولياء الله الصالحين. هذا للأخصّ، وهو سمع النصره وسمع التوفيق والتسديد، وهذا السمع أخصّ من السمع الثاني. السمع الثاني حظ النفس فيه تدعو، يعني الإنسان إذا دعا ربه في المسألة يدعو لحفظ نفسه. أما الثالث هنا التوفيق والتسديد، هي المسألة برمتها نصره لدين الله جلّ وعلا. فلذلك كان هذا السمع أخصّ للأنبياء والمرسلين والأولياء، الذين نظروا أنفسهم لله وأوقفوا أنفسهم لله، وهذا الأعظم. لذلك موسى وهارون (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه:45-46]، هذا سمع توفيق ونصرة وتأيد. وكما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) [التوبة:40]، هذه المعية معية السمع والبصر بالتوفيق والتسديد والنصرة.

والبصر أيضاً، بصر الله تعالى الإحاطة، أحاط بالجميع بصرأً، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه**. قال: **حجابه النور** أو قال: **حجابه النار** (هذه رواية أخرى). قال: **لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، وبصر الله ينتهي إلى جميع خلقه**. هو أحاط بكل شيء بصرأً، سبحانه جلّ وعلا. يرى كل شيء، لا يخفى عليه شيء، لا توارى عنه سماء سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره. إن الله جلّ وعلا يرى كل شيء، يسمع دبيب النملة السوداء على صخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى مخ ساقها، سبحانه جلّ في علاه. وكما قلنا الرؤيا هنا البصر، بصر التوفيق والتزيد والنصرة كما قال: **(كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [الشعراء:62]، أصلها قول الله جلّ وعلا: **(إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى)** [طه:46].

وذكر بعد ذلك العين، وهذا عجيب ذكر البصر وذكر العين! هناك اللفتة المهمة عندما ذكر السمع والبصر وذكر العين، فلو سألتك ما العين؟ العين التي يرى بها. فلما ذكر البصر قال: البصر، الله جلّ وعلا يبصر كل شيء وله العين. إثبات العين، قال: **(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)** [القمر:14]، الرؤية هنا رؤية الكلأ. فلذلك هو يقول أنا الآن أثبت لك البصر وأثبت لك الصفة، نفس الصفة وهي العين، لتعلم ذلك. وطبعاً العين ثابتة لله جلّ في علاه، وهي من الصفات الخبرية الذاتية. وضابط الصفات الخبرية مسمّاهما عندنا أجزاء وأبعاد، لكن بالنسبة لله هي صفة من صفاته. فالله تعالى له عين، كم عين؟ له عيان.

هنا في مسألة مهمة جداً يجب فهمها في قاعدة الصفات. هل الصفات تثبت بمفهوم المخالفة؟ عندنا أولاً إثبات صفة العين قد تثبت بالكتاب والسنة، قال الله جلّ وعلا: **(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)** [القمر:14]، وقال لموسى: **(وَلَتُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي)** [طه:39]. وقال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: **(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** [الطور:48] ليطمئن قلبه لأنه يبين هنا ما دمت أنا أراك فأنا أراك، فهو يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم-: **(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** لا تخشى ما دام الله تعالى يراك ويرى غيرك وسلم فإن الله جلّ في علاه يراك. هنا الآن لازمها الكلأ والعناية وأيضاً الكفاية.

العين ثابتة في الكتاب وثابتة في السنة، لكن عدد العين هل هو ثابت في الكتاب أو في السنة؟ لم يرد حديث صحيح يثبت عدد العين، تصريحاً يعني. والذي ورد، ورد حديثٌ ضعيف بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال عن الساجد: يسجد بين عيني الرحمن. وهذا لم يثبت، حديثٌ ضعيف. وأنت لا بد أن تعلم أن الأصل الأصل لا يصح أن تثبت الصفة بحديثٍ ضعيف، لأنها تتكلم عن الخلاق العليم سبحانه جلّ في علاه. فلا يصح إثبات الصفة بحديثٍ ضعيف، تستأنس به؟! ممكن نستأنس به.

لكن كيف أثبتنا لله عيين، نقول أثبتنا لله عيين بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **الدجال أعور**، قال: **هو أعور العين اليمنى، إن ربكم ليس بأعور**. هنا المفهوم في اللغة، العور في اللغة نقول: عيبٌ في عينٍ من اثنتين. العرب جميعاً يتفقون أن معنى العور هو عيبٌ في عينٍ من اثنتين. فلما يقول: **إن ربكم ليس بأعور**، يعني ربكم له عينان، وهذا بالمفهوم.

والعلماء يرون أن إثبات الصفة والمفهوم غير وارد عن السلف، والحق أن المسألة راجعة للمفهوم هل هو حجة أم لا. الأحناف لا يرون المفهوم حجة، والجماهير يرون المفهوم حجة وهو الصحيح. النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاءه عمر بن الخطاب في قول الله تعالى: **(فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)** [النساء: 101]، فقال: يا رسول الله ما لنا قد أمّنا وما زلنا نقصر؟ إذاً عمر يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- بمفهوم المخالفة: إن أمّنا فلا قصر، فلم امتد القصر؟ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أقرّه على الفهم فقال له: **صدقة تصدق الله بها**. يعني كأنك فهمت فهماً صحيحاً. والمفهوم له ما له من الحجة، لكن هناك دليل آخر جاء: **صدقة تصدق الله بها عليكم**.

وكما في حديث ابن مسعود وهذا أصرح في الدلالة، ابن مسعود قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**. فقال ابن مسعود: **وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**. من أين أتى ابن مسعود بهذا الكلام؟ بالمفهوم، جاء نص من النبي -صلى الله عليه وسلم- يقر ذلك، قال: **ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**. فيها دلالة على أن المفهوم حجة، لا سيما والسياق.

إذاً لله عينان وهي من الصفات الخبرية، وإثبات أصل الصفة من الكتاب والسنة والإجماع، وإثبات العدد من السنة كما قلنا والقرائن المحتقة. هناك من الطوائف عندما ينظرون إلى هذه الصفات منهم من ينفي هذه الصفات كلية، ومنهم من يثبت الصفة وينفيها أو يعطّلها تحريفاً، ثم ذلك تأويلاً، فيقول العين هنا بمعنى الكل والعناية. فالرد عليهم من وجوه ثلاثة احفظوها دائماً:

- أولاً: يسعكم ما وسع النبي -صلى الله عليه وسلم-، يسعكم ما وسع الصحابة. لأن النبي الذي قرأ: **(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)** [القمر:14]، والنبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي أنزل الله عليه **(وَلِثُصْنَعٌ عَلَى عَيْنِي)** [طه:39]، **(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** [الطور:48] ولم يتكلم زيادة عن ذلك. وهم فهموا أنها للرعاية والعناية، فهموا ذلك مع إثبات الصفة.

- الثانية: يسعكم ما يسع السلف، وأنتم بذلك خالفتم الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. ونحن أسعد منكم في كل شيء، أثبتنا الصفة وأثبتنا لازم الصفة. لازم العين هو الكل والعناية. لما أقول لا بد أن ترعى أمي، ترعى أخي، ترعى ابني. يقول لك في عيني. "في عيني": وأنا أراه أرحاه، إذا كنت أراه فأنا أرحاه. ولا يمكن أن يقول أراه إلا بإثبات الصفة. إذاً قال الله تعالى: **(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** [الطور:48]، إثبات لصفة العين وإثبات أيضاً للرعاية والكل.

ثم قال: والوجه والعلم. ذكر الوجه، والوجه أيضاً من صفات من صفات الخيرية والصفات الذاتية. وما معنى الصفات الذاتية؟ الذاتية هي الأزلية الأبدية، التي يتصف الله بها أزلاً وأبداً. وبالمفارقات يتقن طالب العلم. والفرق بينها وبين الفعلية؛ الفعلية قد يتصف الله بها حيناً ولا يتصف بها حيناً. الضحك، صفة من صفات الله، هل ما زال الله ضاحكاً أزلاً وأبداً؟ لا. **يضحك الله لرجلين ...، ضحك الله من عباده يقنطون مع قرب غيره.** فهناك لضحك الله جلّ وعلا. نعم يضحك، هو الذي قال عن نفسه ذلك. لكن الصفات الفعلية ذاتية الأصل، قديمة النوع حادثة الأفراد.

الوجه أيضاً صفة من صفات الله جلّ في علاه، ووجه الله أيضاً له صفات: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:27]. صفة ثابتة لله جلّ في علاه بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة؛ بالكتاب كما قال الله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:26-27]، فوصف الوجه بأنه ذو الجلال والاكرام. وأيضاً قال الله تعالى: (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) [البقرة:272]، فالغرض ذكر الوجه تصريحاً. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ما أنفقت نفقة تبتغي بها وجه الله حتى اللقمة في فيّ امرأتك إلا كانت لك صدقة، أثبت الوجه.** وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.** هذا كله ثابت.

صفة الوجه ثبتت في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. وأنت إن رأيت ترى الوجه يوم القيامة لما يكشف الحجاب، لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- كما صحّ في حديث الصحيحين: **جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما من ذهب، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما من فضة، وما بين القوم وما بين أن يروا ربهم جلّ في علاه إلا رداء الكبرياء على وجه الله جلّ في علاه.** وطبعاً الذين أولوا الوجه بالذات، هذا تحريف وليس تأويلًا. بل هي صفة مستقلة وصفة يتصف الله بها جلّ في علاه.

والعلم، وصفة العلم بالكتاب وبالسنة وبإجماع أهل السنة صفة ثابتة لله جلّ في علاه. قال الله جلّ وعلا: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق:12]، لا سيما علم الغيب، (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [النمل:65]، إذا ثبتت هذه الصفة بالكتاب. وبالسنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **اللهم إني أستخيرك بعلمك فإنك تعلم ولا أعلم**، هذا أثبت العلم لله.

وعلم الله جلّ وعلا قد أحاط بكل شيء، علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون. وعلم الغيب خاص بالله جلّ في علاه، ومن ادّعى علم فقد كفر. والمسألة فيها تفصيل، الغيب غيبان: غيب نسبي وغيب مطلق. الغيب النسبي ممكن لأحد الناس أن يعلمه، مثلاً: زيد سرقة عمرو، والجن الذي مع زيد يخاطب الجن الذي مع عمرو فيخبره أن زيد هو السارق، إذا علمه الجن وخفي عنا. فمن ادّعاه لا نقول له أنه كفر، لأن هذا غيب نسبي إضافي. مثلاً: في الشارع حدثت مسألة، ورجل كان موجود تحت وعلمها، نحن لا نعلمها. فمن قال: أنا أعلمها من تحت، نقول له: إذا لا شيء عليه، حضرها. أما الغيب المطلق ما سيحدث في غد.

قدّر الله سمعت الدكتور المشرف عليّ في رسالة الدكتوراه يتكلم مع واحد يتكلم في مسألة النجوم. هو يقول له: أنت كيف تقول النجوم؟ والرجل يقول له: نعم، بيوت القدر وبيوت النجوم. ويتكلم الآن في الكهانة وفي التنجيم. ماله ومال السلفيين؟ فقال: حتى لا يطلع بعد الجمعة واحد يقول لك وبول الإبل. ماله ومال بول الإبل؟ وينكر أن بول الإبل شفاء. في الصحيحين: أن النبي قال: **فليشربوا من ألبانها وأبوالها**. فسبحان ربي العظيم. لهذا أقول لطلبة العلم عضوا بالنواجذ على هذا العلم عندكم، اتقوا الله واحترسوا لأن البدعة إذا أطلت هدمت وضيعت.

الغرض المقصود أن مسألة التنجيم مسألة الكهانة مسألة إخبار ما في الغد مسألة الأبراج، هذه كلها مسائل فيها ما فيها من الكفريات. لا يجوز بحال من الأحوال أن يدّعي أحد الغيب لأن النبي قال ذلك، قال: **من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد.** قال الله جلّ في علاه: **(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)** [النمل:65]. لما جاءت الجارية تغني بين يدي النبي: وفينا نبيّ يعلم ما في غد. كانت تغني بأشعار العرب ثم قالت: وفينا نبيّ يعلم ما في غد. قال: لا، قفي حسبك لا تقولي هذا، عودي إلى ما كنت تقوليه. النبي -صلى الله عليه وسلم- نفسه قال: **(وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)** [الأعراف:188]. أعظم الأمثلة التي تبيّن لك عدم علم النبي -صلى الله عليه وسلم- الغيب، حادثة الإفك. شهر يذهب يسأل أسامة، يسأل الجارية، يسأل علي بن أبي طالب، لو يعلم الغيب ما كان فعل ذلك. فإذا الغيب لا يعلمه إلا الله جلّ في علاه.

والقوة والقدرة، والله جلّ وعلا هو القوي العزيز، وقدرة الله جلّ وعلا **(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [البقرة:109]. ولا يقال: إن الله على ما يشاء قدير، في هذا الباب لأن هذه فيها إلماح، طبعاً هو كلام المعتزلة في هذا الباب. أنت تسلم خذ طريقة السلف، السلف من الأول يفعل ذلك، الدليل هو القائد لك، هل جاءت الآية إن الله على ما يشاء قدير؟ أم جاءت **(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [البقرة:109]؟ إذاً يقال: إن الله على كل شيء قدير. وطبعاً المؤولة يثبتون هذه الصفة، يثبتون سبع صفات.

والعزة، عزة الله جلّ في علاه، والعزة بمعنى المنعة والقدرة والغلبة، وهذا أعظم ما يكون لله جلّ في علاه. ولذلك العزة أيضاً للمؤمنين لكنها ليست متكاملة، **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** [المنافقون:8]، هنا العزة عزة الغلبة وعزة القهر وأيضاً عزة العلو. الله جلّ وعلا عزيز في الشأن وعزيز في القدرة والقوة والمنعة. أرض عزاز: ممنوعة ما أحد يستطيع أن يدخلها. لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **قال الله**

تعالى: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني، سبحانه جلّ في علاه.

والعظمة، وهذه العظمة لله جلّ في علاه. لذلك من تعاضم في نفسه فهو أخسّ الناس، وأحقّر الناس بل أغيب الناس عند الله جلّ في علاه لأن هذه صفة ايضاً. أغيب الناس عند الله الذي يتعاضم في نفسه. ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: قال الله تعالى: **العظمة إزاري والكبر ردائي، من نازعني فيهما عذبتة**. فالعظمة لله جلّ في علا وهو العلي العظيم، لذلك ترى أن العظمة تقترن كثيراً مع العلو.

والإرادة والمشیئة. وهذه فيها دلالة على فقه المصنف، لما يجمع لك بين الإرادة والمشیئة. ما هو بديع التصنيف لما يجمع بين الإرادة والمشیئة؟ الإرادة إذا أطلقت هي إرادتان: إرادة كونية وإرادة شرعية، والإرادة الكونية هي المشیئة. سمى الإرادة التي هي المحبة، وسمى المشیئة المسألة الكونية التي بها يكون. وطبعاً ضابط الإرادة الكونية التي هي المشیئة أنها عامة في كل ما يحب الله وما لا يحب الله. يعني هل يشاء الله في الكون ما لا يحبه؟ نعم، في الكون يشاء الله شيء لا يحبه ولا يرضاه. شاء الله وجود إبليس وهو لا يحبه ولا يرضاه، شاء الله وجود أبي لهب وأبي جهل وهو لا يحبهم ولا يرضاهم. قال الله جلّ في علاه: **(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)** [الزمر:7].

فاذاً في الكون ما شاء الله ولا يحبه لحكمة عظيمة. الإرادة إرادتان: إرادة كونية وإرادة شرعية. الإرادة الشرعية هي المحبة، والإرادة الكونية هي المشیئة. وقد يشاء الله تعالى في الكون ما لا يرضى ولا يحب لحكمة عظيمة، لذلك قلنا المشیئة قرينتها الحكمة. لأنك لا بد أن تقول يشاء الله في الكون ما لا يحب ولا يرضى لحكمة بليغة، هناك مصالح أخرى بالأمور

التي لا يحبها الله ولا يرضاها. إذاً المشيئة لا بد أن تكون قرينة الحكمة، لذلك قال الله جلّ في علاه: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) [الإنسان:30-31]. المشيئة لا بد أن تجمع معها الحكمة، وانظر في كل آية ذكرت المشيئة لا بد أن ترى الحكمة قرينتها صريحةً أو في السياق، فالمشيئة قرينتها الحكمة.

قال: **والقول والكلام**، القول والكلام سيأتي به هو صفة الكلام لله جلّ في علاه.

قال: **والرضا والسخط**. الرضا أيضاً صفة من صفات الأفعال، لأن الله يرضى عن الجميع، عن جميع المخلوقات. الرضا صفة فعلية، يرضى عن أقوام ويسخط على أقوام. وطبعاً ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة: أما بالكتاب: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) [الفتح:18]، وأما بالسنة: **إن الله ليرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمد عليه، وإذا شرب الشربة أن يحمد عليه**. والرضا لازمه الإثابة، رداً على المحرّف والمؤول الذي يقول الرضا بمعنى إرادة الثواب. فالإرادة أصالة صفة من صفات الله جلّ في علاه، فلم تؤول وتحرف؟ وطبعاً الرد عليه إجمالاً (لأننا نُجمل للمبتدئين): يسعكم ما وسع النبي -صلى الله عليه وسلم-، لأنه قال: **إن الله ليرضى**، ولم يقل يريد الإثابة، ويسعكم ما وسع الصحابة. وبما قلتم خالفتم الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. فالرضا صفة من صفات الله جلّ في علاه.

والسخط. كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إن الله أحب قوماً، ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط**، في حديث آخر: **من أَرْضَى النَّاسَ عَلَى سَخَطِ اللَّهِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**. والآيات: (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) [المائدة:80]، نعوذ بالله من الخذلان.

قال: **والحياة**. لا يصح بحال من الأحوال أن تقول بأن الحياة من الصفات الفعلية، معنى ذلك أن الله يتصف بها حيناً والله يقول: **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [البقرة:255]. فالحياة من الصفات الأزلية، يتصف الله بها أزلاً وأبدًا، **(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** [الرحمن:26-27]. صفة الحياة ثابتة بالكتاب والسنة؛ الدليل من الكتاب: **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [البقرة:255]، كل آية ذكرت اسم الحي فيتضمن صفة الحياة. السنة: **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**، دليل آخر: **إن الله لا ينام**، هذه اسمها الإثبات بالمفهوم لأن النوم موت، فإذا نفى الموت فالحياة موجودة. أما بالتصريح، ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **لَعَمْرُ اللَّهِ**. وردت في الصحابة. معنى **لَعَمْرُ اللَّهِ** وحياة الله، قسم بحياة الله جلّ في علاه، هذا قسم بالصفة وهي من الصفات الأزلية.

قال: **والحياة واليقظة والفرح والضحك**. طبعاً اليقظة ليست صفة، هذا من باب الخبر. اليقظة ليست صفة لله جلّ في علاه، ما في أي دليل، ونحن قلنا من ضوابط الصفة: **قل أنا لا أصف ربي إلا بالكتاب أو بالسنة**. فاليقظة ليست صفة، هذا من باب الخبر، ومعنى اليقظة هنا هو يقصد بذلك أن الله لا يغفل عن عباده. كما قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ)** [المؤمنون:17]، وفي سورة الأعراف: **(وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ)** [الأعراف:17]. فهنا اليقظة يقصد بها عدم الغفلة.

قال: **والفرح**، والفرح صفة من صفات الله جلّ في علاه، ثابتة بالسنة وإجماع أهل السنة. **إن الله أشد فرحاً بتوبة العبد من أحدكم ذهب** عنه راحلته، هذا تصريح بأن الله يفرح. إذا قلنا أثبتنا لله صفة فهناك ضوابط ثلاثة تسير مع هذه الصفة:

- الضابط الأول: ضابط المسألة في الآية، أي صفة لا بد أن تردّها على هذه الآية: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** [الشورى:11]. إذاً معنى ذلك نقول بأنه إذا قال: الفرح، نعم الفرح بلا تمثيل بلا تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف. بلا تمثيل: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**. والفرق بين التمثيل والتشبيه:

التمثيل الاستواء في كل الصفة، والتشبيه في أغلب الصفة. يفرح، نعم يفرح بما يليق بجلاله وكماله وبهائه وعظمته. والعبد يفرح بما يليق بعجزه ونقصه.

- وعندنا القاعدة الباهرة التي ترد على أهل البدع، **التساوي في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى**. التساوي في الاسم قدرٌ مشترك، ولا بد من قدرٍ مفارق. لأنه بما يليق بجلال الله والآخر بما يليق بعجز عبده. هذا في الدنيا بل في المخلوقات ومن باب أولى في الخالق.

يد القرد، يد الأرنب، يد الانسان. الثلاثة اسمها يد، اشتركوا في الاسم. ننظر للمسمى: يد القرد تساوي يد البشر؟ أبدأ، الفرق واضح. يد الانسان ويد الارنب؟ الفرق واضح. إذاً لا بد أن تحفظ هذه القاعدة في الرد على البدعة، تقول: والاشتراك في الاسم لا يستلزم الاستواء في المسمى. التساوي في الاسم لا يستلزم الاستواء في المسمى بحال من الأحوال، هذا على ما يليق بالله جلّ في علاه وجلاله وعظمته وبهائه، وهذا على ما يليق بعجزه ونقصه.

وطبعاً كل هذه الصفات لها لوازم؛ الرضا لازمه إرادة ثواب، الفرح لازمه الإسعاد والإثابة، السخط لازمه العقوبة (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) [الزخرف:55].

قال: **والضحك**، وكما قلنا الحديث: **جاء أبو رزين فقال: يا رسول الله! أضحك ربنا؟! قال: نعم، قال: وما يضحك الرب؟ قال: أن تدخل مقبل غير مدبر، فقال: يا رسول الله! لن نعدم من رب يضحك خيراً**. له أسنان وشفة ولسان؟! لأنه لا يمكن الضحك إلا بالفم، والفم لا بد من شفاة وأسنان؟! هذا اسمه تكييف ثم تشبيه فدخل في الكفر مرتين. لذلك نُعيم بن حمّاد قال: **من شبه الله بخلقه فقد كفر**. نعم يضحك الله، كيف؟! لا يمكن صفة إلا ولها كيف، لكن الكيف مجهول. لا كيف معلوم، لكن لا بد أن نعلم أن هناك كيف يعلمه الله من الغيب، من باب التسليم

لله جلّ في علاه. آمنت بالله بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله بما جاء عن رسول الله وعلى مراد رسول الله.

ثم قال: وغيرها، من غير تشبيهٍ لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، من غير زيادةٍ عليه ولا إضافةٍ إليه. انظر هو يجلي لك عقيدة السلف، قف مع النص لا تتعداه ولا تتجاوزة. ولذلك قال: إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الحق. هذا في كل شيء، العلم "قال الله قال رسوله"، لكن بالذات في مسائل الاعتقاد ما في أجد، ما في أظن، ما في أرى. بالذات في مسائل الاعتقاد "قال الله قال الرسول أو أجمع الصحابة"، ولذلك هو قال: "قال الله قال الرسول"، ثم من بديع التصنيف هنا لتعرف العقيدة السلفية قال: من غير زيادةٍ عليه ولا إضافة. لأن الذي يزيد على ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنه يقول: إما لا يعلم وإما كتم.

لما يقول: قال الله قال الرسول، قلنا جزاك الله خيراً هذه عقيدة السلف أنها لا تعتقد إلاّ بدليل ب"قال الله قال الرسول". ثم زاد هنا إيضاحاً قال: من غير زيادةٍ عليه ولا إضافةٍ إليه. لأن من زاد عليه أو اضاف إليه أحد الرجلين وهذا لازم ما يفعل: إما أنه قال كتم رسول الله، إذاً لازم فعله ولازم تأويله وتحريفه أو زيادته كتم رسول الله. لما يقول الله جلّ في علاه: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) [القمر:14]، ويقرأها النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقرأها الصحابة ولا يزيد النبي -صلى الله عليه وسلم-. ويأتي الآخر يقول: بكلّنا، فقد زاد، والزيادة هذه فيها احتمالان: الاحتمال الأول كتم رسول الله أي كتم علينا أنها ليست العين ولكنها بكلّنا، أو لم يعلم رسول الله وعلم هو. وهو بين أمرين أحلاهما مر، كلاهما كفر. إذا قال: لا يعلم، كفر.

الأعرابي الغر هو الذي قسم ظهر ابن أبي دؤاد المعتزلة بهذا. لما دخل عليه وقال: القرآن مخلوق، فقال: يا هذا لي سؤال؟ يا هذا ما تقول أنت، أعلمه رسول الله أم لم يعلمه؟ قال: لا، لم يعلمه. فنظر إليه، فترجع ابن أبي دؤاد علم بذلك أنه قد كفر، فقال: لا، أرجع عن قلبي. قال: نرجع، الذي تقوله هذا أعلمه رسول الله أم لم يعلمه؟ قال: علمه رسول الله. قال له: كتمه أم تكلم به؟ قال: كتمه. قال: ألا يسعك ما وسع رسول الله. ثم قال له: الصحابة علموه أم لم يعلموا؟ قال: علموه. قال: كتموه أم تكلموا به؟ قال: كتموه. قال: يسعك ما يسع الصحابة. فقام المؤمن وقال: لا وسع الله على من يسعه ما وسع رسوله ووسع الصحابة رسول الله. فقول ابن أبي دؤاد اندحر هنا مع قول الأعرابي.

فهنا قال: **من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.** فالذي زاد كأنه يقول: قول الله جلّ في علاه: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** [المائدة: 67]، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم: **اللهم بلغت، اللهم فاشهد.** كأنه كذب ذلك أنه لم يُبلغ. أو إذا قال: نعم بلغ، قلنا: إذا أنت تقول إنه لا يعلم وأنت علمت فضنّ الله بالعلم على رسوله وأعطاك إيّاه. فماذا يقول؟ لا يمكن أن يقول نعم، فيقول: لا. نقول: قف عندما اوقفك رسول الله. الأدب **(لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)** [الحجرات: 1]. أي أحد ينقل لك عن السلف ستجد الدرر، عندما ينقل لك عقائد السلف بهذه الطريقة.

قال: **بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكيف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر؛ ويجرونه على الظاهر.**

هو قال: **بتأويل منكر**، يعني لو هناك تأويل غي منك يجوز؟! التأويل المنكر الذي ليس له أصل من العرب أو ليس له قرينة داعية. والتأويل غير المنكر هو الذي أنت القرينة الداعية

من السياق أو السباق أو الأدلة الأخرى تثبت أن مراد الله في هذا أو مراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا، فهذا الذي نقله ولا نردّه. أما كل تأويل عندنا مردود حتى تأتي قرينته، إذ الأصل في اللفظ "الظاهر يبقى على ظاهره".

قال: ويُجرونه على الظاهر، وَيَكِلُون علمه إلى الله تعالى. هذا أمرٌ لا نريده ولا نقله، قف عنده الآن. إذا قلنا بكلامه على الظاهر، نعم (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]. لكن أن يقول: وَيَكِلُون علمه إلى الله، هذا التفات لتفويض المعنى، ونحن نعلمه. فإن كان المقصود المعنى، قلنا قف معه الآن هنا لأن هذه كلمة موهمة. فلو كانت كلمة موهمة فصلها أولاً، ثم بعد ذلك نأتي بالاعتذار له.

نقول: يَكِلُون علمه إلى الله: يَكِلُون علمه المعنى أو يَكِلُون علمه الكيفية. فنحن نقول المعنى لا بد أن نعلمه، كما قال مالك: الاستواء في اللغة معلوم. ما كلمنا الله بما لا نعلم، نحن نعلمه، لكن نكل علم الكيفية إلى الله لأنها غيب لا نعلم عنها شيء. لكن معنى الصفة نعلمه، ولا نكل المعنى إلى الله، هذا لا يصح لأن معناه تفويض. والتفويض -كما قلنا ذلك من السلف- تفويضان:

- تفويض كيفية وهذا الذي ندين الله به، كيفية الصفة إلى الله، غيب آمننا بها.

- تفويض المعنى، هذا فعل أهل البدع، هذا اعتقاد أهل البدع. يقولون الله خاطبنا بما لا نعقل، مع أن الله قال: (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء:192-195].

إذاً هنا نكل علمه يعني علم التكييف. لكن لو المقصود به المعنى فلا وألف لا، فليس هذا من اعتقاد السلف. اعتقاد السلف "علم المعنى مع تفويض الكيفية". قال: وَيَكِلُون علمه إلى الله تعالى، ويقرّون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله. إذاً تأويله الكيف.

قال: ويقرّون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران:7].

بعض أهل البدع قالوا: في قول الله تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) [آل عمران:7] يعني لا نعلم عنه شيء، فقط آمنا به. وقالوا: هذه الآية على المتشابهات، والصفات من المتشابهات. وهذا قول أهل البدع والضلالة. أما أهل السنة والجماعة يقرؤونها: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [آل عمران:7]، وصل دون الوقف. لذلك قال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

فالصفات يُعلم تأويلها يعني المعنى، وإذا قلنا التأويل تأويلان: تأويل معنى وتأويل كيفية، إذاً نصل ونقف. فإن استحضرنا المعنى قلنا (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)، وإن كان الكيف (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) قف، (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ). لأن الكيف غيب، والغيب لا بد أن تسلّم له (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [البقرة:3].

التفويض مثلاً: قال الله جلّ في علاه: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]، فنقول له ما معنى اليد؟ يقول: يد: ياء ودال، هذا الذي اعرفه، ما أعرف إلا ذلك. يفوّض المعنى، يقول: حروف انضمت إلى بعضها فخرجت كلمة اسمها يد. هذا تفويض المعنى، أنه ما يعلم عنها شيء. مع أن اليد التي بها القبض والبسط والعطاء والسخاء والجود. فهذا اليد، معلومة في اللغة. هو يقول لا أعلم عنها إلا الياء والدال، هذا تفويض المعنى. والأخرى تفويض الكيفية، كيف يد الله؟ نقول له لها كيف لكننا لا نعلمها نفوّض الكيف لله.

قال: وآيات الكتاب وأخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مخرَج بالأسانيد الصحيحة في كتاب الانتصار. وشرطنا في أول هذا الكتاب الاختصار والاقتصار على أدنى المقدار، دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدنا الصحيحة عن نَقْلَةِ الآثار ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار.

قال: القرآن كلام الله:

قال: ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله، غير مخلوق. هنا الآن يثبت لك اعتقاد السلف الظاهر فيما يقول. قال: ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافرٌ عندهم، يعني عند أصحاب الحديث، أجمعوا على أن من قال القراءان مخلوق فقد كفر، كما نقل أحمد وغير أحمد.

قال: والقراءان الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، (قرأنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا) []، كما قال عز وجل: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء:192-195]. وهو الذي بلغه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمته، كما أمر به في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) [المائدة:67]، فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل. وفيه قال -صلى الله عليه وسلم-: أتمنعوني أن أبلغ كلام ربي. وهذا استدلال واستشهاد بالكتاب واستشهاد بالسنة. قال: وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث ثلّي وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها، كله كلام الله جلّ جلاله، غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

هنا ذكر صفة من صفات الأفعال وهي من أهم الصفات وهي الصفات "القرآن كلام الله جلّ وعلا". أولاً الله جلّ وعلا يتكلم؟! نعم يتكلم الله جلّ في علاه بصوتٍ وحرف، فصفة الكلام ثابتة لله جلّ وعلا بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة بل والقياس. وناحية القياس، أننا نقول الذي يتكلم أكمل من الذي لا يستطيع الكلام، وهذا كمالٌ في المخلوق، والقاعدة "كل كمالٍ في المخلوق من باب أولى أن يتصف بها الخالق". هذه قاعدة عند العلماء في مسألة القياس، لا قياس بين الله وبين عباده إلا في القياس الأولوي فقط، كل كمالٍ يتصف به المخلوق فالله أولى به. وكل قاعدة لها مستثنيات.

قالوا الكلام في البشر كمال، إذاً صفة الكلام للخالق كمال. نقول هذا من ناحية القياس، أما الكتاب فيغنيانا، الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. الكتاب: قال الله جلّ في علاه: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [النساء:164]، وقال الله جلّ وعلا: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) [الأعراف:143]. وهنا الله جلّ وعلا قد تكلم مع بعض خلقه؛ تكلم الله مع آدم، تكلم الله مع السماء، مع الأرض، مع الجنة، مع النار، مع عبد الله بن حرام، أيضاً تكلم الله جلّ في علاه مع إبليس، فيتكلم الله جلّ وعلا مع الخلق.

والقرءان خاص، القرءان كلام الله جلّ في علاه. ولذلك أنا أقول ما في دليل على أن التوراة كلام الله، ما في دليل أن الله تكلم بالتوراة. ابن عباس قال في بعض آيات سورة البقرة على كلام الله جلّ وعلا، قال: **كلام غير التوراة**، يقول: **ميزة القرآن عن التوراة أن القرآن تكلم الله به**، لا سيما وأن الحديث قال: **وخط لك التوراة بيده**، لكن الجميع من عند الله.

فالكلام، تكلم الله جلّ في علاه كما دلت الأدلة على ذلك، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق**.

لا بد أن نعلم أمراً، الكلمات لا يمكن أن تكون الكلمات الكونية لأن الاستعاذة بغير الله شرك. أحمد بن حنبل يستدل بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أعوذ بكلمات الله التامات**، أن كلام القرآن كلام الله غير مخلوق. لمّا أقول أعوذ بكلمات الله، وأضاف الكلام لله جلّ في علاه أعمّ من القرآن. ولذلك قال الله جلّ وعلا قد تكلم مع جميع خلقه، تكلم الله مع آدم، ما تكلم معه بالقرآن. قال الله جلّ في علاه لآدم: يا آدم أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. حتى اشتد الأمر على صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فإذا تكلم الله مع آدم.

تكلم الله جلّ في علاه مع جبريل بالوحي، إذا بالقرآن. هناك أيضاً كلام مع إسرافيل. الكلام مع الجنة والنار عندما احتجت الجنة والنار، **قالت الجنة: لا يدخلني إلا الضعفاء، قالت النار: لا يدخلني إلا المتكبرون.** قال الله جلّ في علاه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء وأنت رحمتي **أرحم بك من أشاء.** وتكلم الله مع السماء والأرض: **(اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)** [فصلت:11]. وتكلم الله جلّ في علاه مع ابليس: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ)** [ص:75]. وتكلم الله مع القلم، **أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب وهو كائن إلى يوم القيامة.** أصل الكلام، كلام الله جلّ في علاه ثابت بالكتاب. وبالسنة: **أعوذ بكلمات الله التامات.**

والقرآن كلام الله، والدلالة على ذلك لتعلم هنا ممكن العام يريد به الخاص، لأن الله جلّ وعلا قال: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)** [التوبة:6]، المقصود بكلام الله هنا "القرآن". الكلام: إضافة أعيان مستقلة بذاتها كعيسى كالكعبة كالناقة، وإضافة معاني. إضافة المعاني هي إضافة الصفة للمصروف، وإضافة الأعيان المستقلة إضافة المخلوق للخالق.

وأيضاً من الآيات التي تثبت أن القراءان هو كلام الله جلّ في علاه، قال الله جلّ في علاه عن اليهود والنصارى وأهل مكة أيضاً: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [الفتح:15]، والكلام هنا مضاف إلى الله جلّ وعلا إضافة صفة للموصوف. وأيضاً في قول الله جلّ في علاه عن اليهود: (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) [البقرة:75]، لكن هنا إما نقول بالتوراة وإما نقول إنه غير التوراة وإما نقول إنها على القراءان. ابن عباس هنا في هذه الآية قال: هذا ليس بالتوراة، قال: ولو قلنا التوراة لأنزلناها منزلة القراءان، ولا تنزل منزلة القراءان.

أيضاً قال الله جلّ وعلا: (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء:192-195]، هذه دلالات ثلاثة تثبت أن المقصود بذلك القراءان. الدليل الثالث (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، هذا دلالة واضحة جداً على أنه يقصد بذلك القراءان، فالقراءان كلام الله.

أما من السنة فكثير؛ كان النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: **أصدق الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-**. وأيضاً إجماع الصحابة قد ورد عبد الله ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه- يقول: **تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القراءان، فالتقى نور القراءان مع نور الإيمان فازداد الإيمان**. وكان عبد الله بن مسعود يأخذ المصحف ويقول: **كلام ربي كلام ربي**. من أراد أن يختبر حبه لله فليعرض نفسه على كلامه، فإن أحبه أحب الله لأنه **صفة من صفاته**. وأيضاً عثمان بن عفان قال: **لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا**، وأضاف الكلام لله جلّ في علاه. وأيضاً ابن عباس لما دخل على عائشة قال: **أنت زوجة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا والآخرة، أنت حبيبة الرسول**. أبشري، قد أنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، يقصد بذلك القراءان في الآيات التي نزلت لبراءة عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-.

كما قلنا الكتاب والسنة أثبتا صفة الكلام لله، قال: **فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.** وهذا إجماع للسلف "أن من قال القراءان مخلوق فقد كفر"، من وجوه ثلاثة:

- الوجه الأول: أنه شبه الخالق بالمخلوق، على أساس أنه تحله الحوادث. طالما قال: القراءان مخلوق فهو حادث، فتحله الحوادث، فشبه الخالق بالمخلوق. ونعيم بن حماد يقول: **من شبه الخالق بالمخلوق فقد كفر.**

- الوجه الثاني: كذب الله، لأن الله تعالى قال إن هذا الكلام هو تكلم به: **(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى) [الشعراء:10]**، **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) [البقرة:34]**. فهو يكذب يقول هذا مخلوق، والله تعالى يقول هو قولي أنا تكلمت به. ولذلك الحديث الصريح قال: **يحشر الله الأولين والآخرين ثم يناديهم جميعاً، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب.**

عدم الكلام نقص، لكن إذا قلنا الكلام مخلوق فقد وصفنا الله بالنقص. ولأن المخلوق فيه ما فيه من النقص، فهذه تثبت أن عدم الكلام صفة نقص. (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) [الأعراف:148].

- الوجه الثالث: عندما قال القراءان مخلوق، وقلنا القراءان صفة من صفات الله. إذا صفة من صفات الله حادثة، وما كان حادثاً يكون فيكون الله محلاً للحوادث، والمحل للحوادث هو المخلوق. أنا أنام وأقوم وأكل، هذا حادث. ذهبت إلى امرأتي، فابتسمت لي فابتسمت لها فأتيتها بهدية. فأعطينا هدية فقالت: أحبك، فقال: أحبك. فهو يتغزل لكنها منعتة الطعام والشراب، فتغير وضربها. فهنا تغير الآن من حال إلى حال، التغير هذا يعتبر هو محل للحوادث.

إذاً الثلاثة: شبه الخلق بالمخلوق، وهذه كفر. الثاني، كَذَّبَ الله. الثالث، وصف الله بالنقص. لأنه ما دام قال هو مخلوق، إذاً الله لا يتكلم. والذي لا يتكلم صفة نقص.

إضافة أعيان مستقلة بذاتها كعيسى روح الله، عيسى يأكل ويشرب ويمشي أمام الناس، فهذا عين مستقلة. الكعبة بيت الله، الكعبة هو مكان مستقل. الناقة. ليست معنى من المعاني، فهذه الإضافة إضافة مخلوق للخالق. أما الصفة التي هي المعنى. لَمَّا أقول: تكلم محمد كلاماً حسناً، فقال سعيد: نعم قد رأيت محمداً ورأيت الكلام يمشي خلفه، فقلت له: سلمت عليه؟ قال: سلمت فهجرني وأبى أن يكلمني. أحتاج تفسيراً لهذه القصة. غير معقولة، الكلام كان ماشي خلفه! سلمت عليه فأبى عليّ، لِمَ هجرني الكلام؟ مع أنني سلمت عليه، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أفشوا السلام بينكم. بل قال: لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا. هل أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.** وقد فعلت وهجرني الكلام؟! المفروض الرد عليّ يقول هذا كلامٌ غير معقول لأن الكلام معنى من المعاني وليس جسداً مستقلاً. ولا بد أن تقول الخطأ أن الكلام معنى من المعاني ليس ذاتاً مستقلة.

ولذلك أنا لَمَّا أقول لك ما الفرق بين الكعبة وبين الكلام؟ أن الكعبة عين مستقلة بذاتها، والكلام معنى في الذهن، معنى من المعاني. فلذلك قلنا إضافة المعاني هي إضافة صفة للموصوف. فنقول عزة الله إضافة صفة لأنها معنى من المعاني، رحمة الله نفس الأمر.

قال الإمام -رحمه الله-: سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القراءان كلام الله غير مخلوق، فمن قال إن القراءان مخلوق فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يُعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات. وهذا قول أئمة السلف مالك، ابن عيينة، الشافعي، ابن خزيمة، كذلك كثير من أئمة السلف وكيع بن الجراح. طبعاً كلام أحمد بن حنبل وكلام يحيى

ابن سعيد القطان كل هؤلاء قالوا: **من قال القراءان مخلوق فقد كفر**. ابن المبارك يقول: هو جهمي لا تحل ذبيحته ولا تنكح نساؤه.

قال: ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

فأما اللفظ بالقراءان، فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني -رحمه الله- ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان قال فيها: أن من زعم أن لفظه بالقراءان مخلوق -يريد به القراءان- فقد قال بخلق القراءان.

هنا تفصيل؛ الجرجاني يقول: من قال لفظي بالقراءان مخلوق يريد به القراءان. ماذا تفهم من هذا؟ أردت شيئاً مجملاً قاعدة كبرى في المسألة "الألفاظ الموهمة لا تقبل ولا ترد، نقف معها على التفصيل". إذا قال: لفظي بالقراءان مخلوق، هذا موهم، لأنه قد يقول لفظي بالقراءان مخلوق يقصد الأصوات الخارجة مني (الحنجرة، اللسان)، هذا حق. وإن قال: لفظي بالقراءان مخلوق يقصد به القراءان فقد كفر. فاللفظ الموهم لا نقبل مطلقاً لا نرد مطلقاً والإنصاف أن نقول بالتفصيل، ونقول والأولى والأحرى أن السلف يتجنبون مثل هذا.

أما أحمد فقد قال: **من قال لفظي بالقراءان مخلوق فقد كفر**، اللفظية، ويقصد بذلك الرد على الجهمية والرد على المعتزلة، لأنه شاع وذاع أنهم كانوا يتخذون هذه الكلمة تكأة من أجل أن يرتقوا بها إلى "القراءان مخلوق"، لأنه يسهل على الناس. لما سَهَّل على الناس، على آذان الناس سماع "لفظي بالقراءان مخلوق"، ويتساهلون في قبولها فإنه بعد ذلك يرتقي ويقول: والقراءان مخلوق. فكانت ذريعة، لذلك أحب أن يسد الذريعة. وإلا فالكرابيسي قال بذلك، ولو حققته ودققت كلام ابن تيمية وغير ابن تيمية، أنك لو حققت في المسألة بأن "لفظي بالقراءان مخلوق" يقصد بذلك الأصوات التي تخرج أنها مخلوقة، حقاً مخلوقة. لكن اللفظ، نفس اللفظ لا يصح التصريح به ولا الكلام به في محل البدعة قد انتشرت فيه.

ولا يصح نسبة ذلك للبخاري، ولو نسبت أنا ذلك للبخاري في بعض الدروس أكون قد وهمت. البخاري لم يقل "لفظي بالقرءان مخلوق". لم يقل ذلك، إنما البخاري قال: **الكلام كلام الباري واللفظ لفظ القارئ**. قال: **الكلام كلام الباري**، الذي هو القرآن. **واللفظ لفظ القارئ**، الأصوات والحجارة والأنفاس الداخلة والخارجة هذه للقارئ، وهذا الحق في هذه المسألة. هذا مجمل ما يقال في اللفظية.

قال: وذكر ابن مهدي الطبري في كتاب "الاعتقاد" الذي صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرءان كلام الله سبحانه، ووحيه وتنزيله، وأمره ونهيه، غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرءان في صدورنا محفوظ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به؛ ومن قال: إن القرءان بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم. وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه، فإنه اتبع السلف من أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في علم الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله.

كأنه يقول ومنهم نأخذ الحق في هذا الباب، لكن كما قلنا هو اجتماع واتفاق أهل السنة والجماعة أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أنه قد كفر. قد قال أبو زرعة وأبو حاتم وأحمد ابن حنبل والذهلي قالوا: من قال بذلك فقد كفر. ولذلك عبد الله ابن الإمام أحمد راجع أبيه في ذلك، ففصلها أحمد، لكنه أطلقها جملة من أجل سد الذريعة وحسب المادة. المعتزلة كانوا يتخذون هذه التكاأة ليرتقوا بها لأن يقولوا القرءان مخلوق. والقرءان ليس مخلوق، القرءان كلام الله، تكلم الله به بصوتٍ وحرف، وسمعه جبريل ونزل به إلى الرسول الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم-.

قال -رحمه الله-: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم، بنيسابور عن اللفظ بالقرءان فقال: لا ينبغي أن يناظر في هذا، القرآن كلام الله غير مخلوق.

وذكر محمد بن جرير الطبري- رحمه الله- في كتابه "الاعتقاد" الذي صنفه في هذه المسألة، وقال: أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن حنبل -رحمه الله-، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل -رحمه الله- يقول: اللفظية جهمية، قال الله عز وجل: (فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) [التوبة:6] ممن يسمع؟!

قال: ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه -رضي الله عنه- أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرءان مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

هو يقول القرءان كلام الله، فلا يقول مخلوق ويقول غير مخلوق. ويقول القرءان كلام الله، لأنه كما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وقبله السلف وقال الصحابة به، فالقرءان مضاف إلى الله جلّ وعلا إضافة صفة للموصوف. فالقرءان كلام الله كما قال ابن مسعود: كلام ربي كلام ربي. من أراد أن يختبر حبه لله رفع له فليعرض نفسه على كلامه، فإن أحبه فقد أحب الله. فالكلام صفة من صفات الله جلّ في علاه.

قال محمد بن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع -رحمة الله عليه ورضوانه-. هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها إلى ما هاهنا من كتاب "الاعتقاد" الذي صنفه.

نستخلص من ذلك أنه قد تأتي الألفاظ، وهذه الألفاظ تكون مستحدثة لم تُعرَف عن السلف. فالأسلم ألا نتكلم في باب الاعتقاد إلا بكلام السلف، والكلام المستحدث لا يجوز لنا أن نتكلم به. هذا الأسلم والأحكم والأعلم والأتقن والأعظم أجراً. فإن جاءت اللفظة المستحدثة وكانت موهمة فنقف عندها، لا نقبل مطلقاً ولا نرد مطلقاً. فنقول ما تقصد بهذه الكلمة؟ فإن كانت أثمرت حقاً قبلناها وإن اثمرت باطلاً رددناها.

لذلك دائماً لا بد أن تفهم إذا قال لك الجهة أو تكلم عن المكان لله جلّ في علاه، فلا بد أن تسأله: هذه لم تأتي عن السلف، ماذا تقصد؟ فإن وجدناها حقاً أخذنا بها وإلا رددناها. بهذا نكون قد انتهينا من الكلام على مسألة القرآن.

قول محمد بن جرير (القول التالي) مسألة مهمة جداً، لتعلم أنهم لما قالوا "لفظي بالقرآن مخلوق" أطلقوها، بأن من قال "لفظي بالقرآن مخلوق" كفر، يقصد بذلك حسم المد وسد الذريعة، لأن الجهمية اتخذوها تكأة من أجل القول بأن القراء مخلوق. وبهذا نكون انتهينا من هذه المسألة.

قال الإمام -رحمه الله-: قلت: وهو -أعني: محمد بن جرير- قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما تُسبب إليه وقُذِف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل إلى شيء من البدعة. والذي حكاه عن أحمد -رضي الله عنه وأرضاه-: **أن اللفظية جهمية** فصحيح عنه، وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القراء، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القراء، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القراء، فأدرجوه في هذا القول ذي اللبس. انظر فهو يقول لما قال "لفظي بالقرآن مخلوق" تلبيس، من أجل يتخذها تكأة ويصعد بها إلى أن يقول القراء مخلوق.

وختم بعد ذلك في الكلام نقلاً قال: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ: حدثنا أبو بكر محمد ابن عبد الله الجراحي بمرو: حدثنا يحيى بن ساسويه: حدثنا عبد الكريم السكري قال: قال وهب

ابن زمعة: أخبرني الباشاني قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: **من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أؤمن بهذا الكلام فقد كفر**، يريدون أن يقولوا **(تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ)** [النساء:150]، فهذا هو الكفر حقاً. وهناك لفظة أن أحمد قال: **القول في نفسه بدعة**. ولذلك نحن نقول في الألفاظ المبتدعة لا بد للإنسان أن ينحّي نفسه عنها. بذلك بفضل الله قد انتهينا من صفة الكلام وهو انتقل إلى الاستواء يكون إن شاء الله في الدرس القادم. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس الثالث: عقيدة السلف في صفتي الاستواء والنزول

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبى والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفا وبعد: إخواني الكرام ما زلنا مع هذه المجالس نسأل الله جلَّ وعلا أن يديمها علينا، نسأل الله أن ييسر لنا ولكم الهدى، وأن يغفر لنا الزلات والسقطات والهفات، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ويجعلنا ممن يتعلم ليتعبد وينشر ذلك بين الناس. وقد قال علمائنا في تفسير العالم الرباني قالوا: **العالم الذي تعلم العلم فتعبد به ونشره بين الناس وربى الناس بصغير العلم قبل كبير العلم**، لكن هو الوصف الدقيق في هذا أنه اتقن العلم وبعد ذلك ترجمه عملاً ثم نشر ذلك بين الناس فعبد العباد لرب العباد، لذلك قال ابن عيينة: **خير الناس على الإطلاق، الواسطة بين رب الناس وبين الناس**. ما زلنا مع عقيدة السلف للإمام الصابوني، نسأل الله جلَّ وعلا أن ييسر لنا إتمامها، وآمل خيراً واصدق الله يصدقك.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم صل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم. قال الإمام الصابوني رحمه الله: **استواء الله على عرشه**، سيتكلم على عقيدة الإستواء وهذه من الأهمية بمكان لأن هذه علامة فاصلة بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدعة والضلالة. فأهل البدعة والضلالة لا يختلفون على أن الله له العلو علو الشأن وعلو القهر والقدر سبحانه جلَّ في علاه، لكن الاختلاف كل الاختلاف في مسألة الاستواء على العرش.

قال رحمه الله: **ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته على عرشه مستوٍ كما نطق به كتابه في قوله عز وجلَّ في سورة الأعراف:**

(إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) [الأعراف:54]، وقوله تعالى في سورة يونس: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) [يونس:3]، وقوله تعالى في سورة الرعد: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) [الرعد:2]، وقوله في سورة الفرقان: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) [الفرقان:59]، وفي سورة طه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) [طه:5]، وقوله سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) [السجدة:4]، وقوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) [فاطر:10]. (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)، وهذا دلالة على العلو، الكلام ما ذكر العرش تصريحاً فذكر هذا، هذه من السبل والأدلة على علو الله جلَّ في علاه.

وقوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) [السجدة:5]، وقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) [الملك:16]. وأخبر الله سبحانه عن فرعون اللعين أنه قال لهامان: (ابن لي صرحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) (36) **أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**) [غافر:36-37]، وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه السلام يذكر أن ربه في السماء، ألا ترى إلى قوله: (**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**)، يعني في قوله إن في السماء إلهاً.

وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله، لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته، يثبتون من ذلك ما أثبتته الله تعالى، ويؤمنون به ويصدقون الرب جلَّ في علاه في خبره، ويطلقون على ما أطلقه سبحانه من استوائه على عرشه ويمرّونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله. ويقولون (**أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**) [آل عمران:7]، كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم فأثني عليهم به.

قال الإمام رحمه الله: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المَعْلَى: حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد: أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق: حدثنا أبو يحيى بن بشر الورّاق: حدثنا محمد بن الأشرس الورّاق أبو كنانة: حدثنا أبو المغيرة الحنفي: حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. هذا عن أم سلمة وهو ضعيف أيضاً، وجاء مرفوعاً وهو أضعف. وهو قال: الاستواء غير مجهول، معناه معلوم، وهذا تجريه على كل صفات، فتمرير الصفات تمرير الكيف لا تمرير المعنى، فالمعنى معلوم.

قال رحمه الله: وحدثنا أبو الحسن بن إسحاق المدني: حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي: حدثنا شاذان: حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني: حدثنا جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس عن قوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه. لمّا يقول: والكيف غير معقول، دلالة واضحة جداً على إثبات الكيف مع نفي معلومية الكيف، هو غيب فلا بد من التسليم التام له كما سيأتي بالشرح إن شاء الله. قال: والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه.

قال رحمه الله: أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الإسفراييني: حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن: حدثنا سلمة بن شبيب: حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني فسأله عن قوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، كيف استوى؟ قال:

فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرخصاء، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سري عن مالك فقال: **الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً**، ثم أمر به فأخرج.

أخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبو عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي: حدثنا سلمة بن شبيب: حدثنا مهدي بن جعفر الرملي: حدثنا جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:5]، كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكر بنحوه.

وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: **إنا لا نعرف من أنباء الغيب إلّا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه، ولم يخبرنا كيف استوى.**

الكلام في المتن، في النهاية ننظر إلى الكلام على مسألة من أنكر الاستواء، حكمه يأتي بعد الكلام على الاستواء. هو ذكر صفة هنا من صفات الله جلّ وعلا، ما زال الصابون يأتي بالأدلة والآثار على صفات الله جلّ في علاه. وقلنا هذه طريقة المتقدمين بأنه يصدر الباب في الاعتقاد بالدليل، إذّا قلنا (اعتقد ثم استدل) هذه عقيدة الخلف، وعقيدة السلف (استدل ثم اعتقد)، عقيدتك لا تكون إلّا بعد الدليل من الكتاب والسنة.

هنا ذكر الأدلة الكثيرة على استواء الله جلّ في علاه بالكتاب والسنة، وأيضاً الحق بأن الاستواء ثابت لله جلّ في علاه بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، بل والعقل والفطرة أيضاً. والاستواء من صفات الأفعال لأننا قلنا إن ضابط صفات الأفعال هو أنها تتعلق بالمشيئة؛ يعني يوصف الله بها تارة ولا يوصف بها تارة. يعني هو لا يستوي إلّا حينما

أراد أن يستوي، فهي تتعلق بمشيئة الله جلّ في علاه. وتُجري هذه القاعدة على جميع صفات الأفعال، كلها قديمة النوع حادثة الأفراد. لا بد أن تفهم ذلك وإلا لحدث لك الخل العظيم في مسألة الاعتقاد في الله ربنا الجليل سبحانه جلّ في علاه، لأنك لو اعتقدت غير ذلك، قد اعتقدت أنه قد اكتسب كمالاً ولم يكن قد اتصف به قبل ذلك وهذا إيهام نقصٍ نعوذ بالله ينتزه الله عنه.

وهذا الفارق بين أهل السنة والجماعة وبين الكلائية، الذين قد وصفوا الله ببعض الكمالات ولكن قالوا قد اتصف بها ولم يكن قبل ذلك قد اتصف بها: كالكلام يقولون الكلام صفة من صفات الله جلّ في علاه غير مخلوق، لكنهم يقولون ولم يكن متكلاً قبل ذلك، يعني هنا الآن كأنه أوهم نقصاً أولاً. وكما قلنا لا، هي قديمة النوع حادثة الأفراد، لأن الساكت لا تقول عنه أنه لا يستطيع الكلام، لكن الساكت إذا تكلم تقول تكلم حينما أراد أن يتكلم.

(الاستواء) وهي الكلام على العلو، وصفة العلو من الصفات صفات الذات، والاستواء علو لكنه علو مقيد، لأن الاستواء على العرش علو مقيد. لكن صفة العلو المطلق هي صفة ذات، والعلو له مقامات وله أقسام:

العلو إذا قلنا العلو المطلق هو علو القهر وعلو القدرة وعلو الشأن سبحانه جلّ في علاه، وهذا لم يختلف فيه اثنان، هذا لم يختلف فيه أحد من الطوائف. بل الجميع اتفقوا على ذلك بأن الله جلّ وعلا جليل القدر جليل الشأن سبحانه جلّ في علاه، عليّ القهر قادرٌ قهار سبحانه جلّ في علاه، قال الله جلّ وعلا: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) [نوح:13]. فالله جلّ وعلا له الكمال المطلق والبهاء المطلق والعظمة المطلقة القدر والشأن العظيم، والجميع يتفق على ذلك. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر:15]، وأيضاً قال الله جلّ وعلا: يا عبادي كلّم ضال إلا من

هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

والنبي صلى الله عليه وسلم أيضاً قال: قال الله تعالى مبيناً سعة غنى الله جلّ في علاه وعطاء الله وعظيم قدر الله جلّ في علاه، قال: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي من شيء. فالغرض المقصود بأن علو الشأن لم يختلف فيه اثنان، فالله جلّ وعلا جليل القدر سبحانه جلّ في علاه.

وعلو القهر أيضاً لم يختلف فيه اثنان، حتى أهل البدع فهم يؤمنون بالربوبية أصالةً ويعتقدونها، فلذلك يقولون بعلو القهر وأن الله جلّ وعلا ما شاءه كان ولم يشأ لم يكن. قال الله جلّ في علاه: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) [الأنعام: 61]، وقال الله جلّ وعلا: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [النحل: 40]، سبحانه جلّ في علاه. ولذلك أنت ترى علو القهر بأن الله جلّ وعلا قادرٌ على كل شيء وإذا أراد شيئاً لا راد لقضائه بحال، (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل: 1]، وقال: (أَتَى) لأنه إذا قضى شيئاً لا بد أن يكون سبحانه جلّ في علاه.

وقد كتب الله الموت على الجميع ولا أحد يستطيع أن يرد على الله جلّ في علاه، هذا الأمر الذي قضاه الله جلّ في علاه حتى أهل الإيمان والصلاح، قال الله جلّ في علاه: وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، لكن لا بد له منه، لأن الله جلّ في علاه قد قضى، ذلك هذا العلو المطلق.

والعلو المقيد هو العلو على العرش، الاستواء على العرش، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان الله ولا شيء، وكان عرشه على الماء ثم استوى سبحانه جلّ في

علاه على العرش. قال الله جلّ في علاه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، وأتى بأكثر من موضع من كتاب الله جلّ في علاه (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [الحديد:4]، فالاستواء على العرش جاء في أكثر من آية ذكر فيها تصريحاً الله جلّ وعلا الاستواء.

الاستواء يتعدى له معاني كثيرة، الاستواء يتعدى بنفسه ويتعدى بإلى ويتعدى بعلى. فالاستواء له أدوات يتعدى بها. يتعدى بنفسه يكون له معنى، يتعدى بإلى يكون له معنى، يتعدى بعلى يكون له معنى. وهذه فيها دلالة واضحة جداً على أننا نقول بأن مسألة اللغة منضبطة بما جاء به الشرع والسياق يفسر ذلك:

◆ فإن تعدى بنفسه يكون بمعنى أنه قد بلغ المنتهى في النضج في الكمال في غير ذلك في الاستواء، كما قال الله جلّ وعلا: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) [القصص:14] من منتهى النضج والعقل بعته بعد ذلك رسولاً. وتقول العرب الطعام قد استوى بمعنى تم نضج الطعام. فيكون هذا استواءه التعدي بنفسه، إذاً يبلغ المنتهى في الكمالات هذا معنى الاستواء إذا تعدى بنفسه.

◆ وإذا تعدى بإلى يكون بمعنى القصد، إذا تعدى بإلى يكون المعنى أنه قصد كما قال الله جلّ وعلا: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) [البقرة:29]، وهنا اتفاق المفسرين على قول الله جلّ في علاه: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) بمعنى قصد السماء. (فَسَوَّاهُنَّ) خلقهن، (فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ). وهذا معنى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) يعني قصدهن فسواهن سبع سماوات، وهذه أيضاً فيها التعدي بإلى.

◆ والتعدي بعلى هو المقصود هنا، لأن الله جلّ وعلا في الآيات قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، "على" من العلو. فالتعدي بعلى بمعنى علا وارتفع أو علا واستقر إذا صح التعبير. (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يعني علا العرش.

الاستواء له أدلة كثيرة جداً قد جاء بها الكتاب والسنة، العلو جاء به الكتاب والسنة والإجماع بل والفطرة والعقل يؤيدان ذلك. علا في اللغة في حق الله العلو على العرش، لأن أنت ما تقول ذلك على كيفية، وإلا فأنت تقول له لو قلت للإنسان أنه علا على العرش يعني احتاج العرش فجلس عليه، أما العرش فهو يحتاج إلى الله جلّ في علاه، كل المخلوقات تحتاج إلى ربها جلّ في علاه. الدلالات في الكتاب والسنة:

🌿 الدلالة الأولى دلالة العلو والمصرّح بها بالأسماء (أسماء الله جلّ في علاه)، تقول إن الله يذكر الأسماء التي تتضمن صفة العلو كقول الله جلّ في علاه قال: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [سبا:23]. وأنت ترى هذه المسألة لما تجد اسمين كما قال ابن القيم: الاسمين مترادفين أو اسمين أيضاً يعني قد ذكرهما الله جلّ في علاه فيكون الكمال فوق الكمال. اسمٌ واحد فيه كمال، وكمال الاسم أنه علامة على ذات الله جلّ في علاه ويتضمن صفة هذا الاسم ويستلزم بعض الصفات الأخرى، فيكون معه اسم آخر فيكون كمال فوق الكمال، (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ). وقال جلّ في علاه: (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد:9]. فهو العلي اسم من أسماء الله جلّ في علاه وهو من الأسماء الحسنى، وإذا سألت طالباً للعلم لِمَ هي من الأسماء الحسنى؟ قل لأنه علامة على ذات الله ولأنه يتضمن صفة كمال. ما هي صفة الكمال في العلي؟ العلو (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)، ممكن كما قلنا تكون دلالة على الاستواء على العرش، ففيها أيضاً صفة العلو وهذه من أسماء الله جلّ في علاه يتضمن صفة العلو.

ومن ذلك أيضاً التصريح بأن الله جلّ في علاه قد علا على العرش كما قال الله في غير ما موضع ذكره المصنف: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، هذه أشهر الآيات التي أثبتت العلو على عرشه، وأيضاً قد قال الله جلّ وعلا: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [الحديد:4]، وأيضاً قد قال الله جلّ وعلا: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [الأعراف:54]، فهذا تصريح بالاستواء على العرش.

أيضاً من الأدلة الدالة على علو الله جلّ في علاه، كل الأدلة جاءت على الفوقية، كلها دلالة على علو الله جلّ في علاه. كما ورد أولاً في الآيات قال الله جلّ في علاه عن الملائكة: (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحریم:6]، قال الله في سورة النحل: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) [النحل:50]، وأيضاً في قول الله جلّ وعلا: (وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [الأنعام:61]. وأيضاً الحديث الذي جاء عن ابن مسعود موقوفاً وحكمه الرفع قال: والعرش فوق الماء والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه، كل هذه أدلة تدل على علو الله جلّ في علاه

أيضاً من ذلك التصريح بالعندية كما قال الله جلّ في علاه: (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) [الأنبياء:19]، والعندية هذه تدل على العندية هناك لما ذكر الله العرش، (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) والعندية هنا تدل على العلو (علو الله جلّ في علاه). أيضاً من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله كتب كتاباً هو عنده على العرش، لم قلت العندية تكون على العلو؟ نقول بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله كتب كتاباً هو عنده على العرش قال رحمتي سبقت غضبي أو رحمتي غلبت غضبي.

وأيضاً من ذلك من الدلالات على ذلك عروج الملائكة أو صعود الكلم الطيب، كما قاله المصنف، العروج لا يكون إلا بالصعود من أسفل إلى أعلى فيكون هذا علو، كما قال الله جلّ وعلا: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) [المعارج:4]، (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) [السجدة:5]، فالعروج يدل على العلو والملائكة تصعد وتخرج. وأيضاً من ذلك قال الله جلّ وعلا: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) [فاطر:10]، قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط، (يرفع القسط) هذه فيها دلالة أيضاً على العلو. ومن

ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **يتعاقبون فيكم ملائكة فيتقابلون في العصر وفي الفجر فيخرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم... إلى آخر الحديث، لكن قال: يعرج، إذا العروج إلى العلو.**

كل هذه أدلة تدل على علو الله جلّ في علاه، وكما أيضاً ورد في الصحيحين: **إن الله ملائكة يسيحون في الأرض يلتمسون حلق الذكر وحلق العلم.** وأنتم من أشرف الناس وأنتم من أعظم الناس قدراً ومن أعظم الناس ثواباً في هذا الباب، أن الملائكة تحفكم الآن وتكتبون بأسمائكم بل تذكرون بأسمائكم في المعالي، والله جلّ وعلا يسألهم وهو أعلم بهم وهذا السؤال له حكم كثيرة جداً، يسألهم الله جلّ وعلا كيف تركتم عبادي؟ أنا أريد حكم ثلاثة فقط من هذا السؤال:

◆ **المباهاة:** الحكمة الأولى الله تعالى ما ذكرهم وما سألهم إلا ليباهي بهم الملائكة لأنهم قالوا قديماً **(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)** [البقرة:30]، فكأن الله يقول أهؤلاء الذين يفسدون، منهم المصلحون ومنهم الأنبياء والمرسلون ومنهم الذين ينشرون دين الله جلّ في علاه. إذاً الحكمة الأولى المباهاة بهؤلاء، فانظر كيف أنت في مجلس، كل ليلة عندما تجلس هذا المجلس فأنت في السماء الآن مذكور، في الفارق أنت مشهور الآن بين أهل السماء، لا بين أهل الأرض. ونعم الشهرة إن كانت بأهل السماء، وللمرء صيتان صيت في السماء وصيت في الأرض، وهما متوافقان.

◆ **الثاني إظهار فضل مجالس العلم، وليس لأحد أن يكون كذلك إلا من جلس مجلس علم، هذا إظهار لفضل هذه المجالس.** وهي أشرف المجالس على الإطلاق، مغبون مغبون جداً من قطع طريقه عن هذه المجالس هي مجالس العلم. مجالس العلم هي أعظم المجالس نفعاً على الإطلاق، ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول: **مجلس واحد يكفر سبعين مجلساً من غيره، زيد ثابت يقول: مجلس واحد أجلس فيه لزيد بن ثابت أتعلم فيه آية واحدة خير لي من سبعين سنة جهاد.** مداد العلماء خير عند الله من دماء الشهداء، العلم ومجالس العلم هي أعظم المجالس التي بها ينتصر الدين، لأن بها انتشار السنة

وانتشار السنة نصره للدين. وإذا عمّت السنة وتمسك بها الناس استقام دينهم، ومن استقام دينه نجا في الدنيا وفي الآخرة في هذا الباب.

◆ الحكمة الثالثة، أمّا الثالثة مهمة جداً المغفرة، **هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم**. قال الملك: فلان جاء لحاجة ما جاء يتعلم، قال: **هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم**، هذه معناها العالم حصن لغيره والعالم يشفع في غيره هذا، بالجلوس دون الشفاعة قد غفر له لمن جلس بجانبه. أنت تحارب العالم وتحارب طلبة العلم وأنت مالك في طلبة العلم؟!!

وأنت تقطع الطريق على الناس، يعني كلما ترى أحداً يريد ان يتعلم تقطع عليه: سيشرح كتب كبيرة، هذه المسائل التأصيلية أنت ما زلت صغيراً. قطاع الطرق هم يمتنون مهنة الصد عن سبيل الله حسبةً، وهؤلاء هم الأغرار وهؤلاء الذين يقال فيهم أنهم **(يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)** [الكهف:104]. يقطعون الطريق يقولون: أنت المفروض أصلاً تسمع لنا ولا تسمع لأحد غيرنا. هذا علم، مجالس العلم هي أفضل مجالس على الإطلاق، وقطاع الطرق هم أسوأ الناس فعلاً. والعجب كل العجب مما أراه فيهم يقطعون الطريق ويحتسبون الأجر في قطع الطريق!! تعرفون ما معنى هذا؟ غضب الله على فعلهم فاستدرجهم **(سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)** [الأعراف:182]، فهذا استدراج الله لهم لأنهم يقطعون الطريق على تبصرة الناس بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يرجعون يحسبون انهم يحسنون صنعاً.

حتى يأتي يوم القيامة يقول الله جلّ وعلا صدقت عن سبيلي، كيف تصد عن سبيلي؟ كذاب أنك تقول تعمل لله، أنت تعمل لنفسك ولجماعتك أو لشيخك الذي تقلده. لو كنت تعمل لدين الله حقاً، لو كنت تعمل لنشر السنة حقاً تبحث عن السنة فتنتشرها، لا أن تقطع الطريق. وإن كنت تقطع طريق الأول ببجاجة وبالكلام مثلاً على غيرك بطول لسان،

ممكن تقطعه بعد ذلك برفقٍ وبلي الثعبان. لكن في النهاية العملة الزائفة لا تروج على الله جلّ في علاه، في النهاية العملة الزائفة لا تروج على الله. ويبقى أن الصدق مع الله جلّ في علاه يمكن لكل صادقٍ يصدق في نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك لا، (فَأَمَّا الرَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) [الرعد:17]. هذا نفع العالم يجلس فقط إن جلس في مجلسه يكفر له، يغفر له. فما بالك لو شفع، ولذلك أولى الشفعاء وأول الشفعاء وأعظم الشفعاء العلماء، بعد الأنبياء وبعد المرسلين.

لذلك نقول إنه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **يعرجون**، دلالة أيضاً على العلو. أيضاً من دلالة العلو النزول، (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء:192-194]. النزول لا يكون إلا من علو، هذه دلالة واضحة جداً على العلو. وأيضاً قد قال الله جلّ وعلا: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) [النساء:166]، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **ينزل ربنا ثلث الليل الآخر...** إلى آخر الحديث في ذلك، حتى سنأتي إليه إن شاء الله نتكلم على النزول اليوم.

من الأدلة على ذلك هو أن الإشارة إلى العلو، بأن النبي صلى الله عليه وسلم يعني قد أشار بإصبعه وسأل عن وجود الله جلّ في علاه أو مكان الله جلّ في علاه، وأشارت الجارية بالأصبع إلى العلو وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: **هل بلغت؟** قالوا: اللهم بلغت، فقال: **اللهم فاشهد** وهو يشير إلى السماء، سبحانه جلّ في علاه. وأيضاً في حديث صحيح مسلم أن معاوية بن حكم السلمي قد صفع الجارية وأراد أن يكفر عن ذلك قال: أفأعتقها يا رسول الله؟ قال: لا انتني بها. فلما جاءت قال: أين الله؟ قالت: في السماء، النبي صلى الله عليه وسلم جعل استقامة العقيدة فيها أن تعتقد أن ربها في السماء، جعل سبب العتق الإيمان وجعل أصل الإيمان الاعتقاد بأن الله جلّ في علاه عليّ في السماء سبحانه جلّ في علاه.

فما بالنّا نرى الذي يقول الله في كلّ مكان والله حلّ في كلّ شيء، نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من الخذلان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **اللهم فاشهد، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد**، وإشارة النبي صلى الله عليه وسلم دلالة على وجود الله في السماء، يعني فوق السماء لأن قول الله جلّ في علاه: **(أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ)** [المك:16]، "في" هنا بمعنى على، من على السماء.

ومن ذلك أيضاً الإجماع، أجمع أهل السنة والجماعة بأن الله جلّ في علاه فوق العرش ويعلم ما نحن عليه، بأن الله جلّ في علاه عليّ فوق عرشه يعلم ما نحن عليه. قال أبو بكر الصديق عندما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم حالة كونه ميتاً، فقبّل بين عينيه وبكى وقال: **طبت يا رسول الله حياً وميتاً** ثم قال: **أيها الناس من كان يعبد الله فإن الله حيّ في السماء لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، بأبي هو وأمي.** لكن الشاهد قال: **فإن الله في السماء حيّ لا يموت.** حتى سهيل بن عمرو أسلم حديثاً والاعتقاد في قلبه قد امتلأ، قال: **من كان يعبد الله فإن الله حيّ في السماء، سهيل ابن عمرو أسلم حديثاً وقال بنفس الاعتقاد.**

وأيضاً عمر بن الخطاب لما مرت عليه خولة وقالت: **إيه كنت صغيراً في مكة يقال لك يا عمير ثم يا عمر ثم يقال لك الآن أمير المؤمنين**، وأخذت تعظ أمير المؤمنين، حتى قام من معه فقال: **اسكت أتعلم من هذه؟ (يعني خولة) التي سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات.** فعمر رضي الله عنه يقول: من فوق سبع سماوات. وحتى لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، لما تكلم في صلح الحديبية قال: خشيت أن ينزل الله فيّ قرآن، يعني المسألة يعلم أن الله جلّ وعلا في علو وأن المسألة على التنزيل أو قريب من ذلك، وأكثر يعني من صاحب كان إذا فعل شيئاً خشي أن ينزل الله فيه، حتى علي ابن أبي طالب لما جاء لأبي بكر من أجل أن ينادي في الناس: لا يدخلن بالبيت عريان، ولا يحجن بالبيت مشرك. فقال علي بن أبي طالب لما رآه أبو بكر: جئت أميراً؟ قال:

لا ولكن جئت منادياً. فقال: أنزل الله في شيء؟ أبو بكر نفسه يقول بذلك سبحانه ربي العظيم أبو بكر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: **سدوا عني كل خوخة، إلا خوخة أبي بكر.** قال: أنزل الله في شيء؟ وهذه أيضاً فيها دلالة على أنه يعلم العلو ويعتقد العلو، لأن الإنزال لا يكون إلا من علو.

عائشة رضي الله عنها وأرضاها هي التي قالت: **وإن شأني في نفسي لأحقر من أن ينزل الله في القرآن يتلى،** وأيضاً قال ابن عباس: **أبشري أنت زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، أنت التي أنزل.** كل هذه أدلة من الصحابة تدل على الاعتقاد السديد في أن الله جلّ وعلا في السماء، ائتوني بحديث موضوع عن واحد من الصحابة قال إن الله في كل مكان!! من أين أتوا بهذا؟ من أين أتوا بأن الله في كل مكان؟ ماذا يفعلون بالمحكمات في قول الله: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:5]؟ ماذا يفعلون بها؟ إلى أين يذهبون والله جلّ وعلا يقول: **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)** [الأنعام:61]؟ ماذا يفعلون بفطرهم عندما يريدون الدعاء فيرفعوا الأيدي إلى السماء؟ لا يستطيعون مجابهة هذا بحال، هذه فطر قهرية

وكيف يقولون الله في كل مكان!!؟ هذا الذي حدا بأحدهم انه قال ما في الجبة إلا الله، يقول بذلك. إذاً هو إن لم يعتقد المحكمات، كيف سيعتقد في ربه جلّ في علاه؟ وهذه مصيبة كبرى لأنك ما تعرف أين ربك؟ أنت تريد تخاطبه ما تعرف أين هو؟ تريد أن تدعوه؟ لا تعرف أين هو؟ تريد أن ينصرك لا تعرف أين هو؟ هذه مصيبة كبرى، هذه حيرة في العقول والقلوب. ولذلك الله جلّ وعلا يقول: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:5]، الصحابة جميعاً يظهر من كلامهم الاعتقاد الجازم في قلوبهم بعلو الله جلّ في علاه.

وكذلك مسروق عندما ذهب إلى عائشة رضي الله عنها وأرضاها وهو يقول لها: **وأنت التي برأك الله من فوق سبع سماوات**. وكذلك الإمام مالك روى حديثه وورد عن أم سلمة وورد حديثاً مرفوعاً: **الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة**. وهذا الكلام فيه نظر (طبعاً أن نقول: الحديث مرفوع صحيح، الحديث المرفوع ضعيف)، بل وعن أم سلمة فيه ضعف، والحق بأن أول من تكلم في ذلك بسندٍ صحيح هو ربيعة (ربيعة الرأي) شيخ مالك. لكن انظر النبل، ربيعة الرأي هو الذي قال هذا الكلام وانتشر على لسان مالك، لأن مالك كان سنياً سلفياً حقاً. وربيعة كذلك، لكن ربيعة كان يقدّم الرأي وكان كثيراً ما يخالف الصحابة لذلك تركه مالك وذهب إلى الإمام الزهري. فكافأه الله جلّ في علاه لأنه تمسك بالسنة وكان معظماً للسنة، فنشر الله هذا الكلام منسوباً لمالك، الجميع يتناولونه سلفاً وخلفاً بأن الكلام كلام مالك.

الحقيقة أنه جاء بسند مرفوعاً وجاء بالسند عن أم سلمة، وجاء عن ربيعة الرأي هو الأصل، لكن الله نشره على لسان مالك لأن مالك يتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يتركها بل يعظّمها. حتى أنه مشى حافياً في المدينة فسئل عن ذلك قال: تعظيماً لصاحب القبر، وتعلمون تعظيم مالك لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. أنا أقول أروع ما يمكن أن يقال في مالك على تعظيمه للسنة؟

الإجابات: - يغتسل ويتطيب تعظيماً للسنة.

- الكل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب القبر.

- يخلع نعليه

الذي أريده، قال هارون الرشيد: نُلزم الناس بالموطأ، قال: لا. لأن هذا معناه أنهم يلزمونه بشخصٍ يقلّدونه، وهو يقول: **ليس لاحدٍ إلا لرسول الله**، انظر الإخلاص! وأما الآن لما تتكلم، يقول لك: لا ما تسمع إلا لشيخنا، ما تقرأ إلا لكتاب شيخنا. مالك يقول له هارون: نُلزم الناس بالموطأ، قال: **لا، للناس فهم واجتهادات**، ويقول: **لا تلزم أحداً**

اتباع أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك الإمام ابن تيمية يقول: من نصّب شخصاً غير شخص رسول الله يوالي عليه ويعادي عليه ففيه حظٌ ونصيب من قول الله جلّ في علاه: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) [الأنعام:159]، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر:7].

الإمام الشافعي قال: إن الاعتقاد السليم الذي عليه الأئمة والعلماء هو أن الله فوق عرشه بائنٌ من خلقه، هذا اعتقاد جميع العلماء، نقل ذلك الإجماع الإمام الشافعي. وأبو حنيفة طبعاً يقول بذلك يقول: الله جلّ في علاه فوق العرش ولا يخفى عليه شيء. طبعاً الآن في الأزمنة التي نحن فيها كثير ممن يعلمون العلوم المادية لا يعتقدون بعلو الله جلّ في علاه ويقولون هي كلمة فقط تلوكها الألسنة، يقولون الله في كل مكان. ولذلك الإمام أحمد كان شديداً، والإمام أحمد لما قيل له: رجلٌ يقول الله ليس فوق العرش؟ قال: هذا كافر. أتى من النهاية قال: هذا كافر، الحق أنه لم قال بذلك؟

نقول وجهة النظر عند الإمام أحمد أنه مكذّبٌ لله لأن الله قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، وقال: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)، (أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ) "في" هنا بمعنى على. فقال: هو مكذّبٌ بكل هذه الآيات، فقالوا له: ما حكمه؟ قال يكفر. وطبعاً هذه المسألة فيها ما فيها من النظر، نحن لا نسقط الأحكام على الأعيان، وإلا جاهلٌ جريء من يتجرأ على الكلام على أحد.

وأما من ناحية العقل فإننا نقول في العقل دائماً دائماً العلو كمال، لذلك أنا سأقول لك شيء كمسكن أفضل الأماكن مسكناً؟ الأرضي؟ يعيش كأنه يعيش مع الناس، يأكل معهم ويشرب معهم ويجلس معهم. والناس جميعاً تتباعد عن هذه الأدوار وتحب الأدوار العلية، نفوس تهفو إلى ذلك. الحق أن العلو كمال، العقل يقول إن كل علو كمال. إذاً

نقول العقل يقول: كل كمالٍ يتصف به الله جل في علاه، السفول والنزول نقص والله منزلة عن كل نقص، فيكون العلو كمال

وهذه أيضاً من الفطرة؛ الفطرة السليمة إذا رفعت يديك لتدعو الله جلّ في علاه، إذا دعوت لا يمكن تجد نفسك إلا رافعاً يدك. كما قلنا قبل ذلك في العربي الذي قال للإمام الجويني: رد عليّ هذا ماذا أفعل؟ ما وجدت نفسي أريد أن أدعو إلا رفعت يدي إلى السماء كيف أرد هذا؟ لأن الجويني قال: كان الله ولم يكن شيء وهو الآن على ما كان عليه!! يريد أن ينفي العلو على العرش. قال: دعنا مما تقول ماذا أفعل في رفع يدي وأنا أنظر إلى السماء؟ قال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني.

فصفة العلو صفة ثابتة لله جلّ في علاه، وهي في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. وأسعد الناس من اعتقد هذا الاعتقاد في الله جلّ في علاه، بأن الله جلّ في علاه عليّ في السماء، وأفضل الفوائد التي يستفيد بها المرء أمور:

◆ الأمر الأول علو الهمة العلو، دائماً علو الهمة، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها.** لم الإنسان يرتضي بنفسه أن يكون دوناً؟ تقول اسمع للشيخ لم لا تكون أنت شيخاً؟ لم أنت ترى نفسك تقلد الناس ولا تكون أنت مجتهداً؟ لم ترى أن الشافعي تقدم ولا تتقدم أنت؟ مع أن ذنوبنا جعلتنا نتقاصر، لكن صاحب الهمة لا يسكت لا يرتضي وكلما يعصي يتذكر بأنه لو استغفر غفر، وأنه لو تاب وأتاب تاب الله عليه، وأن الحسنات يذهبن السيئات لكن عنده طريق أمامه لا بد أن يعرج إليه لا يتوقف.

فعلو الهمة يحبه الله جلّ في علاه لأنه يحب معالي الأمور، لذلك أنت ترى كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب من أصحابه ذلك، يحب علو الهمة. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: **لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل ثم تركه، لا تنزه في عبادة الله جلّ في علاه. لَمَّا ربيعة بن كعب الأسلمي قدم وضوءاً للنبي صلى الله عليه وسلم، من كرم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قال: سلني، قال: أسألك مرافقتك في الجنة. علو، ما ارتضى بشيء، ممكن يسأل بامرأة وضاعة ممكن يسأل بالغنى ممكن يسأل بالمال بالمكانة أو بالسلطان. لا، قال: مرافقتك في الجنة، أعلى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان جوار رب العالمين سبحانه جلّ في علاه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أو غير ذلك؟ قال: هو ذاك لا أترجع، قال: إذا أعني على نفسك بكثرة السجود.**

أنت ترى حتى الإنسان قليل العمل يرتقي بعلو همته، حتى قليل العمل لو عليّ همة يرتقي إلى المعالي وحتى لو كان قليل العمل، بنيته. علو الهمة يظهر في النية، وأيضاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **إنما الأعمال بالنيات**، ولقوله: **إنما الدنيا لأربعة نفر**. يجمع ما قلتم حديثاً واحداً، قال أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه: **ما فرحنا بحديثٍ مثلاً فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب، فإني لا أعمل بعمل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أعمل بعمل أبي بكر ولا عمر لكني أحب هؤلاء، المعالي موجودة، أحب النبي وأحب أبا بكر وأحب عمر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب، هذا عليّ الهمة، وعلو الهمة تنفع الإنسان جداً والله يحب معالي الأمور.**

◆ الأمر الثاني في مسألة العلو بأن الله تعالى جعل الموطن الرئيس أو الأصل الذي نذهب إليه في المعالي، لأن المعالي، إذاً الجنات في المعالي وهي في جوار الرحمن سبحانه جلّ في علاه.

والتعبد لله جلّ في علاه بصفة العلو هو أن تعلم بأن الله جلّ وعلا قاهرٌ فوق الجميع، ولا يحب المرء لنفسه أن يكون من الدون. فهناك أهل البدع الذين أولوا هذه الصفات لا نتكلم عنهم إلا إذا تكلم عنهم المصنف، لكننا أسسنا الأساس الصحيح الأصيل لأننا نريد ننتهي من الكتاب كليةً إن شاء الله.

قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش استوى بانئناً منه خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا. وأشار إلى الأرض. الجهمية هم قالوا لا فوق العالم ولا خارج العالم ولا فوق العالم ولا تحت العالم ولا يمين ولا يسار يعبدون عدماً.

محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يؤر بأن الله عز وجل على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر بربه حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وهنا أيضاً محمد بن خزيمة إمام الأئمة، معروف من محققي الشافعية من أشد الناس في هذه الأبواب. وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، يعني المعاهدون أرفع منه منزلةً، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر

المسلم.

هذه مسألة عظيمة جداً وجليلة القدر أنظر أئمة السلف يقولون بأن الذي لا يقول بأن الله على العرش استوى يقولون هذا حكمه، وكما قلت لكم توجيه هذه المسألة أنه قد كذب الله، قد قال الله جلّ وعلا: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى). الشيء بالشيء يذكر، طبعاً الذين يؤولون الآية لا يصح لأن تقول انه كفر بذلك أو عنده تأويل وإن كان التأويل

تأويل بارد، لأنهم يقولون معنى قول الله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يعني استولى. وهذا والله العظيم أشد كفراً، لأنهم يقولوا (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) استولى المعنى أن هناك منازعة، وفي المنازعة يدل على النقصان، ومن النقصان أنه سُلِبَ أولاً ثم استرده ثانياً، طبعاً هم لا يلتزمون بهذا اللازم.

لكن هو الصحيح في هذا (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يقولون استولى ببيت ليس عربي أصيل، والبيت عليهم لأننا قلنا إن التأصيل العام الأصل في اللفظ أن يكون على ظاهره ما لم تأتي قرينة تصرفه من الظاهر إلى المؤول. قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) الظاهر هو استوى، علا واستقر، علا وارتفع. هم قالوا استولى. نقول نحن نقول اعتقادنا أن التأويل لا يرد مطلقاً ولا يقبل مطلقاً بالقرائن. قالوا عندنا قرينة، قلنا ما القرينة؟ لا يوجد قرينة.

في السياقات (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ). في آيات الاستواء تروا أمراً مهماً: إمّا ذكر السماوات والأراضين، وإمّا ذكر الرحمة. ما اللفتة العقديّة في هذا الباب؟

🌿 إذا ذكر الله السماوات والأرض فهو من عظيم خلق الله جلّ في علاه، فلمّا يذكر السماوات الأرض ويذكر أنه استوى على العرش دلالة على القوة والقهر والقدرة والعزة. لذلك ذكر خلق السماوات والأرض بعظيم ربوبية الله جلّ في علاه، وأن القوة والقهر والعزة من علو. هذه من الأهمية بمكان تعلم ذلك، ولأن الاستواء دلالة أيضاً على الكمالات القوة والعزة والقدرة والقهر، على العلو والكمال، وإذاً يكون العلو بكمال.

🌿 الأمر الثاني واللفتة الثانية المهمة جداً (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، لمّا علم واعتقد المكلف بأن القوة والعزة والقدرة والقهر لله جلّ في علاه تزلزلت أركانه

وارتجف فؤاده ويخشى من ربه فقال: القوي العزيز القدير رحيم. وهو على عرشه يرحمك، ورحمته تصل إليك مع علوه سبحانه جلّ في علاه. لذلك ناسب أن يقول وهو قريبٌ في علوه؛ الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو قريبٌ جداً في علوه. ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: **أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون لأقرب إلى أحدكم من عنق راحلته.** دلالة واضحة جداً على أن الآيات لما تأتي، تأتي تبين لك عظيم الربوبية مع عظيم الرحمة والقوة والقدرة والعزة والقهر.

قال رحمه الله: وإمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن غير المؤمنة لا يصح التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول الله ﷺ عن إعتاقه إياها، فامتنحها رسول الله ﷺ، فقال ﷺ لها: **من أنا؟** فأشارت إليه وإلى السماء، تعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال ﷺ: **أعتقها فإنها مؤمنة.** وقال الإمام الشافعي رحمه الله: **إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب.** وذكر الزعفراني أن الشافعي رحمه الله روى يوماً حديثاً فقال السائل: يا أبا عبد الله، تقول به؟ قال: ثرائي في بيعة أو كنيسة؟ ترى عليّ زي الكفار؟ هو ذا ثرائي في مسجد المسلمين، عليّ زي المسلمين، مستقبلاً قبلتهم؛ أروي حديثاً عن النبي ﷺ ثم لا أقول به؟ وهذا استفهام إنكاري. وطبعاً سبب سرد هذا الحديث كأنه يقول: إذاً كل حديث جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فإني أقبله وأؤمن به وأسلم له. ومن الأحاديث أنه قال: **أين الله؟** قالت في السماء، فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم وقال: **أعتقها فإنها مؤمنة.**

هو ختم الكتاب قال: وخطب خالد بن عبد الله القسري رحمه الله يوم الأضحى بالبصرة، فقال في آخر خطبته: انصرفوا إلى منازلكم وضحوا، بارك الله لكم في ضحاياكم، فإني

مضح اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً، ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه. هنا استشهد: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) [الإسراء:43]، قال: سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً.

قال: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويمرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكّلون علمه إلى الله. قلنا معناها يكّلون الكيف، وإلا فأنت تعلم لابد أن نعلم أن هذا اعتقاد السلف في هذا الباب. قال: وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) [البقرة:210]، وقوله عز اسمه: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [الفجر:22].

قال رحمه الله: قرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان: أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول ﷺ، وقد قال الله عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) [البقرة:210]، وقال: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [الفجر:22]. ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، طبعاً (على ما جاء بلا كيف) لا بد أن يقيد؛ على ما جاء بلا كيف معلوم والكيف موجود، لها كيفية لأنه لا يمكن في الذهن أن يقبل العقل صفة بلا كيفية، هي لها كيفية لكنها مجهولة. فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل، فانتبهنا إلى ما أحكمه، وكفنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ [آل عمران:7]

وقال: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويهِ عن رسول الله ﷺ: ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ قال: قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف، إنما ينزل بلا كيف. طبعاً (ينزل بلا كيف) لابد أن تفهم بمعناها، ينزل بلا كيفٍ معلوم لكن ينزل بكيف. لا يمكن أن تكون صفة إلا بكيفية، لكن هذه الكيفية غابت لأننا لم نرى الله، ولا أحد رأى الله فأخبرنا، ولا الله جلَّ وعلا أخبرنا الكيفية. إذاً صارت غيباً، فنحن في محلها في قول الله جلَّ في علاه: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) [البقرة:3]

وسئل عبد الله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله: يا ضعيف، ليلة النصف ينزل؟ في كل ليلة ينزل. فقال الرجل: يا أبا عبد الله، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ يعني يخلو منه أم لا؟ وهذا سؤالٌ فيه شيءٌ من البدعة مستحدث، وهذا السؤال لم يعرف من السلف، فالأولى تجنبه والأولى عدم النظر إليه، لكن ما دام طرح فنحن إن شاء الله سنجيب عنه. فقال عبد الله: ينزل كيف يشاء، وفي رواية أخرى هذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له.

ولنعلم ما قال عبد الله بن المبارك، ولنعم ما قال أصحاب الحديث، وهي أنك تسلم نفسك للوحي. والأصل أن ركن العبودية الأعظم هو تمام التسليم والانقياد والخضوع لله جلَّ في علاه، قال: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [البقرة:131]. انقياد تام وتسليم تام لرب العباد، هذا ركن العبودية الأعظم، إن كنت عابداً حقاً فعلامته تمام

التسليم لله جلّ في علاه وعدم المعارضة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم. إذا جاءك الحديث قل سمعت وأطعت، لا تضرب لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال، كما قال أبو هريرة لابن عباس لما قال له على الوضوء مما مست النار، قال: إذا ستأمر بعد ذلك أن نتوضأ من الحميم، فقال: **يا ابن أخي إذا قلت لك قال رسول الله فلا تضرب له الأمثال.** ما في إلا سمعت وأطعت.

وقال إسحاق بن إبراهيم (يعني ابن راهويه) عندما سئل عن حديث النزول: صحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبتته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبتته فوق! هذا حسن المناظرة، هو علم أنه يُنكر النزول قال: أثبت أولاً ثم أصف لك. لو أثبتته لسلم، ولو سلم لن يسأل هذا السؤال. هو ما سأل هذا السؤال إلا لأنه شبهه وكيف وأيضاً أنكر، لذلك سأل هذا السؤال، فإن سلم لن يسأل. فقال إسحاق: قال الله عز وجل: **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** [الفجر: 22] فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ يعني كأنه قال له الآن أنت أثبت أنه قد قال: **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** [الفجر: 22] هذه آية تؤمن بها أو ما تؤمن؟ فكأن هذا الحوار المفتوح بينهما كأنه قال: أو من بهذه الآية، قال له: آمنت بهذه الآية؟ قال: نعم آمنت بهذه الآية، ولكن هذا يوم القيامة. قال: إن آمنت بها يوم القيامة فلتؤمن بها الآن، الذي يستطيع أن يجيء يوم القيامة يجيء الآن فآلزمه الحجة.

قال: وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له.** وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول

الله ﷺ أنه قال: ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فبذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله، لأنها تكون مشهودة وهو وقت نزول الله جلّ في علاه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح. وجاء في زيادة أنه ﷺ قال: ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به، إلا الثقلان الجن والإنس، قال: وذلك حين تصيح الديوك وتنهق الحمير وتنبح الكلاب.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبدٌ من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتّرٌ عليه رزقه فيدعوني فأرزقه؟ ألا مظلومٌ يذكرني فأنصره؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأفكه؟ فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه. هذا فيه ضعف، انظر إلى هذه الرواية والرواية الأخرى؛ هذا مبني للمعلوم وهذا مبني للمجهول.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن عشية عرفة ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، ويقول: انظروا إلى عبادي شعناً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوماً أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة. عن رفاة الجهني حدث أن رسول الله ﷺ قال: إذا مضى

ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه شهد على رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مذنّب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى تطلع الشمس. جاءت في روايات حتى ينفجر الفجر، الكلام كما قلنا قبل ذلك هو شهود طلوع الفجر، كما قال الله جلّ وعلا: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) [الإسراء: 78].

قال رسول الله ﷺ: إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره؟ هل من مستغيث أغثه؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فقال: ألا هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه؟ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: أنا الملك أنا الملك، ثلاثاً، من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنّفه، قال: باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة، من غير صفة كيفية النزول، إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، من غير أن نصف الكيفية.

وما معنى من غير أن نصف الكيفية؟ فيها إثبات كيفية، كأنه يقول وهناك كيفية لكننا لا نستطيع وصفها. وهذا الذي نقول عليه في اعتقاد السلف: إثبات الكيفية مع إثبات الجهل بها. إثبات الكيفية موجودة مع إثبات الجهل بها، لذلك نقول بأن الطوائف بالكيفية ثلاث:

◆ قومٌ ينفون الكيفية (لا كيفية)

◆ وقومٌ يغالون في الكيفية، يثبتونها تشبيهاً.

◆ وقوم يثبتونها دون تصور دون معلومية.

فالذين ينفون الكيفية الذين ينفون الصفة فهم نفوا الصفة، إذ نفوا الكيفية. والمفوضة الذين يفوضون نفس الأمر ينفونها، أما أهل السنة والجماعة يثبتونها لكن يثبتونها مجهولة لا نعلمها الله يعلمها.

قال: من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله عز وجل ولى نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدّقون بما في هذه الأخبار من ذلك النزول، غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية. يعني لا نكيف ونثبت الكيفية لكن لا نعلم كيف هي. إذ النبي ﷺ لم يصف كيفية النزول، وهذا تأصيل وتأسيس لا اعتقاد السلف. كأنه قال إذ النبي لم يصف، نقف، وسعنا ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم. فلذلك نحن نقول نزل، وكيف نزل؟ نقول هل النبي بيّن كيف نزل؟ هل هو نفسه الذي قال عن نفسه أنه نزل بين ذلك؟ فيسعدك ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم، يسعدك ما وسع الصحابة.

هم يقولون أنت تقول نزل؟ إذا هو يمشي؟ نقول له أنت الآن أردت أن تشبه ففررت من التشبيه إلى التعطيل. هو ينزل والنزول يليق بجلاله وكماله. يهرول، قال: إذا تقرّب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة، فالهرولة صفة من صفات الله جلّ في علاه. مع أنه يقول الهرولة معناها

يسير سرعة، لكن أقول الهرولة أقف مع النص يوصف الله بالهرولة، هو الذي وصف نفسه بذلك. لا نتكلف ولا نتجاوز الحدود، ولذلك قال قف عندما أوقفك النبي، قف عندما وقف الصحابة، يسعك ما وسعهم، إذ النبي لم يصف كيفية النزول.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ينزل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلاً إلى آخر النهار من الغد، فيُعْتَق من النار بعدد شعر معز بني كلب، ويكتب الحاج ويُنزل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً أو قاطع رحم أو عاقاً أو مشاحنًا. طبعاً هذا الحديث أصل السند ضعيف لكنه بالقرائن يصح، عندنا حديث أيضاً أم سلمة قالت: نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا، قالوا: وأي يوم؟ قالت: يوم عرفة.

الصفة التي ذكرها المصنف هنا صفة عظيمة جداً، لذلك ألف شيخ الإسلام ابن تيميه كتاباً كاملاً على هذه الصفة وهي صفة النزول. وصفة النزول قبل الكلام عليها فإنها دلالة من الدلالات التي يستدل بها علماء السلف على العلو، لأن النزول لا يكون إلا من علو. صفة النزول وهي صفة ثابتة لله جلّ في علاه وهي من صفات الأفعال، كيف عرفت أنها من صفات الأفعال؟ كما قلنا يتصف الله بها حيناً ولا يتصف بها حيناً وتتعلق بالمشيئة.

صفة النزول صفة النزول ثابتة لله جلّ وعلا بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، بل وبالعقل أيضاً كما سنبين:

◆ أمّا بالكتاب فقد قال الله جلّ وعلا: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) [الأنعام:158]، الإتيان. (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

[الفجر:22]، وهذا يحتج به إسحاق بن راهويه ويحتج غيره بأنه احتج بهذه الآيات على النزول لأنه كالإتيان وكالمجيء، فيستدل بهذه الآيات على صفة النزول.

♦ أما من السنة فإنها كثيرة قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا**، كل الأحاديث التي جاءت وسردت علينا كلها تتفق على أمور ثلاثة:

🌿 الأمر الأول النزول 🌿 الأمر الثاني أنه إلى السماء الدنيا 🌿 الأمر الثالث الدعاء وزيادة.

وأيضاً الكلام (**أنا الملك أنا الملك أنا الملك**) الرواية هذه مهمة جداً في الرد على من يؤول النزول بنزول الملك، من يؤول النزول بنزول الأمر، نزول الرحمة. الرحمة لا تقول أنا الملك أنا الملك!! ونزول الأمر لا يقول أنا الملك أنا الملك!! ناهيك عن أن نزول الرحمة جعلوها في ثلث الليل فقط، أي لا رحمة طول النهار ولا رحمة في الليل إلا في وقت نزول الرحمة في هذا الوقت فقط!! تحجير، لو لم يكن هناك من الضلال إلا هذا أنه حَجَر رحمة ربنا رحمة الله جلّ في علاه. النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على الأعرابي عندما قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم أحداً، قال: **تحجرت واسعاً**. وأيضاً (**أنا الملك أنا الملك**) لا يستطيعون أن يقولوا بأنه الملك يقول هل من مستغفر فأغفر له، الملك لا يغفر، الملك لا يملك أن يرزق، الملك لا يملك أن يستجيب للدعاء. بل قال الله جلّ في علاه: (**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) [التحریم:6]. فإذاً الاتفاق على أمور ثلاثة:

♦ الأمر الأول النزول باتفاق كل الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إن الله ينزل**.

♦ الأمر الثاني بعد الاتفاق على النزول، إلى السماء الدنيا

♦ الأمر الثالث الدعاء، هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فاستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ وفي رواية أيضاً قال: هل مستشفي فأشفيه؟ وأيضاً من يقرضني قرضاً حسناً؟ هذا في بعض الروايات، هذه متفق عليها.

والاختلاف في التوقيت وقد جاء في الأحاديث جاءت متنوعة، وطبعاً هذا في كل ليلة، هذا نزول عام في كل ليلة. عندنا نزول عام ونزول خاص، الكلام عن النزول العام. الروايات التي جاءت: ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر، وفي روايات أبو هريرة وعائشة وأم سلمة أيضاً: (ثلث الليل) أو (الشطر) أو (ثلثاه) جاءت هكذا بالشك من الراوي، وأيضاً جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا مضى نصف الليل. هذا الروايات بأسرها قال علماءنا أنها ثبتت أن الله جلّ وعلا ينزل:

حين يبقى ثلث الليل الآخر، حين مضى ثلث الليل الأول أو شطر الليل الأول أو ثلثاه. هذه أيضاً الروايات قد جاءت وصحت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالحق بأن هذه الأحاديث إما أن نقول بأننا نجعل:

← المحكم (حين يبقى ثلث الليل الآخر).

← ونؤوّل الأحاديث التي جاءت مطلقة، أحاديث عائشة كلها جاءت مطلقة: ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا، مطلقة، هذا مجمل لأن كل مطلق مجمل.

← والمبين قد جاء في حديث حين يمضي ثلث الليل الآخر أو شطر الليل أو نقول الجمع، والجمع هو الأولى.

لأن هناك أحاديث اتفقت أنه (ﷺ مضي ثلث الليل الأول ينزل ربنا جلّ في علاه)، وجاء (ﷺ حين يبقى ثلث الليل الآخر) أو (ﷺ يبقى شطر الليل الآخر) أو (ﷺ ثلث الليل الآخر) أو (ﷺ نصف الليل) أو (ﷺ شطر الليل).

فنقول إذاً النزول يبدأ من مضي ثلث الليل الأول: **يمضي ثلث الليل الأول ينزل ربنا**. ويبقى النزول شطر الليل أو يبقى ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر، ويسمى نزولاً. وبهذا نكون قد أحكمنا الكلام في مسألة النزول وهذا آخر ما وصلنا إليه، ويبقى بعد مضي ثلث الليل الأول ينزل الله جلّ في علاه، وهذا يصدق عليه في النزول حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويصدق عليه حين قال: **(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)** [الإسراء:78].

لذلك أفضل الاوقات حين أول الصلوات حين يمضي ثلث الليل الأول، هذه أفضل الاوقات في قيام الليل لأنها في السحر كان الاستغفار. فهي أفضل أوقات الصلاة ثم يتفرغ في السحر إلى الاستغفار، كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وإما أن يحدث عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: تسامر معي وإن وجدني نائمة اضطجع. وكان الوقت وقت استغفار لقول الله جلّ وعلا: **(وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)** [آل عمران:17]، **(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)** [الإسراء:78]. لأن الله جلّ وعلا يشهد صلاة الفجر أو قراءة الفجر، فيكون الفضل كل الفضل هنا في هذا الوقت وقت النزول إذا مضي ثلث الليل الأول. وهذا الوقت هو أشرف الأوقات على الإطلاق لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل، ويقصد بذلك النزول.

والآن هذه المسألة مسألة عزيزة جداً؛ اعتقاد نزول الله جلّ في علاه أعظم الناس نفعاً من اعتقده، وأعظم الناس خسارة من لم يعتقد ذلك ينام غافلاً في هذا الوقت. ومن اعتقد ذلك قال تحلو المناجاة إذا أرخى الليل سدوله وغارت نجومه والناس في سباتٍ عميق، فيعجب الله من عبدٍ يترك الفراش الوثير ويقوم لرب العالمين فيستغفر فيدعو فيقيم. هذا محل عبادة باستغفار أو بدعاء أو بذكر أو بصلاة، وأفضلها الصلاة والدعاء في الصلاة، وكان يفعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال الله جلّ وعلا: **(يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)** [المزمل: 1-4].

فهذا الوقت هو وقت إنهاء كل المطالب، لأننا نعتقد ديناً تصديقاً جازماً به أو نجزم به بأن الله جلّ وعلا أصدق من قال وأوفى من وعد، قال الله جلّ في علاه: **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)** [النساء: 122]، **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)** [النساء: 87]، فهو يقول: **هل من مستغفر فاغفر له؟** ففيها أمور:

♦ الأمر الأول قول الله جلّ في علاه، مع النزول إثبات القول لله جلّ وعلا لما يقول: **أنا المَلِكُ أنا المَلِكُ**. وهذا أيضاً ناسب أن يقول: **أنا المَلِكُ**، ما قال أنا الله أنا الله لم؟ لأن المقام مقام ربوبية فقال: **أنا المَلِكُ أنا المَلِكُ**، فيها سؤال وعطاء فناسب الربوبية. **أنا المَلِكُ أنا المَلِكُ**، **هل من مستغفر فاغفر له؟** هذه لوازم الربوبية لأن بها العقاب أو الثواب: **هل من سائل فأعطيه؟ هل من داعي فاستجيب له؟ هل من مستشفئ فأشفيه؟**

فهذه ما تبقى منها إلا الصدق مع الله جلّ في علاه وتأتيك ما أردت، فإن أردت شيئاً فأجهازه وإنهاؤه في السَّحَر، إن أردت شيئاً ففي السَّحَر، فإن وجدت ان المسألة تأخرت فاعلم أن الخلل فيك. فإن أردت إنجاز أمرٍ ما وهو من الأهمية بمكان السَّحَر مَحِلُّه، لأن الله جلّ وعلا قال: **هل من مستغفر فاغفر له؟ بالجزم، هل من داعي فاستجيب له؟ هل**

من سائل فأعطيه؟ هل من مستشفي فأشفيه؟ وهذه من أعظم الأوقات كما قلنا عبادةً لله جلّ في علاه.

إذا ينزل الله جلّ وعلا وهذا النزول العام، وهذا في كل ليلة، وهو عام لجميع الخلق: المؤمن البار، الفاسق، الظالم نفسه كأنفسنا. أنا أظلم الناس الآن والله ما يمر يوم ولا ليلة إلا وأنا أظلم نفسي ظلماً بيناً ولكن أطمع في الكريم أستغفر ليلاً أستغفر نهاراً وأعلم أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: **من تاب تاب الله عليه**. فإذا هو عام للجميع للبار النقي، للفاسق، للفاجر، للكافر، للظالم، كل ليلة هكذا عموم.

ثم النزول الثاني هو النزول الخاص، هو نزول المباهاة ونزول المغفرة. وإن كان الحديث فيه ضعف وهو حديث عرفة: **إن الله جلّ وعلا يدنو عشية عرفة من الحجيج فيقول للملائكة مباهاةً بهم ثناءً عليهم فيقول رأيتم هؤلاء أتوني شعثاً غبراً ماذا يطلبون؟** ثم يقول: **اشهدوا أنني قد غفرت لهم**. وفي الرواية الأخرى: **أكثر الأيام عتقاً في هذا اليوم يوم عرفة**، لذلك لم يُرَ إبليس أبأس منه إلا في هذا اليوم. الغرض المقصود بأن حديث الدنو قد جاء من طرق أن الله جلّ وعلا يدنو من عباده عشية عرفة يباهي الملائكة بهؤلاء، هذا نزول خاص بالحجيج.

ونزول آخر خاص لكنه خاص بالمؤمنين، ففي عموم المؤمنين لكن هو خاص بالمؤمنين، وأيضاً فيه خصوصية أخرى كما أبين، وهو النزول ليلة النصف من شعبان. والأصل النزول ليلة النصف من شعبان حديثها ضعيف، أصل السند ضعيف، وبالشواهد يتقوّى. لكن لا يستلزم من الفضل العبادة، ما أحد يقول ونقوم ليلة النصف من شعبان لم؟ من الذي قال بذلك؟ اين الدليل على هذا؟ الفضل لا يستلزم العبادة، فضل الجمعة ونهى عن العبادة فيها. فقال: **ينزل ربنا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل أحد**

إلا لمشاحنٍ أو مشركٍ. في رواية قال: **وقاطع** لأن القاطع أشد ما يكون مشاحنًا. هذا نزول عام وهو مخصوص؛ عام بالمؤمنين ومخصوص للمؤمنين الذين لا يشركون الذين لا يقطعون الرحم. هذا النزول الخاص، وهذه صراحةً من أهم الصفات.

ولذلك سنقف بعض الشيء عند من يرد هذه الصفة وهي صفة النزول بتأويلٍ أو بتحريف:

◆ منهم من يقول: من قال بأن الله ينزل فقد شبه الله بخلقه، وبذلك يكون قد كفر. لذلك هم يقولون على أهل السنة والجماعة مجسمة. نقول الله تعالى ينزل وهو الذي قال بأنه ينزل، وعلمائنا قالوا ينزل، والصحابة جميعاً اتفقوا على أن الله جلّ وعلا ينزل ليلة النصف، ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فقد اتفقت كلمتهم على نزول الله جلّ في علاه. فقالوا: من قال ينزل فقد شبه، لذلك نفوا النزول. ونقول من نفى النزول فإنه أخسر الناس بهذه الأوقات الطيبة التي ينزل فيها ربنا جلّ في علاه، يغفر يعطي يستجيب سبحانه جلّ في علاه.

◆ ومنهم من قال: هذا النزول ليس نزولاً حقيقياً بل هذا النزول نزولٌ مؤوّل، والأصل في قوله صلى الله عليه وسلم: **ينزل ربنا**، نؤمن بالحديث. ما يستطيعون الرد لأن هذا الحديث متفق عليه وأنه وصل إلى درجة التواتر، لكنه ليس متواتراً طبعاً، هو آحاد ولكن الأمة بأسرها تلقته بالقبول، وهذا متفقٌ عليه بالبخاري ومسلم. فلا يردون حديث، لا يستطيعون، لأن علماء الحديث يقفون لهم بالمرصاد. لكنهم يقولون: هناك تقدير، **ينزل ربنا** يعني ينزل أمر ربنا.

نقول لغةً الأصل عدم التقدير، من أين أتيتم بالتقدير؟ قالوا عندنا أدلة تأمرنا بالتقدير. قلنا ما الأدلة؟ قالوا لو أثبتنا نزولاً لشبهنا الخالق بالمخلوق، وأنتم ونحن متفقون على

أن تشبيه الخالق بالمخلوق كفر، إذاً لابد أن نقول ينزل أمر ربنا. فنقول لهم أخطأتم في أكثر من حال:

🌿 **الحال الأول:** نحن قعدنا من ثلاث أيام قواعد ثلاث:

✳ **يسعكم ما وسع النبي، يسعكم ما وسع الصحابة.** بذلك خالفتم الإجماع والكتاب والسنة لأنها جاءت بدون التقدير.

✳ **ونقول لهم: أنتم أعلم أم الله؟ أنتم أعلم أم رسول الله؟ أنتم أعلم أم صحابة رسول الله؟** كلٌ منهم يروي رواية النزول ولا يقدر ولغة الأصل عدم التقدير.

✳ **معنى أن تقولوا ينزل هذا تشبيه أنتم شبهتم النزول، ونحن نقول كأنكم لم تسمعوا لقول الله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: 11]**، فارجعوا إلى التأصيل ينزل وليس كمثلته شيء، نزولاً يليق بجلاله وكماله وعظمته وبهائه سبحانه جلّ في علاه.

🌿 **وأما اللوازم الباطلة من قولهم ينزل أمر الله، ينزل الملك، تنزل رحمة الله جلّ في علاه.** كما قلنا هذه لوازم باطلة منها: أولاً أن الملك يقول أنا أغفر أنا أستجيب أنا أعطي، وهذا لا يجوز بحال من الأحوال وإلا صار رباً من الأرباب. أيضاً الرحمة لا تقول أغفر وأعطي، وأيضاً الرحمة لا تنزل في وقتٍ فقط هو النزول. وأيضاً أمر الله جلّ في علاه، فأمر الله ينزل ليل نهار. وهذا رد عليهم فيما قالوا، هذا نكون قد انتهينا من هذه الصفة والبشارة أننا وصلنا إلى منتصف الكتاب.

إجابة سؤال: الرواية **يهبط**، يهبط بمعنى ينزل، وهذه رواية بالمعنى: **يهبط ربنا إلى السماء الدنيا** بمعنى ينزل. وهذه الرواية بالمعنى، وهذه تدلك على ما قاله المحققون من المحدثين بجواز الرواية بالمعنى.

إجابة سؤال: هو السؤال طبعاً لما سأله: ينزل ويخلو منه المكان؟ وهو السؤال: إذا قلتم النزول عندنا إشكال. ما الإشكال عندكم؟ قالوا: ينزل ويخلو منه العرش؟

لماذا سأل مثل هذا السؤال؟ لأن عنده محكم (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى). الإجابة من وجوه: الوجه الأول هذا السؤال لا يجوز، هذا سؤال مبتدع لم يُعرف عن السلف، فالأسلم ألا نتكلم به. لكن ظهر وقد تكلموا به إذاً ما الإجابة؟ أقوال ثلاثة لأهل السنة والجماعة:

🌿 قالوا ينزل ويخلو من العرش لأن (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، يقولون: عام، عند مضي ثلث الليل فينزل إلى السماء الدنيا الله جلّ في علاه. قالوا: ينزل ويخلو منه العرش. وهذا أضعف الأقوال لأنه لم يستطع أن يجمع شتات الأدلة، وطبعاً إذا خلى منه العرش (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ماذا تقول بها؟ فإذا قال ينزل ويخلو منه العرش، وهذا أضعف الأقوال.

🌿 القول الثاني قالوا نتوقف ما نتكلم

🌿 القول الثالث وهو الأصح والأسد ينزل ولا يخلو من العرش، لأننا لو قلنا ينزل ويخلو منه العرش كيفنا النزول. كيفت النزول وأنت أصالة لا تعرف الكيف، والله عظيم والله جلّ وعلا كبير متعال، فينزل ولا يخلو منه العرش. كما قال ابن عباس: **الكون كله في يده كحبة خردل في يد أحدكم**، وهذه عظمة الله، وهذا عظيم ربوبية الله جلّ في علاه.

فالصحيح أن نقول ينزل ولا يخلو منه العرش، دليلنا (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)؛ فهو على العرش استوى، ينزل وهو على العرش استوى. إذاً ينزل ولا يخلو منه العرش، وأنتم تعلمون بأنه إذا نزل نقول ينزل لا السماء تقله ولا تظله، ينزل نزولاً يليق بجلاله، والسماء أحوج ما تكون له، والعرش أحوج ما يكون له سبحانه جلّ علاه. إذاً هذا النزول يليق بجلال الله وكمال الله جلّ في علاه.

إجابة سؤال: الشبهة الأخرى قالوا: أنتم تقولون ينزل، إذاً هنا ليل وهناك نهار، وعندما يكون هنا نهار يكون هناك ليلاً، إذاً سنقول هو نازل في كل الليل؟ نقول هذه الشبهة ما

قالها إلا شيطان رجيم، لأن الشرع لما جاءك جاءك يخاطبك بما أنت فيه وبما تعقل. عندما يكون ليلاً عندك نزل الله، هذا تؤمن به وتسكت، وإلا فلا يصح أن تقول عند الله ليل ونهار، ليل ونهار بالنسبة لكم. كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الذين يدخلون الجنة: **جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه، رداء الكبرياء يحجب المخلوقين.** ولذلك الليل والنهار للمخلوقين، فلذلك أنت تقول إذا الإيمان أن أقول عندما يمضي ثلث الليل الله نزل لا أفكر في شيء آخر، آمنت بأن الله قد نزل في هذا الوقت وهذه شبهة تائهة بأداة ميتة.

إجابة سؤال: هو استشكل لبعض العباد عندما قال في الحساب يعني حساب الخلق، قال: **حساب الخلق كحساب الواحد يناديهم بصوتٍ يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب، والله على كل شيء قدير.** أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيراً، الله يحفظكم.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس الرابع:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران:102]،

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء:1]،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 70-71]،

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام: ما زلنا بفضل الله بمنه وكرمه علينا مع هذه المجالس حتى ننتهي من هذه الكتب بإذن الله قريباً، نسأل الله جل في عليائه أن يلهمنا وإياكم الإخلاص وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعلنا ممن يتعلم ليتعبد وينشر ذلك بين الناس. وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

وعلاوة طالب العلم الموفق الملازمة، هذه من أعظم علامات التوفيق والتسديد لطالب العلم: الملازمة والحرص مع الصبر على مجالس العلم. أما الانقطاع أو التقطع فهذه ليست علامة التوفيق بحال من الأحوال، بل ممكن تكون علامة للخذلان، لا سيما وأن النبي -صلى الله عليه

وسلم- قال: **من تعلم الرمي فتركه فليس منا**. فالحق بأن مسألة الاستمرارية والملازمة هذه من علامات التوفيق من الله جلّ في علاه للعبد، غُض الطرف عن بعض الزلات والهفات وما يقع من الإنسان من بعض الغفلات، وهذا عندنا مستمر غير متقطع، فيغفر الله لنا ذلك. لكن علامة التوفيق الملازمة، العبد الذي له مكانة عند الله جلّ في علاه، فالله جلّ وعلا يوزع في قلبه الحرص والاستزادة وأيضاً الملازمة حتى يحوز اللؤلؤة الثمينة، لأن هذا العلم شريف ليس لأي أحد أن يكتنزه بحال من الأحوال.

ولذلك كما قلت وإن كثير ممن حرص على العلم لم ينل هذا العلم، وعاش أمداً ودهراً، منه من عاش السنوات الثلاثين سنة، عاش في ذلك ولم ينل شيئاً من العلم، ومنهم من حرص على ذلك ولمّا صدق الله جلّ وعلا في عامٍ في عامين دار على العلماء. كما حدث مع ابن حزم، صدق الله، طلب العلم كبيراً، بعدما طلب العلم أربع سنوات دار على العلماء وكأنه يداني مكانة هؤلاء الكبار الفحول. لمّا صدق الكسائي الله جلّ في علاه في الطلب، والرجل أعجمي صار وتداً وإماماً في اللغة العربية. العز بن عبد السلام طلب العلم كبيراً، ثم بعد ذلك صار سلطان العلماء.

الحق بأن مسألة الملازمة أو مسألة التوفيق من الله جلّ في علاه، أن الله جلّ وعلا يوزع في قلب الإنسان أن يكون حريصاً ملازماً لمجالس العلم ومطالباً له، فإذا وجد نفسه هكذا يتقطع فليخش على نفسه، فإن انقطع تماماً فلا بد أن يراجع نفسه في قول الله جلّ وعلا: **(وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَتَبَطَّهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)** [التوبة: 64]. فلا بد أن يختبر المرء نفسه وهو في هذه اللحظات وفي هذه المجالس التي من الله علينا بها، نسأل الله أن يديم علينا هذا الخير ما حيينا أبداً.

- موقف السلف من البدع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم صلّ على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

قال الإمام الصابوني -رحمه الله-: قال شيخ الإسلام: طبعاً قوله: قال شيخ الإسلام، فيها رد واضح قاطع على من ينكر أن يكون للإسلام شيخ، تفهم من المتأخرين الذين ينكرون كلمة شيخ الإسلام ينكرونها عداوةً لابن تيمية، ما يريدون هذا الكلام أن يطلق على ابن تيمية. يقولون: الإسلام ليس له شيخ، شيخ الإسلام وحده رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وهذا كلام صراحةً كلام ينم عن عداوة وبغضاء في هذا الباب؛ شيخ الإسلام الأنصاري، شيخ الإسلام الصابوني، وهذا البيهقي كان شيخ الإسلام صدقاً وحقاً. فالحق أنه يطلق على ذلك، ولذلك هو يقال بأن الشيخ هو الذي تضلّع العلم، بلغ مبلغاً عظيماً في العلم.

قال: قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كثيراً.

وهنا ترى أنه قال: ولعنهم لعناً كثيراً، هو يقول بأن الذي عطّل مثل هذه الصفات استحق اللعن، لأنه بهذا يرد على النبي -صلى الله عليه وسلم- ما أتى به من المسائل والأبواب الاعتقادية المهمة، ويرد على الله جلّ في علاه الصفات التي وصف نفسه بها فاستحق بذلك اللعن. هو في أمرٍ جللٍ خطير، ليس أمراً هيناً أن يرد على الله وصفه لنفسه، وأن يرد على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصفه. لربه جلّ في علاه. والتحرير الذي يُسمّى مؤخراً

بالتأويل هو في حقيقة الأمر رد، ولذلك قلنا ألزم الحجج عليهم أن نقول: أنتم أعلم أم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

الرسول -صلى الله عليه وسلم- قالها وسمعها الصحابة والصحابه لم يراجعوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما استدل هو بذلك. يعني قال: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال بذلك، ولمّا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- هم لم يشبهوا ولم ينزلوا الصفة صفة التشبيه ولم يعطلوا ولم يحرفوا ولم يؤولوا، بل استقبلوها باستسلام تام وانقياد تام دون أدنى مراجعة. هؤلاء هم الصحابة رضوان الله عليهم، وهم أعلم الناس بالإجماع. فلو كان الأمر على ما تزعمون، لخرج واحد منهم بين ذلك، فأقرارهم التام هذا يثبت أن من أوّل فقد حرّف وهو على خطرٍ عظيم.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: إذا قال لك الجهمي: أنا لا أؤمن برب يزول عن مكانه، فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

قال: وروى يزيد بن هارون في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله في الرؤية، وقول رسول الله ﷺ: **إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر**. فقال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد، ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحرد، وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به! ويحك، ومن يدري كيف هذا؟ ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه واستخف بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبندعوا فيه، فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم.

هنا كلام الفضيل ابن عياض بأنه قال: إذا قال لك الجهمي إنا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه؛ حاشا لله، هم طبعاً يقولون ينزل عن مكانه انتقال. والانتقال من أفعال البشر، فيكون النزول

إثباته لله جلّ في علاه فيه تشبيهٌ بالبشر. فنقول له: وهل لله ذات؟ هل لله وجود؟ قالوا نعم. والبشر لهم ذات ولهم وجود، هل ذات الله كذات البشر؟ يقولون لا. لِمَ؟ يقولون لأن ذات الله ذات تليق بجلال الله وكمال الله وعظمة الله، ووجود الله؟ وجود يليق بجلال الله وكمال الله وعظمة الله. قلنا هكذا الصفات تنحو نحو الذات، ما يقال في الذات يقال في الصفات ولا فرق، ولأن الصفة معنى ملازم للذات.

يعني كأن القول في صفات الفرع والقول في الذات أصل، فالآن أنا أنقل بكم من الأصل إلى الفرع. قلتم سمعٌ يليق بجلاله وكماله وبصرٌ يليق بجلاله وكماله، مع أن الله جلّ وعلا قال: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا) [النساء: 58]، وقال عن الإنسان: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) [الإنسان: 1-2]. قالوا: لا، مفارقة سمع الله غير سمع البشر، بصر الله غير بصر البشر. إذاً حب الله ليس كحب البشر، نزول الله ليس كنزول البشر، بغض الله غضب الله ليس كغضب البشر، والمسألة وتيرة واحدة لِمَ فرّقتم؟ وهذا من الجهل المطبق أن يفرّق بين المتماثلين، والشريعة جاءت تسوّي بين المتماثلين وتفرّق بين المختلفين. وما كان فرعاً عن أصل فلا بد أن يأخذ حكمه، القاعدة الفقهية عند العلماء: **المجاور يأخذ حكم المجاور**، فكيف بالفرع والأصل.

لا بد أن نقول والفرع حكمه حكم الأصل، إلّا ما دلّ الدليل لأنه قد يأتي الجزء يخالف البعض، يخالف حكمه حكم الكل لكن بقرينة. إذ الأصل الفرع يأخذ حكم الأصل، والجزء يأخذ حكم الكل، إلّا ما دلت القرائن. وقد دلت القرائن لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعائشة: يا عائش ناوليني الخُمرة، قالت: يا رسول الله إني حائض، قال: حيضتك ليست بيدك. وهذه القرائن التي تبين المفارقة، وإلّا فهي حائض كلها حائض، هل تستطيع يدها تصلي والجسد لا يصلي أو محل الحيض لا يصلي؟ لا كله أخذت حكم واحد أنها لا تصلي، كلها أخذت حكم واحد لا تصوم. لكن هنا لما تأتي المفارقة بالقرائن، قالوا: يا رسول الله ما لنا في نساءنا إن

حاضت المرأة؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **افعلوا كل شيءٍ سوى النكاح**، فجعل هنا الأعضاء ليست كمحل الحيض الفرج. ولَمَّا قال: **ناوليني الخمرة**، قالت: **إني حائض**، قال: **حيضتك ليست بيدك**. فلا بد أن تفهم هنا مسألة الفرع له حكم الأصل، إلا ما دلّ الدليل على ذلك.

فلا بد أن نقول هنا الكلام في الصفات كالكلام في الذات، لا مفارقة بحال من الأحوال. ونلزمهم الحجة؛ أثبتتم سمعاً بصرأ قدرة حياة، قلنا لكم وأثبتتم للإنسان سمعاً بصرأ قدرة حياة ما الفارق؟ قالوا هذه حياة تليق بجلاله وكماله وهذه حياة تليق بعجزه ونقصه، قلنا قل ذلك في الحب والبغض والسخط وغير ذلك ما الفارق؟ لا فارق. وهناك لَمَّا قال: لا أو من برب ينزل من مكانه. قال: أنا أو من برب يفعل ما يشاء. جعل النزول نقصاً فجعله الفضيل كمالاً، قال: لأن الذي يفعل كل ما يشاء دلالة أنه على الكمال، والذي يعجز عن شيء لا يفعله هذا نقص، ونحن ننزه الله عن كل نقص.

كلام رصين بمجادلة ومناظرة نظرية عظيمة تثبت لك كيف اتقان السلف لأبواب الاعتقاد، لأنه لَمَّا صح اعتقادهم صحت مناظرتهم وجادت وقد علت، وأيضاً قد أجموا كل من خالفهم وألقموه حجراً. وكما قلت لكم أعرابي بالفطرة السليمة في اعتقاد صحيح أسكت المعتزل الأكبر ابن أبي دؤاد، حتى جعل المأمون يقول: لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله وصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. أما هنا بالنسبة للرؤية، فالرؤية ستأتي مستقلة.

قال: وقصة صبيغ، الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ وأحوج إلى مثل ما فُعل به! هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: أن صبيغاً التميمي أتى أمير المؤمنين عمر. هو الكلام عن سعيد بن المسيب هل سمع عمر بن الخطاب أم لا؟ ويقال إنه كان صغيراً جداً، ويقال كان خطبةً. فالمسألة في ثبوت السماع مسألة مختلف فيها، والاختلاف

فيها كثير وإن كان بعض المحققين يرى ثبوت السماع، والأكثرية انه لم يثبت السماع سماع سعيد من عمر.

قال: إن صبيغاً التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) [الذاريات:1] قال: هي الرياح، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. وهذا اسمه التأسيس في التعليم، قال: أنت سألت عن آية، أنا ما أحببت منها إلا أنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا تدخل عقلك ولا تتكلم في القرآن بغير علم. لذلك كان أبو بكر يقول: أي سماء تظلني وأي أرض تغطي إذا تكلمت أنا في القرآن بغير علم. لا بد من أثر الشريعة الغراء لم تترك شيئاً قط إلا وبينته، لا شاردة ولا واردة ولا شاذة ولا فاذة إلا بينتها تبياناً تاماً كاملاً غير منقوص.

قال: فأخبرني عن (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا) [الذاريات:2]، قال: هي السحاب، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن (فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا) [الذاريات:4]، قال: الملائكة، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) [الذاريات:3]، قال: هي السفن، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: ثم أمر به فضرب مئة سوط، ثم جعله في بيت حتى إذا برأ دعا به، ثم ضربه مئة سوط أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن حرّم عليه مجالسة الناس. فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً، فكتب إلى عمر يخبره فكتب إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خلّ بينه وبين مجالسة الناس.

وهذا فيه ضعف، معروف أنه ضربه على العصا على رأسه ما ضربه مئة سوط. وهذا الكلام هنا على التعزير، والتعزير أو إقامة الحد لا تكون إلا لولي الأمر، ولا أحد ينزع ولي الأمر الإفساد في هذا الباب. لولي الأمر له أن يجتهد في هذه المسألة في تطبيقها أو عدم تطبيقها،

في التعزير، في عدم التعزير. هو الآن مؤكّل من قبل ربه جلّ في علاه ينظر في المصالح والمفاسد، وحسابه عند ربه، لكن المسألة منوطة بولي الأمر. لذلك حتى قلنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأصل فيها، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد الأصل فيها أنها لولي الأمر ليست لغير ولي الأمر، أو لأحد الناس من العلماء الذين يعلمون الأدلة على التحريم أو غير التحريم، إذا لم يُفسد، إذا لم تكن مفسدة.

فالمسألة دائرة عليه وهنا الحق أن التعزير لا يصل إلى الحد، يعني الحديث صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن ذلك وقال: **بأنه لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد**. فالتعزير لا يصل به إلى الحد على الراجح الصحيح عند جمهور الفقهاء. فمعنى أنه يضربه مئة سوط ثم مئة سوط، وطبعاً هذه تتفعنا في شيء آخر هو أن تثبت المفارقة العظيمة بين البدعة وبين الكبائر. القذف تجلده ثمانين جلدة وهي كبيرة من الكبائر وليست بالهينة، لكن هنا بالنسبة للبدعة تصل إلى ذلك. والحق البدعة ممكن كما قال مالك ممكن تصل إلى القتل، كما فعل خالد بن عبد الله القسري، وإن كانت القصة أيضاً فيها خلاف، أنه قال: فضحوا عباد الله فإني مضحّ بالجعد بن درهم، لكن هذا الرجل وصل في بدعته إلى البدعة الكفرية. فهذه فيها دلالة واضحة جداً على عظيم منزلة البدعة التي تفسد في حال الإسلام وأهل الإسلام، لذلك العقاب فيها وخيم.

فهنا يستأنس بها في ذلك بالشدة، لكننا نقول هي ضعيفة القصة ضعيفة والصحيح فيها أنه أخذ العصا وعزّره، ضربه ضرباً مبرحاً في رأسه حتى سال الدم من رأسه، حتى قام رجل وقال: يا أمير المؤمنين والله لا أجد ما كنت أجد، قال ذهب كل ما كنت أجد. وهو كان يتكلم في القدر، يعني المسألة عنده شبهة ويتكلم في أبواب القدر، والقدر دحض مزلة. ما يستطيع الإنسان أن يقف على أرض صلبة إن أدخل عقله في أبواب القدر، لأن الأصل في القدر أنه من الغيب ولا يتخيله العقل في حال من الأحوال. ولا كلام هؤلاء المتهوكين الذين فيهم ما فيهم من الجنون، جنون النجوم الذين يتكلمون على منازل النجوم ومنازل القمر. وهذه مسألة

عظيمة جداً، فالكلام في هذا معناها الهجوم بجرأة على المسائل الثابتة "مسائل الغيب". لمّا نجد أن هذا يُعرض أمام الناس على أن هذا علم وعلم مدروس وله مقدمات ونتائج، وهو الأصل فيه أنه كفر بالله جلّ في علاه، وأن المسألة كأنه إزالة ثابتة لأن الثابت عند الناس جميعاً أن الغيب لا يعلمه إلا الله جلّ في علاه، فهذه مسائل ليست بالهينة.

وقال مالك بن أنس: إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكّت عنه الصحابة والتابعون. أنظر هنا قال: إياكم والبدع، والبدعة أخطر في الدنيا على الإسلام وعلى أهل الإسلام، البدع هذه أخطر ما يكون على دين الإسلام. الشهوات، الشبهات، المعاصي أقل بكثير خطراً من البدعة. لذلك استحق صاحب البدعة اللعن، كما لعنه النبي -صلى الله عليه وسلم-. البدعة خطيرة جداً، لأنه ما نبنت بدعة وما ظهرت بدعة إلا وهدمت سنة، وهدم السنة هدم الدين، ولأن السنة سفينة النجاة إذا فالبدعة هي غرق الناس جميعاً، هي سفينة الهلاك. كل مستحدث فهو بدعة، كل شيء على غير مثال سابق فهو بدعة، هذا لغة.

هذه الهواتف بدعة، هذه السيارات بدعة، هذه الثلاجات بدعة؛ لكنها بدعة محمودة حسنة. لأنه كما قلت في كلام حتى تمجه الأذان، أنه يتكلم عن المتشددین يقول هذا الهاتف حرام اكسره، هذه الثلاجة حرام نريد الزير اكسره، وهذه السيارة لا نأتي بالحمار والجمال نمشي عليه. كلام حتى تخاريف ما يقبله أحد، وأنا ذكرت لكم كانوا يريدون الاستهزاء ببعض الملتزمين وأتوا برجل ملتزم جالس في سيارة، تصويراً في سيارة مع الرجل يقول له: يا أخي هذا التسجيل هل هذا كان على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ يقول: لا، لم يكن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، يا أخي إذا لا تستعمله لأنه لم يكن عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-. وبعدها الرجل يشرب سيجارة، فقال له: يا أخي هل هذه السيجارة كانت على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ لا يا أخي، ليست على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذا لا تشربها. فنظر إليه قال له: يا أخي، قال: نعم، قال: التاكسي هذا كان على عهد رسول الله؟ قال: لا، قال: إذا

فخذ راحلة من رواحل مكة واذهب مع قوم قريش، اذهب إلى ما انت تريد. استهزاءً في هذا الباب.

بل نحن نقول كل من برز اختراعاً واجتهاداً وأتى بشيء فيه ما فيه نفع للمسلمين، له ما له من الأجر في ذلك، ويمدح على هذا. لكن لا نقول بأن المدح الذي جاء في الكتاب أو في السنة لكل العلوم، هو خاص بالعلم الشرعي لكن هو يمدح تبعاً والنوايا، النوايا التي تحكم لأن كل الأصل حتى الذي اخترع ما نراه الآن في هذه الكهرباء تنفع الإنسان استنارةً له ما له من الأجر العظيم لو كان مسلماً. لو لم يكن مسلماً؟ الله جلّ وعلا يرزقه بما فعل رزقاً في الدنيا، لأنه يأتي يوم القيامة ليس له ثمة شيء.

في اللغة: فالبدعة كل شيء مستحدث، كل ما كان على غير مثالٍ سابق فهو بدعة.

وفي الاصطلاح (تعريف ابن حجر وتعريف ابن تيمية): كل ما خالف ما أتى به النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو بدعة، كل ما خالف ما كان وفق الشرع فهو بدعة. ما أتى بشيء لم يكن على وفق ما جاء به الشرع فهو بدعة، وهذا في التعريف أوسع.

ولذلك بعضهم يقول هذا التعريف يعطي مساحة بعض الشيء مساحة لمسألة تمرير البدعة الإضافية، لأنه يقول كل ما جاء ولم يكن على وفق الشرع. فهم يقولون الصلاة الرجبية لها أصل إذاً على وفق الشرع، وهم طبعاً يستدلون على ذلك بخبثٍ وبلوٍم في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**. يقول الصلاة هي من أمرنا، انتهى. نحن نقول له لا قف عندنا القرائن الأخرى تقول: **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا** (أي على هيئة ليست عليه أمرنا) **فهو رد**، والدلالة على التقيد بالهيئة ابن مسعود لما دخل عليهم [سبحوا مئة كبروا مئة هللوا مئة] جاء على وفق الشرع الآن؛ **(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا)** [الأحزاب: 35].

ابن مسعود بالذات دليل أسطع من شمس النهار لكلام الشاطبي، لتعلم أن المتبحر مثل الشاطبي في كتاب الاعتصام من أعظم الناس فهماً لدقائق هذه المسائل، لذلك عودي وحورب محاربة أعلى مما تكون. هو هكذا صاحب السنة لا بد أن يُحَارَبَ حتى ممن هو من بني جلدته، من نفس فكره لكن سبحان الله دون أن نستطيل بالكلام. لكن لا بد أن يعادى، ولو انفراداً ينفرد بالسنة عنده دليل. يقول: يا جماعة اسمعوا أنا قائدي الكتاب والسنة، المعارض "ساحة العلم" موجودة، فليأتني وليبين نفسه علمياً. فقط هذا هو فصل الخطاب، أقصر شيء للحقيقة العلم، وأقصر شيء لكسب أي منازعات العلم. من عنده شيء فليأتني، من أظهر علماً تابعناه، ومن رأى في نفسه العلم فاستبان له الجهل فليتعلم وإلا فليكيف ويرحم الناس.

فابن مسعود رآهم [سبحوا مئة كبروا مئة]، هذا على وفق الشرع هذا ذكر لكن ماذا قال؟ قال: أنتم على ملة أهدى من ملة رسول الله!! انظر جعلها ملة مفارقة، مع إنه الأصل موجود. قال: أنتم على ملة أهدى من ملة رسول الله أو مفتتحو باب ضلال. قال: أنا أحفظ لكم حسناتكم، عدوا بما تفعلون سيئاتكم. والأصل في ذلك هو الصلاة وفق الشرع ثم قال: **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي**، فالهيئات التي جاءت بالرفع والركوع والاطمئنان هيئات توقيفية. وبعد ذلك نرى الأمر الثاني.

في المرتبة الثاني أن بعضهم قال: "أصوم ولا أفطر"، والصيام على وفق الشرع. الثاني قال: "أقوم ولا أنام"، والقيام على وفق الشرع، (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * فُمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا**) [المزمل: 1-2]. ومع ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أنا أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء، هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني**. إذاً المسألة مقيدة، المسألة ليست على الإطلاق كما يقولون، كما قلت بلوئ يقول على وفق الشرع: **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**. إذاً مفهوم المخالفة "من عمل عملاً عليه أمرنا فهو مقبول"، فقالوا إذاً نقول البدعة الحسنة، هذا خطأ بين.

إذاً تعريف البدعة بأنها كل ما خالف الشرع، يعني ليس على وفق الشرع فهو بدعة. هذا فيه سعة لأن بالتعريف هذا يمرر البدعة الإضافية، وأنا بينت للإخوة قبل ذلك في الإبانة مسألة البدع والكلام بفتاوى ابن حجر الهيتمي والسبكي، وهؤلاء المفروض الأصول عندهم في هذا الباب، يبينون مسألة الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الأذان، الهيتمي يقول بدعة وأيضاً السبكي قال في أكثر من موضع من هذه المسائل على البدعية في هذا الباب.

لكن كلام الشاطبي كلام موزون وهو قال: **البدعة هي طريقة في الدين مخترعة يضاهي بها الشرعية** (يعني المسألة على المشاكلة الآن) **يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله جلّ في علاه.** (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا**) [الحديد: 27] طبعاً هنا الاستثناء هنا استثناء منقطع (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**) لكن فعلوا ذلك زعموا ابتغاء مرضاة الله. حتى ولو صحت النية اجعلها على ما قال: (**إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**) يعني لكن ابتغاء رضوان الله فعلوا ذلك وابتدعوا ابتغاء رضوان الله، والنية الصالحة لم تصلح العمل الفاسد، سمّا الله جلّ وعلا بدعة (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا**). الآية أيضاً ترد عليهم، الإنسان لو يتأمل ويدرك (**ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**)، كيف هذا الرد عليهم في البدع من هذا؟

الرد عليهم: هي لها أصل من الشرع، فإن كان لها أصل من الشرع فالأصل قد كتبه الله، فلمّا لم يكن على وفق الشرع كليةً ألغى أن يكون مكتوباً. أنت تقول هذه الآية الأصل ما كتبه الله جلّ في علاه رضوان الله في التعبد، فهم أرادوا التعبد على مُشاكلة التعبد هذا لكن بشيء لم يكن على وفق ما فرضه الله جلّ في علاه فلم يسمّيه الله جلّ وعلا مكتوباً. (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**) فجعلها عدم كتابة، مع أن الأصل موافق (**إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**) لأنه شاكل في ابتغاء رضوان الله، قال: (**مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا**).

ممكن صاحب البدعة الإضافية له دليل في الآية يتمسك به، فبعدما هجمنا عليه يقول: الأصل في الشاهد: (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) أين وجه الدلالة؟ مفهوم المخالفة؟ المعنى أنه لو رعاها حق رعايتها قد تقبل. نقول: لا، هذا كشف للحال. قالوا: من أين كشف الحال كما نقول؟ قلنا تعالوا الأدلة تثبت كشفها.

الحق أن نقول لهم (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) كشف للواقع وصف حال ليس له مفهوم، فقالوا: كيف؟ قلنا القرائن والأدلة. قالوا من أين؟ قال الله جلّ وعلا: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) [الشورى: 21]. إذا التشريع المحض بالصفة والهيئة والتأصيل كله لله جلّ في علاه، فلمّا نقول لهم (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) ليس مطلوباً أن يكون أنهم لو رعوها أنه يقبل لأنه قد شرعه أصلاً لكنه لم يشرعه وصفاً، والوصف مطلوب شرعاً. وأيضاً من ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل بدعة ضلالة؛ "كل" نص في العموم.

إذاً البدعة طريقة في الدين مخترعة تضم: البدع الأصلية والبدع الإضافية. ولا يصح في الأذهان أن نقول إنه يصح للإنسان أن يخترع عبادةً ويجر الناس عليها. من يقول بذلك؟ وكيف؟ وهذا المنازع الذي انشغل بعلم الحديث وهو ينازع منازعة شديدة جداً من أجل تخطئة الشاطبي في مسألة البدعة الإضافية، ويريد أن يفتح المجال للبدعة الإضافية. أين علم هذا؟ أين فهمه لقول الله جلّ في علاه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: 7]؟ أين فهمه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل بدعة ضلالة؟ أين فهمه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة؟ "بدعة" نكرة في السياق فصيغة الإثبات تفيد الإطلاق.

لذلك هذه المسألة خطيرة جداً، لأن المدخل لأهل البدع ليس في أصل التبديع في أصل البدع، لأنهم يظهرون للناس يقولون هذه بدعة نعوذ بالله من البدعة لا نعمل بها، ثم يتكلم بعد ذلك

ويدخلها من ناحية البدع الإضافية. وأصل الأصول في الكلام كما بينت قبل ذلك أنا الشافعي قال: البدعة بدعتان بدعة حسنة وبدعة سيئة، طبعاً رددنا على هذا الكلام بالتفصيل، والرد الأمثل بذلك قال الشافعي وقال مالك وقال أبو حنيفة!! لا حجة لأحدٍ كائناً من كان مع رسول الله، قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **كل بدعة ضلالة**. قالوا لا أنت الآن تتكلم على فهم السلف، هذا فهم السلف كالشافعي والبيهقي. قلت: صحيح ولو اختلف فهم السلف؟ قال: نأخذ بالأقرب إلى السنة. قلنا: تعال الشافعي أم أبو بكر؟ أم أبو بكر، الشافعي أم ابن عباس؟ ابن عباس، الشافعي أم عبد الله بن عمرو بن العاص؟ الشافعي أم زيد ابن الحارثة أو زيد بن ثابت؟ هؤلاء جميعاً قالوا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **كل بدعة ضلالة**، فلا بد أن نفهم هذا الوضع.

البدع أقسام: بدعة في الاعتقاد وبدعة في العبادات.

- أشرها وأسوأها وأعظمها وزراً البدعة في الاعتقاد، بدع الاعتقاد بدع مميتة قد تصل بالمرء إلى الخروج من دائرة الإسلام. وهنا تكلم فيها الإمام مالك قال: **إياكم والبدع**، ثم ذكر البدع في أسماء الله وصفاته. البدع في أسماء الله هي الإلحاد في أسماء الله الحسنى، (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**) [الأعراف:180]. الإلحاد في أسماء الله من البدع، تسمية الله بغير ما سَمِيَ به نفسه بدعة كما يقول بعضهم الأب وبعضهم يتكلم على الله جلّ وعلا وهو يصفه على وصف الله جلّ في علاه، لو كان خبراً لصح. والبدع في الصفات هو نفي الصفات.

لو كان خبراً لصح، لو كان خبراً يصف الله بخبر؛ يقول: الله موجود، فيصفه بالوجود خبراً عنه يعني يقصد بأن وجود الله جلّ وعلا نعتقده ونؤمن به حتى لو قال الله: (**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلْ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ**) [الأنعام:19].

إذاً قال: وفي علمه وصفاته وكلامه، طبعاً البدع في كلامه أنه يقول الكلام ليس بكلام الله بل هو مخلوق. ومن أشنع البدع أن يقول هو كلام الله لكن الذي بين أيدينا عبارة عن كلام الله، هذا وصف لله بالنقص. لذلك قال المحققون المعتزلة قولهم أعلى من قول هؤلاء الذين يقولون هو عبارة عن كلام الله، وأن يقولوا الكلام ثابت لكنه الكلام النفسي. من أين أتوا بذلك؟ في اللغة ومنطق اللغة يقولون المتكلم لا يكون متكلماً إلا بصوت وحرف، لذلك من صلى وقرأ الفاتحة في القلب يقولون صلاته باطلة، طبعاً عند المحققين الذين يقولون بأن القراءة ركن. لا يوجد شيء اسمه الكلام يكون كلام نفسي!! يقصدوا أن الله جلّ في علاه لم يتكلم بهذا المصحف الذي بين أيدينا، جبريل فهمه بالفراسة -أستغفر الله-، فهمه عن الله وعبر عما في نفس الله بذاته بهذا الكلام المكتوب.

كلام سيء جداً، هذا كلام أسوأ من كلام معتزلة، لأن المعتزلة في نهاية أمرهم قد وصفوا الله بالكمال وهو الفعل "الخلق". أمّا هؤلاء وصفوه بالعجز والنقص، جبريل عبر عنه!! هذه مشكلة كبيرة. ولذلك أنا أقول أعدل الأقوال: القرآن كلام الله تكلم به. طبعاً أقول القرآن كلام الله غير مخلوق على وصف الصحيح، لكن في كل مرة "غير مخلوق" أنت بهذا لم تترسم خطي السلف في الكلام، قالوا: القرآن كلام الله. إذا كان المقام مقام تبين ثبوت؛ كما فصل الله جلّ وعلا، وطبعاً تعلمون موطن التنزيه مواطن إجمال لكن فصل الله جلّ وعلا فيه في مقام الرد والمناظرة.

إجابة عن سؤال: المسألة هذه لا بد أن نبحث، الزبور والصحف والتوراة والإنجيل كلها من عند الله، نؤمن بذلك غير مخلوقة. لكن هل تكلم الله بها وسمعها جبريل؟ نحتاج لدليل، الدليل الذي جاء صريحاً بأن الله تكلم بالقرآن.

إجابة عن سؤال: الكلاّبية قالوا تكلم ولم يكن متكلماً، فهم وصفوه بالكمال في الكلام. لكن المعتزلة يقولون القرآن مخلوق كالشجرة. كتاب اسمه كتاب في ضلال القرآن؛ الإنكارات التي عليه من هذا، شبه القرآن بالسماء والأرض والقمر والشمس، والسماء مخلوقة. وطبعاً هو لا يؤاخذ في ذلك لأنه ليس عالم شرعي، هو رجل أديب وفصيح وبليغ، لا يؤاخذ بذلك لكن نقول له هذه مأخذ في العقيدة ليست بالهينة. لكن هو نفسه هل أنت أصلاً تبدّعه وتكفّره وتفسّقه؟ هذا غلو، الرجل أصالةً ما قال لك أنا عالم شرعي، هو يتكلم بالنواحي الأدبية التي يملكها. لكن نحن نقول الأدب أو الشعر أو غير ذلك إن لم يكن له ضوابط شرعية، ماذا يحدث؟

كالشيخ الدكتور، دكتور بارع جداً وهو شامة في سماء إسلامنا، الدكتور زغلول النجار، رجل فاضل ويتكلم في مسائل التكنولوجيا وعلم الفلك. لمّا تكلم على النجوم وقول الله جلّ في علاه: **(لا أقسم بمواقع النجوم)** [الواقعة:75]، وجلس يفسرها تفسير أنه لمّ قال مواقع النجوم ولم يقل النجوم؟ يعني الذي تراه أنت ليس هذا النجم، هذا موقع النجم، النجم رحل من ذلك المكان من زمن بعيد لكن من أجل المسافات التي بينك وبينه. الذي هالني واتعبنى لمّا قيل له قد قال الله جلّ وعلا: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:5]، قال: لا نقول بذلك نحن، نقول بأن الله في كل مكان. رجل بارع في مثل هذا وعالم بهذا العلم قال بكلمة تخرج، كلمة ليست بالهينة تقول الله في كل مكان!!! هذه مسألة العلماء اتفقوا على أن قول "الله في كل مكان" هذا كفر. فلا بد إذا كان هناك أدب لا بد يكون في ضوابط شرعية، إن كان هناك شعر لا بد من ضوابط شرعية، إن كان هناك فلك يبقى لا بد من ضوابط شرعية، إن كان هناك أي شيء أي علم لا بد له من ضوابط شرعية حتى يتعدل ولا يتعدى المرء الدائرة الصحيحة.

نرجع لكلام مالك أيضاً قال: لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون، كأنه قال: قف حيث وقفوا، يسعك ما وسعهم، هذا الأصل.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

وسئل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- عن شيء من الأهواء فقال: الزم دين الصبي في الكتاب والأعرابي، وانه عما سوى ذلك.

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته.

هذا كلامٌ نقف عنده؛ قول ابن عيينة لما يقول: **كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته**، يقول تفسيره هو تلاوته والسكوت عنه، لا يقصد بذلك التفويض أبداً. هذا كلام فيه احتمالات؛ قال: **تلاوته وتفسيره**، يعني إن قال: **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** [الفتح:10]، **(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)** [القمر:14]، **(وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي)** [طه:39]، **(فَأَنَّا بِأَعْيُنِنَا)** [الطور:48]، قول الله جلَّ في علاه: **(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** [الرحمن:26-27]. فنقول له **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** [الفتح:10]، ما اليد؟ يقول تلاوتها وتفسيرها **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** [الفتح:10]، يقول **(إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)** [آل عمران:181]، **(يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعُنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)** [المائدة:64]، يقول تلاوته وتفسيره، هذا المتنوع المفوض الذي يقول لا نعلم عنها شيئاً إلا أن تتلوها هكذا.

وهذا ليس بكلام ابن عيينة وحمل كلام السلف على كلامهم في مواضع، ومواضع المقصود بذلك تلاوتها وتفسيرها في كيفيتها؛ كيف يد الله؟ أطلق اليد وأثبت اليد وأعلم أن الكيفية غيب فأؤمن بها. فالمعنى هنا تمريرها، "تلاوتها وتفسيرها" المقصود به في الكيفية، وأما تلاوتها والبحث عن معناها فهذا أصل في اعتقاد أهل السنة والجماعة العلم بالمعنى، لأنه لا يمكن أن يقال بأن الله يخاطبنا بما لا نعقل هو ما يريد إضلالنا. ولذلك المتنطعون والمتهوكون كأنهم يقولون بأن ظاهر القرآن كفر، يعني خاطبنا الله بما يكفرنا به، خلقنا للنار لا للجنة مع أنه لما خلقنا ما خلقنا إلا ليرحمنا. نعم هو ما خلق إلا ليرحم سبحانه جلَّ في علاه.

فهذا أمرٌ جَل لا بد من إتقانه وفهم ذلك، وجاء عن أحمد ذلك، وابن قدامة مررها هكذا. فأنا مررتها دون أن أقف ابن قدامة من أجل علل احتراماً لابن قدامة، لكن حقاً فيها دحض مزلة في كتاب لمعة الاعتقاد، وفيها ما فيها من الإلماح إلى مسألة التفويض. وأن أحمد بن حنبل لمّا يقول: أَمَرُوهَا كما جاءت؛ يقصد أَمَرُوهَا كَيْفِيَّةً كما جاءت فقط، ثبت العرش، قل هناك كيفية لكنها غيب ونؤمن بها.

وقال وليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية قال: أَمَرُوهَا كما جاءت بلا كيف. الآن قال: **بلا كيف**، يعني التقدير هنا بلا كيف معلوم، فكل صفة لا بد أن تقول لها كيف، ولا يمكن يصح في الأذهان صفة بلا كيف. هذا كيف غاب عنا، فنستسلم وندقاد القيادة التامة.

وقال الإمام الزهري، إمام الأئمة في عصره وعين علماء الأمة في وقته: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. الله أكبر، هذا من أمتع ما يكتب بماء العين: **على الله البيان** كما قال: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة: 16-19].

وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

وقال الإمام: قال كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**. قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: **الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله**. وهذا معروف في شرف أهل الحديث، أنظر هذا الحديث العظيم: **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء**. إذا من لم يجد نفسه في غربة بما يعرض بنواجز من السنن، فليعلم أنه ليس على الحق الكامل. كما يقولون إن تتضلع الغربة، لا بد أن تشعر الغربة داخل الغربة. لذلك علماءنا يقولون: هناك غربة أهل الإسلام مع كفار الدنيا (هذه غربة العامة)، ثم غربة أهل الإيمان مع أهل الإسلام، وغربة

أهل الإحسان مع أهل الإيمان، وهناك غربة عظيمة جداً هي غربة الذي يعرض بالنواجز على السنن. والحق هذا الذي يقولون يغرد وحده.

وهناك كلمة حق لكن يريدون بها باطل عندما يقولون: كدر الجماعة خيرٌ من صفو الفرد. ماذا إن الجماعة خالفت شرع الله، خالفت سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، الجماعة بأسرها حادت عن سنة ظاهرة. أنت غير مطالب بصفو، أنت مطالب بـ"قال الله، قال الرسول". لذلك قال ابن مسعود: **الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك، (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)** [النحل:120]، ثم قرأ: **إن معاذاً كان أمةً**. الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك، ولا حق إلا الكتاب والسنة. بعد ذلك ضلال، وليس هذا من عنديّة نفسي، قال الله جلّ وعلا: **(مَآذًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)** [يونس:32]. الله جلّ وعلا قسمها قسمتين: قسمة حق وقسمة ضلال. قسمة هدى والهدى الكتاب والسنة، أو قسمة هوى والهوى معه الردى. قال: **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ)** [ص:26]، إمّا هدى أو هوى.

فلذلك نحن نقول لما قيل لإسحاق بن راهويه: من الجماعة؟ قال: **عالمٌ أثري يتمسك بسنة النبي**. هذا هو الحق، فهذه غربة المتمسك بالحق، غربة داخل الغربة، **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء**. فقالوا: من يا رسول الله؟ طبعاً أكثر من حديث جاء في التفسيرات لكن هنا قال: **الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله**. ما الفرق بينهما؟ جملتان متساويتان **"يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله"**؟ متساوية متكررة أم فيها اختلاف؟ هذا تأسيس قال: **يحيون سنتي**؛ يعني يعملون بها، هذه فيها دلالة واضحة جداً:

هتف العلم بالعمل *** فإن أجابه وإلا ارتحل

اللهم اغفر لنا الزلات والسقطات والهتات، يعني هو ممكن تعمل بالسنة لكنك تحيد بالمعصية، وهذا فينا جميعاً. كما قلت لكم الصحيفة يعلم الله بها، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك

أنت الأعز الأكرم. لكن حقاً الغرباء: هو الذي يعلم السنة فيحييها بعمله هو ثم بعد ذلك يعبد الناس بها، وهذه علامات العالم الرباني.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله. يعني كأن العض بالنواجذ على السنة لأن الجميع خلفك، الجميع عليك. قلت لك أنت مع من يستوي معك في فكرك يضرب فيك ضرباً قوياً، والأمر الثاني يجهل ما تقول فيحارب ما تقول، هو يجهله يقول هذا جاءنا بدين جديد خالف الإجماع. المرأة الحائض لا تقرأ القرآن، هذا كلام مخالف للإجماع، جهل مركب، هذا هو الجهل المركب. امرأة تنتقد رجلاً، فأخوها تكلم معي فقال لي من ضمن المآخذ تقول ابني يقول لي صلاة الجماعة فرض كفاية. لا يا جاهلة، هو أصلاً الجماعة عند الأئمة الثلاثة سنة، الشافعي ومالك وأبو حنيفة يقولوا بأنها سنة، والرابع يقول فرض كفاية أو سنة، فنقول ثلاثة بل ممكن نقول الأئمة الأربعة.

هذا علم، ولم تحجّر واسعاً؟! يعني رجل الآن ما صلى في المسجد وصلى في البيت فأنت تجيب ميكروفون ولافتة كبيرة يا فاسق انزل يا فاسق صلي في المسجد، أنت فاسق لم تصلي في البيت!! هم يريدون ذلك في هذا الباب، والشرع يأبى ذلك. الرجل دخل المسجد، فلما صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- نظر إليه قال: **لَمْ لَمْ تصلي معنا؟ ألسنت برجل مسلم؟! لأن الصلاة علامة الإسلام، قال: صليت في بيتي، فقال له: إذا صليت في بيتك ثم أتيت المسجد فوجدت الناس يصلون فصلّ معهم، في رواية فيها زيادة في المسند قال: تكن لك نافلة. وبالاتفاق المحققون -كما نقل ابن عبد البر في الاستذكار- قالوا: ويستدل بذلك على سنية صلاة الجماعة.**

لابد للعالم هو الذي يتكلم، لا يصح للجهلة أن يتكلموا في أي مسألة. والمشكلة بأسرها هم ينتقون الجهال من أجل السيطرة على عقولهم، لأن العالم أو طالب العلم ما يسكت. يعني هنا لما قال: المتبع للسنة، لما تنظر بأنك لما تتكلم عن السنة وتنشرها بين الناس، وترى الأدلة على ذلك وتنشرها ويحاربك من يحاربك، هذه دلالة أنك في غربة عظيمة جداً في هذا الباب. لذلك أنا

أقول دائماً العلم بعد ذلك يسود ولو طال الزمان، ومحاربة أهل العلم في نهايتها خسارة وبوار حقاً، لأن هي المسألة يتحكم فيها أحقاد أهواء نفسية، فيها ما فيها. لمّا جلس رجل ملتزم من ثلاثين سنة لمّا تأتي تسأله في مسألة المواريث لا يفقه لا يعرف شيئاً، ولمّا يجد ولد صغير الآن يمر كالسهم في المواريث، ماذا سيقول؟ لن يرتضي بهذا بحال من الأحوال، وسيتقدمه فهو يريد أن يُظلم كما أظلم حاله هو، وهذه غربة داخل الغربة.

لذلك لا بد أن نقول عَوْد على ما كانوا عليه، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- حكم قضاءً قال: **فطوبى للغرباء، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً**. فعَوْد غريباً سنة كونية، فمن وجد نفسه في هذه المحلّة فليستبشر خيراً، فكوناً إن الله جلّ وعلا اصطفاه من بين الناس. أمّا إن كان هو إمعة كما قال ابن مسعود: **إذا أصلح الناس أصلح وإذا أفسد الناس أفسد**، فليعلم أنه لم يكن من المختارين فيما قاله النبي الأمين: **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**.

إجابة عن سؤال: قلت لهم الديانة أنك إذا قلت هذا لا تترك الجماعة، ولم تتركها وهذا أقرب إلى الله جلّ في علاه؟ لكن من وجد في نفسه عدم الخلفة. ملتزم ويقول بفرضية الجماعة، طلع وجد أباه يصلي في البيت سيفسق أباه؟! سيأثمه؟! كيف تأثمه والله جلّ في علاه قد بيّن على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن: **صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبعة وعشرين**. أنا فقط أبيّن كيفية الجهل ومراد التشويش بالأهواء، هي أهواء نفسية ليس ديانة، المسألة ليست على الديانة لأن المسألة لو على الديانة ماذا يقول؟ يقول: ننظر فيما قال الله وقال الرسول، هل عنده دليل أم لا، إذا كان هناك دليل فالدليل يسع، وإن كان يسع فلا يصح الإنكار.

طوال النهار تقولون فقه الخلاف، ولا تفهمون ما هو فقه الخلاف، ولا تعملون بفقه الخلاف، هذا خطأ بيّن. افهموا الآداب في هذا الباب، وهي أيضاً هذه الآداب انخراطها يدل على الغربة فيما نحن فيه، فلذلك نحن نقول من يسع لا بد أن يسع حتى لا نكون في غربة، لكن نحن في غربة حقاً. الإمام البخاري في زمان الرعيل الأول قال: **ما سمعت برجل من أهل السنة إلّا**

وأرسلت إليه السلام فإنهم إلى قلة، لو البخاري عاش في الزمن هذا سيموت يا ابني لأنك ستستخلص أهل السنة بملقاط، الله المستعان.

وقال مسروق دخلنا على عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً قليلاً به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. هذا ما نقوله الآن، لمّا تكلمنا مع الجاهلة التي قالت أنا الجاهلة أقول لا بد بالوجوب، ما دمتي جاهلة اسكتي. من كان يعلم قليلاً، ومن كان يجهل فليسكت، يقول لا أعلم. وهو الذي فعله ابن عمر لما سئل عن ثلاث مسائل في المواريث لم يتقنها، أخذ بيده هكذا ثم قال: لا أعلم، لا أعلم، لا أعلم. ثم قام فصّرّح في الثالثة: **الحمد لله الذي وفق عبد الله أن يقول فيما لا يعلم الله أعلم،** أو قال: **لا أعلم.** لمّا مالك يأتيه رجل من المغرب يسأله عن أربعين مسألة، طبعاً ضرب له أكباد الإبل وقطع الفياقي والفقار، بعد ثلاثة أيام قال له: أرجع إلى الناس بعد كل هذه المسافة أقول إمام دار الهجرة يقول لا يعلم؟ فابتسم قال: اذهب وقل لهم يقول إمام دار الهجرة إنه لا يعلم. فلما ذهب بها كاملةً غير منقوصة للمغاربة، كل أهل المغرب صاروا مالكية. سبحان ربي العظيم، قال: أجهلها لا أحسنها لا أعلم، وبعد ذلك الجميع اعتنقوا المذهب المالكي، هذه أحوال مع الله جلّ في علاه، ومن صدق الله صدقه الله.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: يا أيها الناس من علم شيئاً قليلاً به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم؛ قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: **(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)** [ص:86].

وقال محمد بن كعب القرظي: دخلت على عمر بن عبد العزيز، فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً، فقال: إنك لتنتظر إليّ نظراً ما كنت تنتظره إليّ وأنا بالمدينة، فقلت: لتعجّبي! فقال: وممّ تعجب؟ قال: قلت: لما حال من لونك ونحل من جسمك ونفي من شعرك؟ قال: كيف ولو رأيته بعد ثلاثة في قبري وقد سالت حدقتاي على وجنتي وسال منخراي في فمي صديداً، كنت لي أشد نكرة، حدثني حديثاً كنت حدثتني عن عبد الله بن عباس. قال: قلت: حدثني عبد الله بن عباس

يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: **إن لكل شيء شرفاً، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة، لا تصلوا خلف نائم ولا محدث، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار.**

طبعاً هذا حديث فيه شواهد كثيرة لهذه القطع في قوله: **لا تصلوا خلف نائم ولا محدث،** وحتى لو صلى ليس فيها إثم، والمحدث هنا بمعنى الجنب. ولأنه لو صلى خلف النائم قد يتحرك النائم بحركة تشغله عن الصلاة، لكنها لا تقطع الصلاة إلا إذا كانت امرأة فقامت ومشت أبطلت الصلاة، لأن مرور المرأة على الراجح أنها تبطل الصلاة بها. وأما قتل الحية والعقرب في الصلاة كما قال ابن عمر وغيره. وأما قوله: **ولا تستروا الجدران بالثياب،** أصل النهي بذلك الرفاهية والإسراف والتشبه بالكعبة، أصل النهي في ذلك عِلَّتَان:

🌿 العلة الأولى أصل النهي في ذلك التستر من الإسراف والترف وهذا ممنوع، قال: **(وَلَا تُسْرِفُوا)** [الأعراف:31].

🌿 والثاني أن فيه تشبه بأهل الكفر، وأيضاً فيه تشبيه بالكعبة، لذلك نهى الشرع عن ذلك. أما ستر الجدران بورق الحائط هل ينزل منزلة هذه الستر أم لا؟ الحق أن ورق الحائط مثله مثل الدهان، لكن التحمير في المسجد أيضاً منهي عنه كما ورد عن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-.

قال: **ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال ﷺ: الذي يجلد عبده، ويمنع رفقده، وينزل وحده، أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي يبغض الناس ويبغضونه. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. أو لا أنبئكم بشر من ذلك؟ الذي لا يرجى خيره ولا يؤمن شره.** "لا يقبل عثرة" هذه من الأهمية بمكان، فرق بين نبيل وخسيس؛ الخسيس يقع على الزلة فيعض عليها بالنواجذ، يريد نشرها، يريد الإفساد بها، يريد الإظهار لعل. والنبيل إذا وقع على الخسيصة رفعها، وإذا وقع على الرذيلة كتمها، وهذا النبيل. وهذا فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- من نبيل الخلق عندما قال لعائشة: **يا عائشة إن كنت قد ألممت**

بذنب فاستغفري الله فإن الله غفورٌ رحيم. ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **أقبلوا ذوي الهيئات العثرات إلا الحدود، فلو كان حداً فلا. قال لأسامة ابن زيد: أتشفع في حدٍ من حدود الله؟!، وقال: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. لكن إن كان الأمر لم يصل للحد فأقبلوا ذوي الهيئات العثرات.**

قال: **أو لا أنبئكم بشر من ذلك؟ الذي لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره.** وهذا هذا أيضاً تفسير للتوكل؛ حسن التوكل وحسن الظن بالله واليقين والثقة بما في يد الله جلّ في علاه. فلذلك فسرّها في الأمر الثاني: وأغنى الناس لو توكل على الله حق التوكل صار أغنى الناس بهذا، لأنه يثق بما في يد الله جلّ في علاه. وهذا ترجمه كثير من العلماء، لذلك الحسن البصري -جاء هذا مرفوعاً موضوعاً وجاء موقوفاً صحيحاً- عندما قال: **ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.** هو نفسه عندما باع واشترى وربح قالوا أنت الآن استريح أكثر، قال: **لا، علمت أن رزقي بيد ربي ولن يذهب لغيري فاطمئن قلبي.** أنت ستأكل اللقمة ستأكلها، نائماً قائماً قاعداً لن يأكلها معك أحد، لكن الله جلّ وعلا قدرّها، ما دام قدرّها الله لك. لذلك قال: كن أحسن الناس ظناً بالله جلّ في علاه، وثق بما في يد الله أشد من ثقتك بما في يدك.

وهذا خلاف لما تبتطنه اليهود لما قالوا: **(لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ)** [البقرة: 61]، حتى يكون مملوكاً في اليد!! عدم ثقة في الله. لكن أنت إذا قال الله لك نم قرير العين ورزقك سيأتيك، قل سمعت وأطعت ووثقت في ربي. هذا تعامل القلب مع الله جلّ في علاه، حسن الظن بالله. **أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله.** لما قال أنس بن النضر: أتكسر رباعية الربيع؟! لا تكسر والله. قال: يا أنس كتاب الله القصاص، قال: والله لا تكسر. ما قالها معارضةً للنبي -صلى الله عليه

وسلم- ولكن قالها إحسان ظن بالله، فماذا حدث؟ ارتضى الأولياء بالدية، تعجب النبي قال: **رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**. فأبره الله جلّ في علاه.

قال: **ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق بالله**. إن عيسى عليه السلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل، لا تكلموا بالحكمة عند الجهّال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالماً فبيطل فضلكم عند ربكم. يعني أنت لو كافأت ظالماً أو ابتسمت له على ظلمه أعنته على الظلم، فإن أعنته على الظلم أبطلت كل ما لك من الخير. والظلم ظلمات يوم القيامة أعجل عقوبة هي عقوبة البغي وأعظم الذنب الظلم، لا سيما إذا كان الظلم بالشرك؛ وهو أن يضع الشيء في غير موضعه وأن يتعبد أو أن يصرف العبادة لغير الله جلّ في علاه، كما قال الله جلّ في علاه: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** [الأنعام:82]. قالوا: يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه؟ قال لا، اسمعوا قول الله جلّ وعلا عندما قال الله جلّ وعلا عن قول لقمان لابنه: **(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** [لقمان:13]. لذلك قال الله جلّ وعلا: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا)** [يونس:44]، **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)** [النساء:40]، وقال الله جلّ في علاه: **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً**.

وحذر الله أيما تحذير على لسان نبيه الأمين عندما بعث معاذاً إلى اليمن قال: **وإياك ودعوة المظلوم، ليس بينها وبين الله حجاب**. وقلت بأن حديث في الطبراني عن ابن عمر: **إياكم ودعوة المظلوم ولو كان فاسقاً، وفي رواية أعظم من ذلك قال: إياكم ودعوة المظلوم ولو كان كافراً**. لا ترد، لو ظلمت كافراً فدعا عليك يقبل الله منه، الله لا يرضى بالظلم بحال من الأحوال. والظلم يكون في الكلمة، يكون في الفعل، يكون في النظرة، يكون في الافتراء، يكون في أيضاً التعدي وتجاوز الحدود. نسأل الله أن يغفر لنا فقد ظلمنا كثيراً ولكنه أرحم الراحمين.

قال: الأمر ثلاثة: أمرٌ بيّن رشدَه فاتبعوه، وأمرٌ بيّن غيّه فاجتنبوه. بالضبط لك "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبّهات". وأمرٌ اختلّف فيه فكُلوه إلى الله عز وجل؛ "وأمرٌ اختلّف فيه" هذه تنزل في الأمور المشتبّهات، "فكُلوه إلى الله جلّ في علاه" والله ردنا إلى الأعلَم لنعلم هذا الخلاف، هذا التفسير. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمورٌ لا يعلمهن كثير، إذا يعلمهن قليل. ولذلك قال الله جلّ وعلا: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)** [النساء: 83].

- الإيمان بالبعث والشفاعة والحوض والكوثر

قال: ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه به ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل. من أخذ الكتب بالإيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل، من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها.

هذا الكلام على يوم القيامة وما يحدث فيه من البعث، والبعث هذا ركنٌ من أركان الإيمان، أن تؤمن بأنك ترجع إلى ربك جلّ في علاه. قال الله جلّ في علاه: **(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)** [الشعراء: 224-227]. قال الله جلّ في علاه: **(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)** [الأنبياء: 104]، قال الله جلّ في علاه منكرًا على من استنكر أو استبعد البعث والنشور عندما قال: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)** [يس: 78-79].

والله جلّ في علاه قد بيّن في غير ما موضع أن الذين يكفرون الكفر البين هم الذين ينكرون الرجوع إلى الله جلّ في علاه، فالرجوع أمرٌ حتمي، أمرٌ لا بد من الاعتقاد الجازم به لأنه على ما قاله علماؤنا أنه ركنٌ من أركان الإيمان: أن تؤمن باليوم الآخر. كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لجبريل: **وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، قال: والبعث والنشور، في رواية قال: وأن تؤمن باليوم الآخر.**

اليوم الآخر معروف هو يوم القيامة الذي يجتمع فيه الخلق، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أن الأجساد في القبور تبلى إلا عجب الذنب.** ثم بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- كيف الله جلّ وعلا ينشئ الخلق: أولاً النفخ في الصور، النفخة الثانية نفخ البعث والنشور، وأن السماء تمطر مطراً كالمني فينبت الناس فيخرجون فيحشرون إلى ربهم جلّ في علاه مهرولين حفاةً عراةً غرلاً يعني غير مختنئين. فلما سمعت عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- من النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك، فقالت: يا رسول الله، أو ينظر أحدنا إلى الآخر؟ يعني ينظر لعورة الآخر، فقال: **الأمر أشد من ذلك يا ابنة الصديق** أو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-. فيحشرون إلى ربهم في عرصات يوم القيامة، وهي الأرض تبدل، هنا تبدل الأرض غير الأرض، لم يُعمل عليها معصية بحال من الأحوال كقرص نقي.

وبعدما يحشرون فيها ويحاسبون عند ربهم جلّ في علاه، وأول من يكسى هو إبراهيم -عليه السلام- يعني يكافئ بما حدث له في مسألة الالتقاء في النار. وهنا تكون الأهوال والشدائد والرزايا والبلايا العظيمة، ولذلك تراهم يستشفعون يتوسلون بكل نبي، كما بيّن الله جلّ وعلا قال: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج: 1-2].** تدنو الشمس من الرؤوس، ويغرق المرء في عرقه، وفي هذه الأهوال وهذه الأوقات العصيبة عندما يدلّهم الخطب ويشتد الكرب، يذهبون يستشفعون بآدم عليه السلام: أنت آدم أنت خلقك الله بيديه ونفخ بك من روحه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تدعو الله

أن يرفع عنا ما نحن فيه؟ فيقول: لست هناك، ويذكر الأكل من الشجرة. ثم بعد ذلك يحيلهم على نوح، ونوح يقول: سألت سؤالاً ليس لي أن أسأله. ثم يذهبون إلى إبراهيم، وإبراهيم يقول: لست هناك، كذبت في حق الله أو في جنب الله ثلاث كذبات. إلى أن تذهب إلى موسى، وموسى يحيل على عيسى، وعيسى يقول: عليكم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- عبدٌ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وحتى أنه قد قيل من بعض الآثار، أن تأتي المرأة؛ وهذا في تفسير قول الله جلّ وعلا: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) [عبس:34-35]. فتأتي المرأة فتقول لابنها: أي بني! ألم يكن بطني لك وعاء؟ ألم يكن لك حجري غطاء؟ ألم يكن لك ثدي سقاء؟ أي بني أحتاج إلى حسنة، فيقول: إليك عني فإني إليها أحوج. هذا يومٌ مهيبٌ جداً لا يعلم قدره إلا الله جلّ في علاه، وهو يومٌ عصيب لا سيما وأن الأنبياء الذين هم أعظم الناس قدراً عند الله جلّ في علاه وقد علموا النجاة وأنهم في الجنان مع ذلك يقولون: اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم.

وبعد ذلك إذا فصل الله الخطاب بين العباد، ويضرب الجسر على متن جهنم وكلّ يمر فيمر كالريح كما وصف النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ منهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالبرق كالريح كأجاويد الخيل، ومنهم من يسرع، ومنهم من يمشي، ومنهم من يحبو، ومنهم المكردس الخطاطيف أو الكلاليب من النار تخرج فتأخذه فينزل به إلى نار جهنم. نعوذ بالله من الخذلان. وكلّ يعطى النور على حسب إيمانه، كما وصف الله ووصف النبي -صلى الله عليه وسلم-. والمنافقون يكون لهم أنوار حتى إذا وصلوا إلى الجسر انخفضت هذه الأنوار أو أظلمت هذه الأنوار، حتى أنهم ينادون أهل الإيمان: (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) [الحديد:14]، وهم يقولون (انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) [الحديد:13].

فالبعث والنشور أمرٌ جزم كما قال الله جلَّ وعلا في كتابه، وأيضاً هو ركن من أركان الإيمان. والجميع سيكلمه الله جلَّ في علاه؛ منهم من يحاسبه الله جلَّ وعلا مناقشةً، ومنهم من يعرض الله جلَّ وعلا عليه الحساب. فمن ناقشه الله الحساب هذا مُعَذَّب لا محالة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من نوقش الحساب فقد عُدِّب، حتى قالت حفصة أو عائشة: يا رسول الله أما قال الله جلَّ في علاه (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا) [الانشقاق:8-9]؟**

انظر هنا الاستشكال؛ يقول: **من نوقش الحساب فقد عُدِّب.** تقول له: أنت تقول إن المحاسب يعذب، قد قال الله جلَّ وعلا: **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا)** [الانشقاق:8-9]. وهي تستشكل فقط تعلماً، **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)** ومعنى "يسيراً" هنا لا عذاب والتأكيد: **(وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا)**. قال: لا، **ذاك العرض**، ليس هذا الحساب. والعرض هنا مسألة المناجاة، كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنه وأرضاه- لما سئل عن المناجاة، قال: **نعم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما منكم من أحدٍ (من أهل الإيمان) إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، يقول: عبدي أتذكر ذنب كذا يوم كذا؟ ذنب كذا يوم كذا؟ ثم بعد ذلك ينظر المكلف أيمن منه فلا يجد إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يجد إلا النار فيظن أنه قد هلك، فيرخي الله عليه كنفه وستره ويقول: عبدي قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.**

فهذه الأحوال التي تحدث في يوم القيامة، وفيها ما فيها من العذابات التي تحدث؛ العذاب للنائحة والشاقة والسارقة، كما بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها تأتي وعليها سربال من قطران، وهذا عذابٌ ليس بعده عذاب، وهي في عرصات يوم القيامة، ثم يرى سبيلها إلى جنةٍ أم إلى نار. مانع الزكاة؛ الذي يمنع الزكاة كالذهب أو فضة يحمي عليها ويكوى بها الجنب والظهر، وبعد ذلك أيضاً ينظر إلى سبيله إلى جنة أم إلى النار. المسبل يأتي مُعَذَّباً في عرصات يوم القيامة.

في عرصات يوم القيامة يعني يتنوع فيها العذاب، وهذه العرصات ممكن أن يُعَذَّب المرء في عرصة من العرصات وعرصة أخرى لا يُعَذَّب، والله جلّ وعلا كلّ بقدر ما قدّم وكلّ على حساب ما فعل. والدلالة على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **ما أسفل الكعبين ففي النار**، إذا كان الثوب قد أسبله تحت الكعبين هذا في النار، يعني هناك نار يغلي بها الكعب وهو يحاسب ثم يرى سبيله إلى جنة أم إلى نار. **ما أسفل الكعبين في النار**، هذا معناه أنه في عرصات يوم القيامة يُعَذَّب بذلك. هذه العذابات تكون في عرصات يوم القيامة، يوم البعث.

والأصل كما قلنا الرد على كل الذين أنكروا البعث والنشور من الدهريين وغير الدهريين، **(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)** [التغابن:7]. والله جلّ وعلا قد أقسم بذلك بغير ما وضع من الكتاب أن البعث والنشور حق، وأن الله جلّ في علاه قال: **(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)** [الأنبياء:104]، بل إعادة الخلق أهون عليه من ابتداء الخلق. نسأل الله جلّ في علاه أن يثبت لنا هذا الخير ما حيينا أبداً، ونسأل الله جلّ في علاه أن يجعلنا نعمل على ما بعد الموت. ولذلك الحديث في سنن الترمذي فيه كلام لكن المعنى صحيح: **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.**

قال -رحمه الله-: **ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبى أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ. فعن أنس عن النبي ﷺ قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي.** وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **خَيْرُ بَيْنِ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخَلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لَأَنْهَا أَعْمَ وَأَكْفَى. أَتْرُونَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُنْقِنِينَ؟ لَا، وَلَكِنِهَا لِلْمَذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَائِينَ.** أنظر يعني الشفاعة أعظم من أن يدخل شطر الأمة الجنة، وهذه فيها دلالة واضحة جداً عند الشفاعة يخرج كثير من المؤمنين من النار إلى الجنان، وأيضاً يدخل كثير ممن استحق النار الجنة من أول وهلة دون أن يدخل النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: **لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: "لا إله إلا الله" خالصاً من قبل نفسه.**

هنا ذكر أيضاً ما يحدث يوم القيامة وهو الشفاعة، والشفاعة شفاعتان:

◆ شفاعَةٌ في مسألة الجنان والنيران.

◆ وشفاعةٌ في فصل الخطاب أو القضاء بين العباد، والشفاعة التي هي في القضاء بين العباد هي الشفاعة العظمى، هي المقام المحمود. الشفاعة العظمى والمقام المحمود هو أن يشفع النبي -صلى الله عليه وسلم- لفصل الخطاب، لمجيء الله جلّ في علاه يفصل بين العباد. وهذه الشفاعة جميع الطوائف، أهل السنة والجماعة بل وأهل البدع يتفقون على هذه الشفاعة، وأنها كرامة من الله جلّ وعلا للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي الشفاعة التي بها المقام المحمود. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أنا سيد ولد آدم ولا فخر**، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم: **بيدي لواء الحمد يوم القيامة الجميع**، ينضون تحت لواء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إذاً الشفاعة هنا هي المقام المحمود الذي ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من سمع الاذان ثم قال اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد... إلى أن قال: اللهم رب هذه الدعوة التامة... إلى آخر الدعاء.** المقام المحمود الذي تدعو به للنبي -صلى الله عليه وسلم- هو هذا المقام، الذي يحمد عليه الخلق بأسرهم على أنه يشفع لله جلّ في علاه، حتى يفصل الله القضاء بين العباد. هذه هي الشفاعة العظمى، وكما قلنا اتفق أهل السنة والجماعة واتفق أهل البدعة والضلالة أيضاً على هذه الشفاعة.

وأصلها في الحديث الطويل "حديث أنس وحديث أبي هريرة": بأن الأمر إذا اشتد على العباد يذهبون يستشفعون بآدم، وآدم يحيل على نوح، ونوح يحيل على إبراهيم ثم موسى ثم عيسى،

ثم ترجع الشفاعة للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: **أنا لها أنا لها**. يقول: **فاستأذن**، وهذا أدبٌ مع الله جلّ في علاه، وتعلم أن الله جلّ وعلا لما مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتابه مدحه بأعظم الصفات وأرقى السمات ألا وهي حسن الخلق، قال: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** [القلم:4]، فيقول: **استأذن ربي**.

هذه الشفاعة العظمى، يشفع لجميع الخلق لفصل الخطاب، لفصل القضاء بينهم، فهم يقفون طويلاً. قال الله جلّ وعلا عن اليوم: **(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)** [المعارج:4]، فتذوب الأجساد وتبدل، وهم يقفون ينتظرون. وهذا اليوم طبعاً خمسين ألف سنة كما قال علماؤنا وورد بعض الآثار في ذلك أنها تمر على المؤمن كأنها من صلاةٍ إلى صلاة، والمؤمن في كل أحواله منهم من يأتي وافداً على الله جلّ في علاه؛ على الإبل وعلى الجمال من ذهب، يعني كأنهم يحشرون مكرمين إلى ربهم جلّ في علاه. فجميع الخلق ينتظرون فصل القضاء، لا يكون إلا بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-. الشفاعة العظمى هذه التي اتفق عليها الجميع، وهذه شفاعة خاصة برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **خبأت دعوتي شفاعة لأمتي**، هذه ليست الشفاعة الخاصة، هذه الشفاعة التي تكون للكبائر وأهل الكبائر.

أما الأولى قال: **المقام المحمود، بيدي لواء الحمد يوم القيامة**. لذلك يقول: **أستأذن (أدباً) على ربي فيؤذن لي، فأخّر ساجداً؛ أدباً بالاستئذان ثم تعبداً (حق العباد) بأن خرّ ساجداً. فأسجد تحت العرش فأحمد الله**، هذه كلها أسباب للاستجابة، ولذلك الذي يتعجل دون الثناء على الله جلّ في علاه هذا الذي لم يعرف ضوابط استجابة الدعاء. فقال: **فأحمد ربي بمحامد علمنيها وقتنّذ، وهذا يستدل به على أن الله أسماء لا يعلمها، أسماء في علم الغيب لأنه قال: محامد لا أعلمها إلا في وقت السجود، "فأحمد الله بمحامد علمنيها"**. وفيها دلالة أنها في عرصات يوم القيامة يستجد العلم، والله تعالى أعطى النبي -صلى الله عليه وسلم- علماً لم يكن قد علمه.

"فأحمد الله بمحامد علمنيها"، هذا يستدل به بدلالة واضحة على أن أسماء الله توقيفية وهي مهمة جداً في هذا الباب العقدي، الباب الآخر فائدتان مهمتان:

◆ الفائدة الأولى وهذه فائدة مهمة جداً، بأن التفضيل بالعلم؛ فضل الله آدم على جميع الملائكة بالعلم، ففضل الله النبي وأظهر فضله عليهم بالعلم. وهذا حق، قال:

ما الفخر إلا لأهل العلم انهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلمٍ تعش حياً به أبداً *** الناس موتى وأهل العلم أحياء

◆ الأمر الثاني المهم جداً وهو الذي كنت أريده أصالةً، أحوج الناس للعلم عالم، ولا يكتفى بالعلم بحال من الأحوال. الذي تراه يقف هذا الجاهل، لذلك الحافظ يقول: لا يزال العالم عالماً ما جد في الطلب. النبي -صلى الله عليه وسلم- يتعلم ما جد، ولذلك بعض العلماء يقولون على غرار أن موسى يصلي في قبره قال: ومن رام العلم علّمه الله في قبره. العلم لا يكتفى منه بحال من الأحوال، وأحوج الناس للعلم العالم. والنبي سيد العلماء ومع ذلك لم يعلم هذه، علّمه الله جلّ في علاه، طبعاً هذه تقدير لقول الله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) [طه:114].

فيسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيقال: يا محمد، وهذه الكرامة الكبرى والعظمى لإظهار كرامة النبي -صلى الله عليه وسلم-. يا محمد ارفع، أولاً "ارفع رأسك"، الرفع، كان بالتواضع والذل لله عز ورفعة. ارفع رأسك وقل يسمع، من المتكلم؟ من الذي سيسمع؟ الله، وهذه فيها من الفوائد: إثبات الصفة، وفيها الفضل أن الله يسمع لعباده وأعظم عباده هو من أعظم عباد الله جلّ وعلا هو النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع. فيشفع في فصل القضاء، هذه هي أدلة الشفاعة وهي الشفاعة العظمى.

والشفاعة كما قلنا في اللغة هي: جعل الوتر شفعاً، جعل الواحد شفعاً، وهو التوسط للغير لدفع المضرة أو جلب المنفعة. والشفاعة في كتاب الله جلّ في علاه: شفاعه منفية وشفاعة ثابتة، ولا يستويان. كيف لا يستويان؟ نقول إن:

◆ الشفاعه المنفيه مطلقة -دعك من الاستثناء-، مطلقة منفية، (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [الشعراء:100-101] ، (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) [الزمر:44] ، لا أحد يشفع، (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة:225].

◆ والشفاعة المثبتة مقيدة، هي شفاعه مثبتة بقيد ليس على الإطلاق، وللقيد شرطان:

🌿 قال الله جلّ في علاه: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) [الأنبياء:28] ، أين الدلالة؟ هناك قاعدة أصولية: "حذف المعمول يؤذن بالعموم"، والمفعول به غير مذكور، فإذاً (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) سواء كان شافعاً أو مشفوعاً له، وهذا على العموم، ولما أقول عموم ينزل الشافع وينزل المشفوع. فالشرط الأول الرضا، والرضا يكون رضا عن الشافع ورضا عن المشفوع.

🌿 قال: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة:225] ، إذاً لا بد الشرط الثاني والقيد الثاني هو الإذن للشافع.

(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) [الأنبياء:28]، وقال: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة:225]، إذاً لمن ارتضى الشافع والمشفوع والإذن أيضاً للشافع.

والشفاعة: شفاعه خاصة، وشفاعة عامة. والشفاعة الخاصة للنبي -صلى الله عليه وسلم- كما قلنا:

١- هي الشفاعه العظمى وقد انتهينا من الكلام عليها.

٢- الشفاعة الخاصة للنبي -صلى الله عليه وسلم- هي الشفاعة في كافرٍ واحد، لا للكفار.

ولذلك قال علمائنا: دائماً كل قاعدة كلية لابد أن يكون لها استثناءات. (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [شعراء:100-101]، إذاً انتهاء عن الشفاعة. وأخطأ بعض الفضلاء الذي قال إنه يمكن الشفاعة للكافر بأعمال أحد المؤمنين أو بأحد المؤمنين، خطأً بين، استند إلى بعض آثار لبعض المفسرين على ذلك. عندنا الآية من الرب الحكيم محكمة ليس فيها ثمة شيء أين نذهب بها؟ قالوا: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ)، لا يوجد شفيع.

والاستثناء الوحيد فقط هو أبو طالب فقط، والذي يشفع له فقط النبي -صلى الله عليه وسلم-. حتى إبراهيم مع أنه وعده موعدة ومع ذلك لم يقبلها الله جلّ في علاه، أبو النبي في النار وأم النبي في النار وعم النبي في النار وجد النبي في النار، سبحان ربي العظيم. قل الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا، قل الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام. أمّا أن يقال كما قال الشاطبي أو غير الشاطبي يعني "الكلام في هذا الباب يؤذي النبي فلا تتكلم فيه"، خطأً بين. هذا باب اعتقاد، فهنا إبراهيم -عليه السلام- لما قال: (لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) [الممتحنة:4]، فقال الله جلّ وعلا: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) [التوبة:114]، لم يقبل الله شفاعته يوم القيامة.

ثم لما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فشفع في أبي طالب، لذلك العباس قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ماذا فعلت لعمك وهو يحوطك وينصرك؟ قال: **لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.** ولذلك ترى أنهم كانوا مع المنافقين والمشرّكين والكافرين ومع فرعون وهامان وقارون، فقال: **لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار هو يلبس نعلين أو قال: هو على جمرٍ من نارٍ يغلي بهما دماغه يرى أنه أشد الناس عذاباً.** هذه شفاعة خاصة للنبي ليست لأحدٍ إلا للنبي، والمسألة هنا كرامة للنبي أولاً، ولما فعله أبو طالب للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ كان ينصره في كل أحواله حتى أنه قال لقريش: والله لا أسلمه لكم بحال من الأحوال. ولذلك لما أتوا حتى عرضوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- ما عرضوا وكان يتمنى أبو طالب أن

يقبل منهم شيئاً، ولمّا لم يقبل قال: لا أنزع يد النصرّة منك بحال من الأحوال، أو قال كلمة نحو ذلك. لذلك شكر الله له ذلك، فقبل شفاعّة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه، فهو في نعلين أو يركب نعلين من نار، هذه شفاعّة خاصّة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، هو يرى أنه أشدّ الناس عذاباً وأنت ترى أنه أخفّ الناس عذاباً.

٣- والشفاعة الخاصّة الأخرى الشفاعّة في دخول أهل الجنّة الجنّة، فإنّ الجنّة لا تفتح قط (حتى ولو أذن الله للجميع أن يكونوا من أهل الجنّة) إلّا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-. لذلك يقول الحديث: **يدقّ النبي -صلى الله عليه وسلم- الباب، فيقول الملك: من؟ يقول: محمد، يقول: بك أمرت أن أفتح لا بغيرك. فيفتح للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيدخل أهل الجنّة الجنّة.**

الشفاعة العامّة خاصّة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، والشفاعة في أبي طالب خاصّة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وشفاعة دخول الجنّة خاصّة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-. إذاً شفاعات ثلاثة خاصّة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، والأخيرة يشتركون فيها:

وهي شفاعّة النبي -صلى الله عليه وسلم- في أهل الكبائر الذين استحقوا النار ألا يدخلوا النار، وأن يدخلوا الجنّة من أول وهلة. وهذه لا بد أن نقول فيها شيء؛ هم استحقوا النار والله أيضاً قدر لهم أن يكونوا من أهل الجنّة من أول وهلة، لو محّصت النظر لن تجد إلّا حالة في هؤلاء ووصف معين جعلهم كذلك؛ إخلاص القلب ونقاء القلب، من حديث البطاقة. أصلاً كلّ يقول "لا إله إلّا الله"، وليس الكل يأخذ هذه البطاقة فينجو بها، المسألة دائرة على القلب. فهؤلاء لما علم الله من قلوبهم الإخلاص شقّع فيهم النبي، وقد استحقوا النار فيدخلون الجنّة، هذه الشفاعّة دليلها الأصيل صلاة الجنّازة، لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **لو صلى على الميت ثلاثة صفوف شفّعهم الله فيه؛** يعني استحق النار فقبل شفاعتهم فوجبت له الجنّة، هذا من الاحتمالات. وهذه شفاعّة عامّة من النبي -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء والمرسلون والملائكة.

🌿 فالشفاعة التي تليها شفاعاة في رفعة الدرجات يكون الرجل دخل في الجنة لكن بدرجة أنزل من الدرجة التي فيها أهله مثلاً، قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) [الطور:21]، فيرتقون لهذه المنزلة. وطبعاً هذه أصلها في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لعثمان بن مظعون: **اللهم ارفع درجته في المهديين**. وصلاة الجنازة أيضاً لأنه إذا شفعهم فيهم، شفعهم ليرفع الدرجات، إن لم يكفر سيئاتهم فهو يرفع الدرجات. هذه الشفاعاة الخامسة.

🌿 الشفاعاة السادسة هي الشفاعاة في من دخل النار بأن يخرج منها من أهل الكبائر الذين استحقوا النار وصاروا حمماً، فيشفع النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم ويشفع الأنبياء والمرسلون. حتى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **ما رأيت أحداً أشد مناشدة لإخوانهم من هؤلاء**، لذلك قال الحسن البصري وغيره: **استكثروا من إخوان الصدق، فإن لهم عند الله شفاعات**. ولذلك الله جلّ وعلا قال: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف:67]. فإذا استكثروا من إخوان الصدق فإن لهم في الآخرة شفاعات، هذا آخر الكلام على الشفاعاة.

الإشكال: هو يقول يشفع الأنبياء في العصاة، يشفع الملائكة، يشفع المؤمنون. وهذا الرجل ما خرج بالشفاعة؛ آخر أهل النار خروجاً وآخر أهل الجنة دخولاً. هو يقول: ربي قربني من الشجرة لأستظل بظلها، يقول: يا ابن آدم تسألني غير ذلك. يقول ويعطي العهود والمواثيق: لا أسألك. ثم بعدما خرج من النار وسأل السؤال، ثم بعد ذلك يقربه من ظل شجرة ففتح له باباً فنظر إلى الجنة وفيها أهل الجنة فيقول: ربي قربني من باب الجنة، يقول: يا ابن آدم ما أغدرك؟ أما أعطيت العهد والمواثيق ألا تسألني؟ الحديث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يرى ما لا صبر له عليه والله يعذره، ثم يقربه من الجنة حتى يدخله الجنة**. أين الشفاعاة هنا؟

هو من أهل التوحيد ولذلك هو دخل الجنة، كيف وهو لم يذكر ذلك؟ أين الدلالة؟ حديث الشفاعة جاء: **شفعت الأنبياء، الملائكة، المؤمنون، شفعت الرسل، بقي أرحم الراحمين.** عندنا حديث صريح، يقول: **بقيت شفاعاة أرحم الراحمين، فيقبض قبضة فيُخرج كل من قال: "لا إله إلا الله"، ولم يعمل خيراً قط.** الصحيح الراجح أنها شفاعاة الله جلّ في علاه، وفي شفاعاة الله قال: **فيُخرج كل من قال: "لا إله إلا الله" ولم يعمل خيراً قط.** إذاً الكلام في شفاعاة الله أنه يخرجهم ولم يثبت أنه أدخله، فحدث ذلك بعدما أخرجه أدخله بطلبه وسؤاله. أي تجمع بين الدليلين في هذا:

- أنه شملته شفاعاة الله جلّ في علاه "قال: **يُخرج من النار**"، وهذا جزماً خرج من النار.
- لكن في الدخول بسؤاله، لأنه لم يقل في الحديث "يُخرج من قال: **"لا إله إلا الله"**"، ولم يعمل خيراً قط وأدخلهم جميعاً الجنة"، لم يرد حديث بذلك.

فالجزم عندنا في الحديث أخرجه من النار بشفاعة الله جلّ في علاه، ثم بعد ذلك بسؤاله هو دخل الجنة. فأنت تجمع بين كل الأدلة في مثل هذا، حتى ولو كان جزم لم يصّر بها عندنا. لم يدخل الجنة ماذا تقول فيها؟ ستقول شمله حديث الخروج وخرج، والدخول بسؤاله. وفي النهاية الحمد لله سيدخل هو الجنة، هذا الذي نريده، وأنه بفضل الله سيكون في الجنة. في رواية قال: **لك ما في الدنيا ومثل ذلك**، وفي رواية أبي هريرة قال: **وعشر أمثالها**، وهي الراجعة.

قال: ويؤمنون بالحوض والكوثر، وإدخال فريق من الموحّدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً وإدخالهم الجنة بغير سوءٍ يمسهم وعذابٍ يلحقهم. وإدخال فريق من مذنبهم النار ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إلى الجنة. ويعلمون حقاً يقيناً أن مذنبى الموحّدين لا يخلدون في النار ولا يتركون فيها أبداً. فأما الكفار فإنهم يخلدون

فيها ولا يخرجون منها أبداً، ولا يستعتبون ولا يُفْتَر عنهم وهم فيه ملبسون. ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً.

هو قال: ويؤمنون بالحوض والكوثر؛ وهذا أصل أيضاً في الإيمان باليوم الآخر وما يحدث في عرسات يوم القيامة.

الكوثر هو نهر في الجنة قد أعطاه الله جلّ وعلا يصب في حوض النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكل نبي حوض كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: **وأنا أكثرهم وارداً**. قال الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) [الكوثر:1]، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان نائماً ثم قام متلهلاً فرحاً، فلما سأل أنس قال: **أنزل الله عليّ آناً سورة**، ثم قال: **بسم الله الرحمن الرحيم**؛ واستدلوا بها على أن البسمة آية من كل سورة. قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [الكوثر:1-3]. هناك قراءة أخرى، العراقيين دائماً يقرأون بها "أنطاك"؛ يجعلون العين نون في بعض القراءات. أنا لما استعجمت اللغة فرجعت فوجدت أنها قراءة من القراءات، سواء متوترة أو شاذة أنا لا أعرف، الله أعلم بذلك.

الغرض المقصود قال: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)، وحوض النبي -صلى الله عليه وسلم- قد وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفاً دقيقاً، بأنه مربع الشكل كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **طوله مسيرة شهر، عرضه مسيرة شهر**؛ فهو مربع وهذا على الحوض، والعلماء يقولوا مربع من أجل أن يلتف حوله كل أمة محمد. والنبي -صلى الله عليه وسلم- يزود عن الحوض من ليس من أمته، ولما سئل كيف تعرف هؤلاء؟ قال: **أمّتي تُبعث يوم القيامة غراً مُحَجَّلِينَ**؛ "غراً" من الغرة بياض في الوجه، مُحَجَّلِينَ بياض في الرجل وهذه من أثر الوضوء. وفيها دلالة واضحة جداً على أن من لم يتوضأ لا يكون عند الحوض، بل لا يكون من أمة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيستدل بهذا الحديث لمن قال بكفر تارك الصلاة. يستدل بهذا الحديث لمن قال بكفر تارك الصلاة، وهذه مسألة خلافية بين العلماء؛

الجمهور لا يرونه كافراً يرونه فاسقاً، وأمّا الحنابلة وابن خزيمة من الشافعية يرون أنه يكون كافراً. والخلاف بينهم أيضاً في الصلاة أو بغير صلاة، وقد فصلنا القول بهذا وسيأتي الكلام فيه أن الترك كلفة هو الذي يكون بذلك كافراً.

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه له أباريق وهذه الأباريق كالنجوم، والتمثيل بالنجوم كما قلنا في كثير من مواطن مثل هذه أنها فيها النعيم المعنوي؛ لما تنظر للنجوم فالنجوم لامعة تخطف البصر وتأخذ بالقلب فهنا للمتعة المتعة القلبية بالنظر إلى النجوم، فقال: **هي كالنجوم لمعناً وبريقاً**. وأيضاً هي كالنجوم في العدد للكثرة حتى تستوعب الأمة أن تشرب بهذه الكؤوس؛ فكثرة وعدداً ولمعناً. وقال عن الماء الذي يصب "ماء الكوثر" والحوض فيه ماء، قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، تكلم عن رائحته وتكلم عن لونه وتكلم عن ذوقه طعمه فقال: **هو أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من اللبن وريحه أطيب من المسك**. فهنا أيضاً التلذذ به والمتعة به من الأمور الثلاثة: بالمنظر أنه أشدّ بياضاً من اللبن، وأيضاً من الرائحة فهي أطيب من الطيب، وأيضاً من الذوق فهو أحلى من العسل. ولذلك من شرب منه لا يظماً بعدها أبداً، وهذه فضيلة لكل من وحّد الله جل في علاه واتبع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والعجيب بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن أن أهل البدعة لا يردون الحوض، مع أنهم ولو آمنوا بالحوض لا يردون الحوض ولا يمكن أن يرفع الظماً عنهم بالشرب من هذا الحوض لبدعتهم. انظر إلى خطر البدعة العظيم؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **وَلْيُخْتَلَجَنَّ أَقْوَاماً مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ فَأَقُولَ: رَبِّي رَبِّي، أَصْحَابِي أَصْحَابِي**، أو قال في رواية: **أَصْحَابِي أَصْحَابِي**، أو قال: **أُمِّي أُمِّي**. فيقال: **يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**؛ أي ما ابتدعوا. فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عقاباً: **بعداً بعداً لمن أحدث بعدي، سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي**. وهذه أيضاً من عقوبات أهل البدع بأنهم لا يردون الحوض، بل الله جلّ وعلا يعاملهم معاملة المنافقين يردون الحوض ثم يختطفون من بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- بعدما هيئوا أنفسهم من أجل الشرب من مياه الحوض "حوض النبي -صلى الله عليه وسلم-". وكما قلنا

لكل نبي حوض كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو أكثرهم وارداً، وهذه أيضاً كرامة فوق الكرامة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: وإدخال فريق من الموحّدين الجنة بغير حساب؛ وهذا الذي ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ترتضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ شطر أهل الجنة؟ ثلثي أهل الجنة؟ وهم يكتبرون، قال: فإن الله جلّ في علاه قد قضى بذلك، قال: وسبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب. العجيب أن السبعين ألف قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: مع كل ألف سبعون ألف، هذا فضل من الله ونعمة، سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب. وقد وصفهم الله جلّ وعلا على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين عندما باتوا يدكون: من هؤلاء؟ الهمم العالية اشرابت أعناقهم هل نحن منهم أم لا؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. وهذه كما قلنا مجامع أعمال القلوب، ولما صفت القلوب وكانت من أصفائها وأنقاها وأنقاها دخلوا الجنة بغير حساب سبعون ألفاً. ثم قال: مع كل ألف سبعون ألفاً يدخلون بغير حسابٍ ولا عذاب. ووصفهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفاً آخر دقيقاً، قال: يدخلون كل واحدٍ منهم على صورة القمر يأخذ أحدهم بيد أخيه فلا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وهذا فضل الله جلّ في علاه على هذه الأمة أن هناك من يدخل بغير حسابٍ ولا سابقة عذاب.

قال: ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً؛ فالمحاسبة في الحساب اليسير هي المناجاة، هو العرض. إذا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هؤلاء لا يعرض عليهم ما فعلوا، بل هم يدخلون طبعاً هل وقعوا في المعاصي أم لم يقعوا؟ ما من أحدٍ إلّا وسيقع في المعاصي، كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون. لكن هنا لما عظمت حسناتهم وعظم اليقين في قلوبهم وحسن الظن بربهم، انغمرت هذه الحسنات في هذا البحر، لذلك لا يراجعون.

لذلك نحن نقول دائماً إذا أردت أن تقيس الإنسان قسه بأعماله، قس بالغالب تغمر أو لا تغمر. التدليس عند المحققين من أهل العلم يقولون بأنه جرح، المدّلس مجروح. من المحققين قالوا بأنه مجروح، أنا أدين الله أنه ليس بجرح، لذلك أقول الحديث لا يرد الحديث ممكن يمر أو يتوقف فيه حتى نرى القرائن. لكن هناك من يرى بأن التدليس جرح؛ شعبة من أعظم المحققين، الشافعي من أعظم المحققين. والشافعي قال: **فمن علمناه قد دلّس مرة فقد أبان لنا عورته**، دلّ ذلك على أنه جرح، وشعبة قال عن نفسه: **لإن يزني خير له من أن يُدّلس**.

عندنا من يكذب ويقول لك كذب من أجل مصلحة الدعوة، أنا لا أرى أحداً يقول ديناً هناك شيء اسمه كذب لمصلحة الدعوة. من أفتى بذلك فهو ضال، يعني مخطئ خطأ بيّن. ومن أخذ بهذه الفتوى ونسبها لأحد فهو ضال الكذب، لا يصح بحال من الأحوال في هذا الباب، من قال كذب من أجل الدعوة فقد ضلّ وأضل. وقد قلت لبعض النبلاء الفضلاء بعض الطلبة يقولون كذب أصلاً لمصلحة الدعوة حضرتك أفتيت؟ قال: لا، قلت: الحمد لله لأن هذا ضلال مبين.

شعبة يقول: **لإن يزني خير له من أن يُدّلس**، في رواية أخرى قال: **لإن يخر من السماء خير له من أن يُدّلس**. فالتدليس جرح، وإن قلنا بأنه ليس بجرح عندنا. هو أصل المسألة نقول بأنه قد يغمر في بحر الحسنات، وأتينا بالتدليس لمسألة أخرى. في آخر المسألة هذا هو الزهري هذا مدّلس والثوري مدّلس؛ فحول من أصل المحدثين. وقلنا إن بعض المحققين قال بأن التدليس جرح، ومع ذلك الجميع يمرر تدليس الزهري وتدليس الثوري، لم؟ للغالب. إذا قلنا السبعون ألف هؤلاء ما أحد فيهم إلا عصي وزل، لكن لما عظمت الحسنات انغمرت السيئات. **سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**، هذه دلالة واضحة جداً على أن هؤلاء حسناتهم أعظم بكثير من سيئاتهم، وكانت أعظم الحسنات التي بها دخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب أعمال القلوب، نقاء القلب.

وأما الآخرون فقال: منهم من يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة بعد ذلك، والحساب اليسير هي العرض، قال: **فما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله جلّ وعلا ليس بينه وبينه ترجمان**. قال: وإدخال فريق من المؤمنين النار؛ قدر الله بأن السيئات غلبت على الحسنات فدخل النار بهذه، ثم يخرج بعد ذلك بالشفاعة: إما بشفاعة الملائكة أو الأنبياء أو شفاعاة المرسلين والمؤمنين وبشفاعة أرحم الراحمين. ثم قال: لا يخلد أحد من الموجدين في النار، والله قد كتب ذلك بقوله: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** [النساء:48].

وكتب الله الخلود على أهل النيران، الذين هم أهل النيران وهم الذين كفروا وأشركوا بالله جلّ في علاه، قال: **(أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [البقرة:39]. وهذا تأصيل عام فيه الجزم بأن السلف الصالح اتفقوا على أنه لا فناء للنار، وأن من كان قد أشرك بالله شركاً بيناً فإنه يكون في النار ولا يخرج منها أبداً ويبقى أبد الأباد. وبهذا الكلام وقفنا عند رؤية المؤمنين والله الحمد، نسأل الله جلّ في علاه أن ينهي لنا كتب الأصول، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيراً. سبحانه اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس الخامس:

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، لا سيما النبي المجتبى والأمين المصطفى، وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرف، وبعد: إخواني الكرام، ما زلنا مع عقيدة السلف وكتاب الإمام الصابوني، نسأل الله أن ييسر لنا إتمامه. نسأل الله في عليائه أن يشكر لكم صبركم على طلب العلم، وأن يجعل ذلك في موازين الحسنات، وأن يلهمنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا ممن يتعلم ليتعبد وينشر ذلك بين الناس.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم صلّ على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-. قال الإمام الصابوني -رحمه الله-: ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله: **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**. والتشبيه في هذا الخبر وقع للرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي. والأخبار الواردة في الرؤية مخرّجة في كتاب الانتصار بطرقها.

قال: ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون منها أبداً. ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار، وأن المنادي ينادي يومئذ: **يا أهل الجنة خلودوا ولا موت، ويا أهل النار خلودوا ولا موت**، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قال: ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل -رحمه الله- عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، فقليل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيّعنا ونسينا فذلك نقصانه.

- رؤية الله سبحانه وتعالى

المسألة الأولى التي تكلم عليها المصنف نستهل بها اليوم، وهي المسألة العظيمة وهي أشرف مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، وهي أعظم المسائل التي تكلم فيها المجتهدون وهي رؤية رب العالمين سبحانه جلّ في علاه. وهي أنعم ما ينعم به أهل الجنة، وهي التي من أجلها اشترأت الأعناق وازدادت الاجتهادات، وشمر عن ساعد الجد المخلصون الذين يعلمون أنهم إلى ربهم راجعون وأن الله جلّ في علاه سيفصل لهم، وأنه يكشف الحجاب فيرون وجهه الكريم سبحانه جلّ في علاه. فهذه مسألة عظيمة جداً ولذلك قال: ويشهد أهل السنة؛ فهي اتفاق بين أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدعة والضلالة.

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح؛ الأدلة على رؤية الله جلّ في علاه هي الكتاب والسنة وأيضاً القياس وإجماع أهل السنة والجماعة: أمّا الكتاب فقد قال الله جلّ وعلا في غير ما موضع من كتابه مبيناً ذلك: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة: 22-23]؛ "نَاصِرَةٌ" نضرة، يشعون نوراً فهم كالقمر مكتملاً. فإن سأل السائل:

ولم هي ناضرة؟ جاءت الإجابة لأنها إلى ربها ناظرة: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) [القيامة:22-23]. والعلماء يقولون النظر أيضاً يتعدى بـ"نفسه" ويتعدى بـ"إلى" ويتعدى بـ"الفاء":

◆ يتعدى بـ"نفسه" فيكون بمعنى الانتظار، (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) [الحديد:13]. فإن تعدى بنفسه فيكون بمعنى الانتظار، ولذلك أولها الذين يحرفون هذه المسألة وهي أشرف مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، أولها بذلك قال: هم ينتظرون ثواب الله جلّ في علاه. والله جلّ وعلا يقول: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) [القيامة:22-23]، فإذا تعدى بنفسه يكون بمعنى الانتظار.

◆ وإذا تعدى بـ"الفاء" يكون بمعنى التدبر، قال الله جلّ في علاه: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ) [الأعراف:185]، قال الله: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ يعني يتدبرون في عظيم خلق الله جلّ في علاه، فيظهر لهم بهذا الخلق وبِعَظِيمِ هذا الخلق وهذا التناسق العظيم أن الذي خلق هذا الخلق وأبدعه قادر على بعثهم وعلى إعادتهم وعلى حسابهم سبحانه جلّ في علاه. فإن تعدى بـ"الفاء" فيكون المعنى رؤية البصيرة؛ رؤية القلب وهي البصيرة التدبر.

◆ وأيضاً يتعدى بـ"إلى" وهذا بمعنى الرؤية البصرية، فإذا تعدى بـ"إلى" فهي برؤية العين الباصرة، (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) [القيامة:22-23]. ومن الأدلة التي أيضاً ترى أنها دلالة واضحة على رؤية الله جلّ في علاه ما فسره النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ قال الله جلّ وعلا: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [يونس:26]، والحسنى هي الجنة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: الزيادة النظر إلى وجه الله

الكريم، لأنه قال: (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى) والحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر لوجه الله الكريم، وأفضل من يفسر كلام الله جلّ في علاه هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أيضاً قد قال الله جلّ في علاه في بعض الآيات عن أهل الجنة، قال: (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) [المطففين:35]. أين المفعول به هنا؟ ينظرون إلى ماذا؟ ينظرون إلى الحور العين؟ نعم، ينظرون إلى الأنهار من لبن الأنهار من عسل الأنهار من ماءٍ غير آسن؟ نعم، ينظرون إلى الأشجار إلى الثمار؟ نعم، ينظرون إلى وجه الرحمن؟ نعم. كل ذلك ينزل تحته، لأن القاعدة الأصولية قلناها أمس: **حذف المعمول يفيد العموم**. إذاً (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) إلى ماذا؟ إلى وجه الله جلّ في علاه، إلى حور العين، إلى الجنات، لكن هي ظاهرة بأنهم ينظرون إلى وجه الله جلّ في علاه.

من ذلك أيضاً في قول الله جلّ في علاه: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [ق:35]، "وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ" هي الرؤية بحديث الصحيحين: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة ودخل أهل النار النار، نادى الله جلّ وعلا أهل الجنة: تريدون شيئاً؟ أزيدكم؟ قالوا: ألم نتجنا من النار؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تكفر عنا سيئاتنا؟ ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فيقول الله جلّ في علاه إن لكم عندنا موعداً أنجزكموه، فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الله جلّ في علاه. إذاً هذه أيضاً من الأدلة في الكتاب على رؤية الله جلّ في علاه.

أيضاً من ذلك قول الله: (كَأَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) [المطففين:15]، قال الشافعي: إذا حجبهم رؤية الله جلّ في علاه في الغضب، فلا يحجبهم في الرضا؛ يعني إن حجب هؤلاء الرؤية في الغضب فلا بد أن يروه في الرضا، لم؟ ما الدلالة؟ لا

يستون، قال: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [القلم: 35-36].
فإذاً هنا التفريق جاء أصلاً في كتاب ربنا جلّ في علاه، ولذلك قال: (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ) [ص: 28]. فلما غضب على الفجار فحجبهم من الرؤية، إذاً فقد رضي عن
الأبرار فأراهم الرؤية، هذا أصل أصيل في هذا الباب وهذا من مزايا دقة النظر عند
الإمام الشافعي هذا بالنسبة للآيات. أمّا بالنسبة للأحاديث فكثيرة جداً، وهذه الأحاديث
بلغت حد التواتر "رؤية الله جلّ في علاه"، لذلك مجذوم من ينكر الرؤية.

وطوائف الناس بالنسبة للرؤية ثلاثة:

☞ طائفة أنكرت الرؤية كليةً وهم المعتزلة و فرق المعتزلة.

☞ وطائفة أثبتت رؤية عجيبة والأصل فيها النفي، قالوا يرى لا إلى جهة. أريد أفهم
ما معنى هذا؟ لو قلت لرجل تحامق أو انت بكلام لا يعقله لا مجنون ولا عاقل لم يأتي
بمثل هذا الكلام. لمّا يقولون يرونه لا إلى جهة، هل هناك شيء يرى لا إلى جهة؟!
النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **أترون الشمس؟ أترون القمر؟ ترون ربكم**، هنا هذه
دلالة واضحة جداً على جهة العلو. فإذا نرى الله على جهة العلو، ولذلك نقول هناك
أدلة كثيرة جداً على رؤية الله جلّ في علاه، والذي أنكرها يحرمها يوم القيامة، والذي
ميع الكلام في هذا الباب وأخطأ خطأ فاحشاً ما أدري كيف سيكون في مصاف من
يرون الله جلّ في علاه؟!

ورؤية الله في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرة منها حديث الصحيحين عن
أبي هريرة -رضي الله عنه وأرضاه-: قال الصحابة أنرى ربنا يوم القيامة؟ فسألوا الله
على الرؤية. ابن تيمية يحتج بهذا الحديث على أنه قد يجهل الصحابة كثير من مسائل
الاعتقاد، هم يسألون: أنرى ربنا؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أترون الشمس
ليس دونها سحب؟ أترون القمر ليس دونه سحب؟** قالوا: نعم، قال: **إذاً لا تضارون،**

وفي رواية: **لا تضامون في رؤيته**. وهذا كما قال علماءنا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي. وأيضاً عندنا حديث في الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وأن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه جلّ في علاه**. إذا يرفع الله جلّ وعلا رداء الكبرياء على وجهه، فإذا رفعه رأوا وجهه ربهم جلّ في علاه وهي أشرف المسائل على الإطلاق.

أيضاً من ذلك بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، وأشار إلى القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا**. وهذه فيها دلالة واضحة جداً على فضل صلاة الفجر والعصر، ولذلك نقول من أعظم الأسباب الجالبة لرؤية الله جلّ في علاه الحفاظ على صلاتي الفجر والعصر. ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من صلى البردين دخل الجنة**، وأيضاً روى مسلم عن صهيب -رضي الله عنه وأرضاه- بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجلّ تريدون شيئاً؟ أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تتجنا من النار؟ ألم تدخلنا الجنة؟ فيقول: إن لكم موعداً عندنا أنجزكموه، فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الرحمن سبحانه جلّ في علاه**.

هذه المسألة أجمع عليها صحابة رسول الله، أجمعوا على رؤية الله جلّ في علاه ودليل الإجماع عندما سألوا فأجابهم فانتشر بين الصحابة فأقروا بذلك، إجماع على رؤية الله جلّ في علاه.

ومن العقل أيضاً؛ العقل يقر برؤية الله جلّ في علاه، والدلالة على ذلك بأن موسى عليه السلام سأل ربه أن يراه، فلو كانت الرؤية ممنوعة لأنكر الله على موسى لأن الله لا يقر على باطل، الله جلّ وعلا لا يقر على منكر ولا على باطل. الدلالة على ذلك قال: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) [نوح: 45-46]، فأنكر عليه. فإذا كان المنكر أنكره الله جلّ في علاه وإن كان الحق أقره، فلما سأل موسى ربه أقره على الرؤية، لكن قال: أنت في الدنيا بطبيعتك البشرية لا تستطيع، لذلك قال الله جلّ وعلا: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۖ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) [الأعراف: 143]. فقال علماؤنا: لما أقر الله طلب موسى دل ذلك على جواز الرؤية في الدنيا، لأنه قال: (فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ)، لكن الطبيعة البشرية لا يمكن أن تحتل.

الخلافاً الذي ظهر بين الصحابة، هل رأى محمد ربه؟ خلافاً من أضعف ما يكون، خلافاً شاذ. الرؤية جائزة -هذه تنتم الكلام-، لكن هنا السؤال الرؤية جائزة أم غير جائزة؟ جائزة، لأن موسى طلبها والله أقرها. وأيضاً خلافاً الصحابة بأن محمداً رأى ربه يدل على أنها جائزة، وإنهم يقرون بأنها جائزة. لكن الطبيعة البشرية لا تحتل هذا بحال من الأحوال، وهذا بالنسبة للكلام على مسألة رؤية العقل في ذلك؛ الإجماع والعقل.

والعلماء قد فرّعوا على هذه المسألة قالوا: لو قلنا بأن الرؤية جائزة في الدنيا فهل رأى محمد ربه؟ بعدما تأكدوا بأن موسى عليه السلام لم يرى ربه. والدلالة قال: (قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۖ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا)، فإذا موسى لم يرى ربه. ومحمد -صلى الله عليه وسلم؟! قال ابن عباس وقال بعض العلماء -وهذا ترجيح الحافظ ابن حجر من المتأخرين-: بأن

النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه. وابن عباس قال: لإبراهيم الخُلة ولموسى الكلام ولمحمد الرؤية. وهذا خطأ، هذا حتى الإسناد فيه كلام، هذا خطأ، بل لإبراهيم الخُلة ولمحمد الخُلة. قال: لو كنت متخذاً من البشر خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن، وهذا الأصل الأصيل.

من قال برؤية محمد -صلى الله عليه وسلم- لربه استدل على ذلك بأدلة، من هذه الأدلة:

🔸 الدليل الأول وهو قول الله جلّ في علاه: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:13-14].

🔸 وأيضاً استدلوا على ذلك بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-، عندما قالوا له: رأيت ربك؟ قال: نور إني أراه. هنا أقسم ابن عباس أنه رأى ربه، وابن عباس قسم الرؤية قال: رآه بعينه الباصرة ورآه بعين قلبه؛ قال: رآه مرتين: رآه بعينه الباصرة ورآه بعين قلبه.

وأما الجمهور فيرون بأن محمد -صلى الله عليه وسلم- لم يرَ ربه، هذا الراجح الصحيح. هي مسألة عزيزة، هل اختلف الصحابة الكرام في الاعتقاد مع أن الأصل في الاعتقاد عدم الاختلاف؟ فهل هذا خلاف؟ الصحيح أنه ليس بخلاف، لا اختلاف في الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. هنا يقولون بأنه رأى محمدٌ ربه جلّ في علاه بهذه الأدلة، لكن جماهير المحققين يقولون لم يرَ ربه، وهذا ليس بخلاف في الاعتقاد أبداً. التأصيل عندهم في الاعتقاد بأن جواز رؤية الله في الدنيا، وأن الله يُرى في الآخرة وقد اتفقوا على ذلك. إذاً لا خلاف في جواز الرؤية، الخلاف هو هل حقاً رآه؟ تحققت أم لا؟ فهذا خلاف في التطبيق وليس خلاف في التأصيل، لأن في التأصيل جواز الرؤية، وفي التأصيل باتفاق رؤية الله يوم القيامة. الخلاف هنا هل رآه في الدنيا؟ هو الكلام في هذا، فاختلّفوا بالتطبيق.

وعائشة أنكرت إنكاراً عظيماً لما قال لها أبو مسروق: إن الناس يقولون بأن محمداً رأى ربه، قالت: قد قف شعري مما تقول، فقالت: من قال لك ثلاث، فقد أعظم على الله الفرية، ثم قالت: من قال بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. ثم قالت: أين أنت من قول الله جلّ في علاه: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103]. قلنا بأن الاستدلال ليس في محله، كلام عائشة صحيح واستدللت استدلالاً خطأ لأن الدليل أعم من الدعوة، لأن الدليل (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) والكلام عندنا على الرؤية، والرؤية غير الإدراك، الرؤية هي الأعم والإدراك هو الأخص. لذلك أقول: لما يقول الله جلّ وعلا: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)؛ نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

والحق بأن الدليل الواضح على نفي رؤية محمد -صلى الله عليه وسلم- ربه هو الحديث الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**. وهذا خلاف أصولي بين العلماء، قالوا المخاطب يدخل تحت الخطاب أم لا؟ محمد يقول للأمة: **إنكم لن تروا ربكم**. الأصل في ذلك أن المخاطب يدخل في الخطاب، والأصل العموم لا الخصوص، قال الله جلّ في علاه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) [الطلاق: 1]، فالخطاب للنبي خطاب للأمة. الخطاب للأمة يدخل دخولاً أولياً النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لما يقول الله جلّ في علاه: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) [البقرة: 43]، هل يدخل النبي أم لا يدخل؟ يدخل. وإذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**، يدخل أم لا يدخل؟ يدخل.

فإذاً النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**، وهذه دلالة واضحة جداً على أن كل إنسان لا يرى ربه جلّ في علاه إلا إذا قام يوم القيامة، في الدنيا لا يمكن أن يرى الله جلّ في علاه، قال: **حتى تموتوا**، وهذا الراجح الصحيح. وأما ما استدلل به ابن عباس فالرواية مصحفة، الصحيح في الرواية: **نور أتى أراه**، يعني

نور كيف أراه؟! والذي يفسر ذلك صريح العبارة في الرواية التي رواها أحمد في مسنده بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **رأيت نوراً**، لم يقصد النور، النور هو الحجاب، فحجاب الله النور والنار. فالصحيح الراجح أنه لم يرى ربه جلّ في علاه.

وأما رؤية القلب فجائزة في الدنيا، ورؤية القلب ليست خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بل لجميع الخلق، إذ الأصل عدم التخصيص. قال: **رأيت ربي في أحسن صورة**، هذه المسألة مسألة إيمانية، يجعل الله ليضرب لها الأمثال عند الرؤية في المنام، والله يأتي في صورة حسنة ويأتي بصورة أحسن وهو على كل شيء قدير. لذلك ابن تيمية أخذ هذا الحديث وقال: **ورؤية الله في المنام على حسب إيمان المرء، لو علا إيمانه جاءه الله في أحسن صورة ولو توسط إيمانه كان في صورة حسنة**.

الإشكال عند الناس أنه يقول لو رأى ربه في المنام سيرى الصفات!! أنت لا تدخل عقلك في هذا. هو سيرى ربه جلّ في علاه، سيأتيه الله جلّ وعلا في صورة الله جلّ وعلا أراد أن يكون في هذه الصورة له، وهي بحسب إيمانه، وقف عند ذلك. يرى الصفات؟! أنا ممكن أقول لك يرى الصفات لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **فوضع يده على صدري** (فرأى يد الله جلّ في علاه) **فوجدت برد أنامله**. فهذه كلها أدلة تثبت الرؤية لكن الرؤية القلبية وليست الرؤية البصرية، والفارق بينهما أن في الرؤية القلبية ممكن يضرب فيها الأمثال، ويأتي الله جلّ في علاه على صورة ويأتي على صورة أخرى. كما في عرصات يوم القيامة يأتيهم على الصورة التي لا يعرفونها فيقولون: نعوذ بالله منك لست بربنا، فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فبعد ذلك يسجدون لله سجوداً تاماً.

إذاً هذه المسألة الأولى وهي أشرف مسألة عند أهل السنة والجماعة، وهي مسألة رؤية الله. أنا قلت الأصل العموم، وقد ورد عن بعض الصحابة أنه قال بذلك، ورد عن سعيد ابن المسيب أنه قال بذلك، وأحمد قال إنه رأى ربه مرتين، عبد القادر الجيلاني وغير هؤلاء، كلهم يقرون برؤية الله جلّ في علاه. الدليل على ذلك قال: **رَأَيْتَ رَبِّي فِي أَحْسَن صُورَةٍ**، فرؤية الله ممكنة في المنام لا ينكرها إلا مبتدع ضال وهو الذي أنكر الرؤية أصالة. وهذه رؤية قلبية وهذه لا ينكرها أحد، لذلك ابن عباس قال: بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه بقلبه، وقال: **رَأَى رَبَّهُ بَعِينَهُ الْبَاصِرَةَ وَالْبَصِيرَةَ**.

أهل السنة يثبتون الرؤية، وأهل البدعة والضلالة ينكرونها "المعتزلة"، وقومهم هم أغلب الناس وأكثر الناس يقولون يُرى إلى غير جهة، وقول المعتزلة أوضح من قولهم. أما قولهم لا يمكن لعاقِل أن يقبله لأنه لا رؤية إلا لجهة، هم يقولون يُرى لا لغير جهة كيف؟ رأيتَه نظرت إلى أعلى نظرت إلى أمامي نظرت يساراً يميناً، لا بد من جهة، والجهة التي يُرى فيها الله جلّ وعلا هي جهة العلو. الذي شوش عليهم أنهم ينكرون علواً، فلو أثبتوا الرؤية لجهة فسيسألون إلى أي جهة؟ تأتيتهم الأحاديث: **تَرَوْنَ الشَّمْسَ؟ تَرَوْنَ الْقَمَرَ؟** إلى جهة العلو. فإذا لزمهم إثبات ما وقعوا في نفيه، وهو علو الله، فهربوا من ذلك في أشرف مسألة عند أهل السنة والجماعة. هم قالوا لو قلنا يُرى في جهة، إذاً لجعلناه في حيز وإن كان الله في حيز صار يحيط به الحادث فيصبح محل الحوادث، إذاً تشبيه الخالق بالمخلوق. كلها عتاهات النظر ليس بنظر مستقيم، ولذلك نقول إذا نزل ربنا إلى السماء الدنيا فالسما لا تظله ولا تقله فما أحوج ما تكون لله جلّ في علاه.

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [النور:35] كما قال ابن مسعود: منور السماوات والأرض. ولو قلنا النور هو حجاب، لمّا قال: **رَأَيْتَ نَوْراً** أي الحجاب، لكن رؤية الله الله له وجه وله عين وله يد ثبتت: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:10]، (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) [القمر:14]، (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:27]. لكن هو قال:

فوضع يده، فوصف يداً لكن لم يصف صفة اليد نفسها، لكنه رأى صفة. الآن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **فوضع يده على صدره**، من أين أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنها يده؟ أثبتتها دون الوصف له، هذا الذي سنقوله إذا رأيت ربك مناماً ستري صفات لكن لن تحيط بها حتى تستطيع أن تصف هذه الصفة، لكن تراها. أما أن يقال بالاختراع هو رأى صفةً ليست هي الصفة الحقيقية، إذاً دخلنا في قول أهل البدع والضلالة دون أن ندري.

فالصحيح أن نقول بأن مسألة رؤية الله في المنام كثير من الناس ينكرونها وما أدري لم؟ والأصل العموم، **رأيت ربي في المنام**، وقال: **"في المنام"** تصريحاً. إذاً رأى ربه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **رأيت ربي في أحسن صورة**، إذاً هو يأتي على صورة، وأثبتنا أن لله صورة لو لم تكن ثابتة لما تكلم بها النبي -صلى الله عليه وسلم-. بل في الصحيح في عرصات يوم القيامة قال: **يأتيهم على الصورة التي لا يعرفونها**، قال: **ثم يأتيهم على الصورة التي يعرفونها**؛ أقصد له صورة ثابتة. من قال لك أن مجيء الله في المنام يكون وحياً؟ أين الدليل؟ رؤيا الأنبياء حق وأنت رؤيتك تكون حقاً أيضاً، قال: **الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة**، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً.

فالرؤيا الصالحة هي رؤيا التأمل "تأمل الخير"، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ونصه في الحديث الصحيح: **من يؤمل خيراً يأتي بالخير**. ولذلك بعض الصحابة قال: كنت أرى الرؤية فأعيش زماناً كمداً، قال: فأمرض في بيتي فيعيني رؤياي هذه حتى سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال بأن: **الرؤيا الصالحة من الله والتحزين من الشيطان**. لا أعلم لماذا الوسط الملتزم يعني أراه يتعاطم عليه مسألة **"رأيت ربي في المنام"**؟ وهذا معناه أن الوسط الملتزم أيضاً لم يربى عقدياً على طريقة السلف، لأن طريقة السلف الأصل جاء سلماً.

رأيت ربي في أحسن صورة، قد يرى المرء المؤمن ربه في أحسن صورة أو يراه في صورة حسنة وكلّ حسب إيمانه. جُلّ التابعين يقولون بذلك، وتابعو التابعين قالوا بذلك، وأحمد قيل إنه رأى ربه في المنام، فما رأيت أحداً أنكر ذلك قط. فمن قال بأن أحد أنكر ذلك يأتينا بالدليل، أنا أجهل أن يكون قد ثبت عن أحدٍ من المتقدمين من السلف أنكر هذه المسألة قط.

- خلق الجنة والنار

قال: والإيمان والجنة والنار وأنهما مخلوقتان، يعني من أركان الإيمان ومن الإيمان هو الإيمان بالجنة والنار. والحق بأن يقول: الإيمان بالجنة والنار أنهما مخلوقتان، هذا فيه التأصيل في الرد على المعتزلة الذين يرون بأنها ما خلقت الآن، وقد قال الله جلّ وعلا عن الجنة: (أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران:133]، وقال الله عن النار: (أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة:24]، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: قال الله تعالى: أعددت. كل هذا في الماضي يدل على أنها مخلوقة وموجودة الآن، والدلالة على أنها موجودة مخلوقة كل الأدلة التي جاءت: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والأدلة تثبت أنها موجودة الآن، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: فمررت على قصرٍ منيف فقلت: هذا القصر لي؟ قالوا: لا لعبدٍ من أمتك اسمه عمر، قال: فرأيت امرأة وضاءة تتوضأ فعلمت غيرة عمر فلم أدخل. النبي -صلى الله عليه وسلم- يتكلم عن هذا لأنه مر بالجنة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أيضاً في صلاة الكسوف قال: أريت كل شيء حتى الجنة والنار. والنبي -صلى الله عليه وسلم- تقدّم ليأخذ عنقوداً لأنه رأى الجنة فقال: لو أخذته لأكلتم منه إلى يوم القيامة، وتفقهروا وتراجعوا قال: وما رأيتم من

تقهقري، ما رأيت أشد فظاعة مما رأيت الآن، على النار مما رأى فيها من النار وعظيم النار. فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم- النار وهو يصلي، ورأى الجنة وهو يصلي.

وتكلم الله جلّ وعلا عن الجنة، وتكلم الله جلّ وعلا عن النار. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الشهداء: **أرواح المؤمنين في حواصل طير يعلقون بشجر الجنة**، هذه فيها دلالة أنهم يسرحون ويطيرون ويمرحون ويتمتعون في الجنة. فالجنة مخلوقة والنار مخلوقة، وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **الله ملائكة يسيحون في الأرض، يلتمسون حلق الذكر، فإذا وجدوا حلق الذكر قالوا: دونكم بغيتكم. فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء ثم يعرجون إلى ربهم، فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول الله جلّ في علاه: ما يسألون؟ (من ضمن الأسئلة) قالوا: يسألون الجنة، فيقول: وهل رأوها؟. هذه فيها دلالة على أنها موجودة الآن، يقول: ممّ يستعيذون؟ يستعيذون من النار، وهل رأوها؟. فيها دلالة على وجود النار الآن. وهذا رد كما قلنا على المعتزلة والرد على أهل البدعة والضلال الذين يقولون إنها ليست مخلوقة.**

أمّا الجنة والنار، فإن الجنة قد وصفها الله جلّ في علاه ووصف ما فيها، وبَيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما في الجنة حتى أنه لمّا مات سعد ونظروا إلى أمور من أمور الدنيا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لمنديل سعد في الجنة خير من الدنيا وما فيها**. ووصف النبي -صلى الله عليه وسلم- شجرة، أجاويد الخيل تسير في ظلها أكثر من مسيرة كذا وكذا من مئات السنين. وأيضاً وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الجنة وما في الجنة من نعيم دلالة على أنه رأى الجنة وما في الجنة.

والنار كذلك، قال الله جلّ وعلا: **(أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** [البقرة: 24]. جلس النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه فسمعوا صوت زلزلة ضجة، فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-

وسلم:- هذا حجر كان على حافة النار بلغ القاع الآن من سبعين خريفاً، ما زال يتهاوى في النار سبعين خريفاً، قال: **وصل الآن**. وهذه الهزة سمعها أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-، دلالة على وجود النار. وأيضاً قد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه ما رأى منظراً قط أقطع من هذا المنظر، عندما رأى النار -بأبي هو وأمي-.

إذاً أعدت الجنة للمتقين والنار للكافرين، وهما مخلوقتان الآن. ويوم القيامة يذبح الموت بين الجنة وبين النار، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ويؤتى بالموت فينادى: يا أهل الجنة فيشربون وينظرون، وينادى: يا أهل النار فيشربون وينظرون، يقال: أتعرفون هذا؟ يقولون: نعم الموت**. هذا فيه إشكال نحتاج إلى الإجابة عنه وهو الكلام على الموت، أسماه كبشاً، والموت معنى من المعاني. فنقول الله قدير، والمعاني يوم القيامة يجعلها الله جلّ في علاه مجسمة، قال رسول الله: **اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف**. فالأعمال تجسم، والموت أيضاً يجسم على هيئة كبش فيذبح ما بين الجنة والنار. ثم يقال: **يا أهل النار خلود بلا موت، يا أهل الجنة خلود بلا موت**، وهذا حديث صريح في عدم فناء النار. ولذلك قال الله جلّ في علاه: **(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ)** [الزخرف:77]، ولذلك قال الله جلّ وعلا: **(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)** سواء في الجنة أو في النار.

- مسألة حقيقة الإيمان

ثم قال: والإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص. هذه مسألة عظيمة جداً مسألة الإيمان، وأنا تبهرت جداً فيها في الشريعة وفي السنة وفي البخاري وأيضاً في الإبانة وفي ابن منده وأصول السنة للإمام أحمد. هل يحتاج أن نتكلم فيها لتعلم السلف ماذا يقولون، والخلف ماذا يقولون.

المشكلة في الخلف أنهم حقاً تبدلت عندهم الموازين، تكلموا في الإيمان، تكلموا فيه بكلام أهل البدع وجعلوه كلام لأهل السنة، وجاءوا لكلام أهل السنة فجعلوه كلام أهل البدعة. هذا أسوأ ما يكون في الموضوع، لو قيل هذا قول أهل السنة وهذا قول أهل السنة لكان ممكن، وطبعاً لا يمكن السكوت عن هذا. لكن أن يُجعل كلام أهل السنة بأنه كلام أهل البدعة مصيبة، هذه معناها فيها مصيبتان: المصيبة الأولى الجهل بقول أهل السنة والجماعة، الثاني التجني على أهل السنة والجماعة، هذه مسألة أعوص مما تكون.

لذلك مسألة الإيمان مسائل من الأهمية بمكان، مسألة ليست بالهينة. وما أرى اختلافاً لا في القديم والله ولا في الحديث من أهل السنة في مسألة الإيمان والعمل، وأن التلازم وثيق لا ينفكان بحال من الأحوال. لذلك أنت ترى الصابوني ينقل عن السلف ما يقولون، ثم بعد ذلك نبين الدلالات بإيجاز دون الإخلال، والإخوة ترجع للتوسع إما للشرعية للأجري أو السنة لابن أبي عاصم، وكل ذاك مشروح موجود على النت بفضل الله جلّ في علاه، وليس أصول السنة فقط.

قال: ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل -رحمه الله- عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبّحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيّعنا ونسينا فذلك نقصانه.

وقال يحيى بن سليم: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان، فقالوا: قولٌ وعمل. وقال: سألت ابن حسان وابن جريج والثوري وابن الصباح ومحمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان ومحمد بن مسلم والفضيل بن عياض ونافع بن عمر الجمحي وابن عيينة، جميعهم قالوا: قولٌ وعمل.

وقال سفيان ابن عيينة -رحمه الله-: الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد! تقول: ينقص؟ قال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء. وهذه السؤال نفسه كأنه فيه لفظة أخرى ما هي؟ كأن إبراهيم يرى رأي الخوارج، لذلك قال له: يا صبي، فصغير العلم هو أهل البدعة. قال: لا يطلب العلم في آخر الزمان إلا عند الأصاغر، والأصاغر هم أهل البدعة. لذلك قال له: يا صبي ينقص، لأن الخوارج يرون نقصان الإيمان كفر، لا يتصورون نقصاناً في الإيمان.

وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالكاً وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرارٌ بلا عمل. ويقولون: لا إيمان إلا بعمل. هذا قول مالك والسلف، وهذا نقله البخاري، قال: لا إيمان إلا بعمل. من يقول بأنه "يصح إيمان ويصح في الأذهان وجود الإيمان بلا عمل" قد خالف أهل السنة والجماعة مخالفة ظاهرة غير منقوصة، ولذلك الشافعي نقل الإجماع: أجمع من سبق من العلماء على أن الإيمان قول وعمل، زاد الثوري: وسنة. وأيضاً ابن عيينة نقل الإجماع ونقل البخاري قال: نقلت عن ألف عالم على أن الإيمان قول وعمل. لكن أنا أقول لا بد إن سعدت تسعد بهذا الأثر لأنه يقول: لا إيمان بلا عمل، قال: لا إيمان إلا بعمل.

ابن بطة قد نقل أيضاً في الإبانة قريباً بأن إسحاق قال: كالمرجئة يقولون: إيمان بلا عمل، قال: من قال إيمان بلا عمل هذا كفر. انظر الآن هذا نقل إجماع عن العلماء؛ دكتور عبد الكريم الخضير لو تسمعون عنه في شرح الموطأ سنل سؤال صريح في هذا، (طبعاً هذا كلام أيضاً الشيخ صالح الفوزان والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين،

كل المعاصرين يقولون بذلك من أهل السنة والجماعة)، لمّا سئل: ترك العمل كفر؟ قال: **العمل شرطٌ في صحة الإيمان**. الشيخ الفوزان يقول: **العمل ركن من أركان الإيمان، ولا يصح في الأذهان مؤمنٌ ءامن بقلبه ولم يتحرك له جوارح**. ولذلك المفروض نقول من أعلم أنتم أم مالك؟ أنتم أم الأوزاعي؟ الأوزاعي كما قال الإمام ابن تيمية: لم يأت في الشام مثل الأوزاعي، وهو يقول: **لا إيمان بلا عمل، لا إيمان إلّا بعمل** -كما سيأتي-.

قال الوليد بن مسلم -رحمه الله-: سمعت الأوزاعي ومالكاً وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول: **إقرار بلا عمل**؛ الذي يقول: **"إقرار بلا عمل"** هم المرجئة، يقولون إقرار فقط. والفرق بينهم وبين الجهمية، بأن الجهمية يقولون الإيمان معرفة فقط. ما الفرق بينهما أثراً؟ الفرق بينهما أن الجهمية إبليس عندهم كجبريل وانتهى الموضوع، إبليس مؤمن بل هو أعرف المعرفة، هذا لازم قولهم.

قال: ينكرون على من يقول: **إقرار بلا عمل**. ويقولون: لا إيمان إلّا بعمل. قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيماناً ممن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة.

وقال ابن خزيمة -رحمه الله-: سمعت أحمد بن سعيد يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلاً وأنا أبغضهم عن معرفة. إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة، والثاني أنه ليس للإيمان عندهم قدر. والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل. **المرجئة هم الذين يقولون بذلك، لأنهم يقولون: وأهله في أصله سواء**.

الذين يرون الخروج على السلطان الخوارج لكن هو جمع الاثنين، بيّن أن هؤلاء جهلة وهؤلاء جهلة؛ الذين يرون الخروج على السلطان هم الخوارج وهم من أضل فرق أهل

السنة والجماعة على الراجح، لأن هناك من يكفرهم. والمرجئة هم الذين يقولون إيمان
أحاد الناس كإيمان جبريل -هذا سيأتي-.

وقال إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي: قدم ابن المبارك الري، فقام إليه رجلٌ من العباد،
الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج، "عباد" يعني غلبته عبادته عن العلم، فقلنا لا تقل
"شيخي يقوم يبكي يصلي"، قل: عالم متقن راسخ دع بينه وبين ربه العبادة، لكن عند
الرجوع إليه قل: عالم أم لا؟ يتقن أم لا؟ راسخ أم لا؟ نرجع له أم لا؟ أمّا عابد يدعها
بينه وبين ربه؛ ممكن يكون قائم طيلة الليل وصائم طيلة النهار وغير مقبول، وممكن
نائم طيلة الليل وشبعان طيلة النهار وهو أعظم الناس قدراً عند الله. ما أحد يعرف، هذه
المسألة مسألة ربانية اتركها لربك. لكن هنا ضوابط فيمن ترجع له ومن لا ترجع له،
ترجع له "أعلم"؛ وإلا فقد رجع لأعبد أهل الأرض قتله به، دلوني على أعلم أهل
الأرض، فدلوه على راهب يتعبد ليل نهار وهو جاهل قنطه من رحمة الله فقتله. دلوني
على أعلم أهل الأرض، فكان العالم به النجاة.

فقام إليه رجلٌ من العباد، الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن
ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا
عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً؟ فقال: لا تقبلنا المرجئة، المرجئة تقول:
"حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة"، ولو علمت أنني قُبلت مني حسنة لشهدت أنني في
الجنة. ثم ذكر عن ابن شاذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هذيل ابن
شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: **لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان**
أهل الأرض لرجح. وقال ابن خزيمة -رحمه الله- سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد
بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به: أن الإيمان قولٌ
وعمل يزيد وينقص.

إذاً هذه المسألة مسألة عظيمة عند أهل السنة والجماعة؛ مسألة "الإيمان قول وعمل":

🌿 الإيمان في اللغة: التصديق.

كما قلنا وكررنا أكثر من مرة الإيمان يتعدى بثلاث: يتعدى "بنفسه"، يتعدى ب "الباء" يتعدى ب "اللام"، فصلناها قريباً:

❖ قلنا يتعدى "بنفسه" بمعنى الأمان؛ وهذا يسمى تفسير باللائم، إذ الإيمان لازمه الأمان، قال الله جلّ وعلا: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) [قريش:4]. فالإيمان إذا تعدى "بنفسه" كان أماناً، ولذلك قال الله جلّ في علاه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) [الأنعام:82]، فالإيمان يستلزم الأمان، وهذا الأمان: أمان القلوب في الدنيا وأمان القلوب والأبدان في الآخرة. فالإيمان يلزم منه الأمان.

❖ والثاني يتعدى ب "الباء" فيكون بمعنى التصديق، (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) [البقرة:285] ... إلى آخر الآيات. فالإيمان الذي يتعدى ب "الباء" بمعنى التصديق، قالوا واستدلوا على ذلك بقول الله جلّ في علاه في إخوة يوسف فقالوا: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [يوسف:17]؛ على السياق: مصدقٍ لنا. وقالوا أيضاً بأن التصديق في أن تقول: آمنت بالله وآمنت برسول الله؛ أي: صدّقت بالله، صدّقت بوجود الله، بربوبية الله، بإلهية الله، بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، صدّقت برسول الله أنه صادقٌ مصدوق، وأنه رسول من قبل ربه جلّ في علاه. إذاً التعدي ب "الباء" بمعنى التصديق.

❖ وإن تعدى ب "اللام" فيكون بمعنى المتابعة والاستسلام والانقياد، وبينهما تلازم وثيق؛ فمن صدق لا بد أن ينقاد، فمن صدق فلم ينقد نقض عدم انقياده تصديقه. كالقدر عندما قال فيه ابن عباس: **القدر نظام التوحيد، فمن كذب القدر فقد نقض تكذيبه توحيده.** فالحق بأن الانقياد هو الثمرة الأصلية للإيمان "التصديق"، فمن كان مصدقاً حقاً لا بد أن ينقاد، فإن لم ينقد فليس بمصدق. لذلك قال الله جلّ في علاه: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [النساء:65]. ولتعلم الترابط الوثيق بين "آمنت به" و"آمنت له"، خذ حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **قل آمنت بالله** (يعني صدقت) ثم استقم.

إذا كنت مصدقاً، لا بد أن تعمل. ولذلك قال علماؤنا: الانقياد التام ركن العبودية والخضوع التام ركن العبودية، **(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ)** [البقرة:131]. لذلك أنا قلت أكثر من مرة لك أن تفهم الآيات بتنوع الآيات؛ في سحرة فرعون قال مرة فرعون لسحرة فرعون: **(آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ)** [الأعراف:123]، في الآية الأخرى قال: **(آمَنْتُمْ لَهُ)** [الشعراء:49]. إذا **(آمَنْتُمْ بِهِ)** و**(آمَنْتُمْ لَهُ)**، ما الفرق بينهم؟ حدثت الأولى قبل الثانية، **(آمَنْتُمْ بِهِ)** فلما آمنتם انقدتم، ما هي الدلالة من الآيات؟ هم الآن على سحر تام ويعلمون ألوان السحر فلما نظروا فوجدوا حقيقة العصا تحولت حقيقة لحية صدقوا، فلما صدقوا الانقياد التام. وهذا أروع الأمثلة التي تبين لك أنه لو كان في القلب تصديق وجب أن تجد ذلك في العمل، سواء في عمل القلب أو عمل الجوارح. صدقوا أن العصا انقلبت حية فانقادوا تماماً قال: **(وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)** [الأعراف:120-122]. فانقادوا تماماً سجوداً وقالوا آمنا، وترجموا الإيمان بالله بالقول والعمل، أي بالتلفظ والسجود. فلا يمكن أن يتكامل الإيمان قط إلا أن يكون كذلك، فإذا الإيمان بالله إذا قلت: آمنت بالله، أقول يلزمها "آمنت لله"، وهذا معنى الإيمان.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة: **قولٌ وعملٌ**، قال: **وسنةٌ**. وبعضهم قال: قولٌ وعملٌ ومعرفة؛ قول باللسان، وقول بالقلب، وعمل بالأركان، وعمل بالقلب؛ والأربعة أركان. - فمن قال بأنه "إذا توفر قول اللسان وقول القلب فقط كان مؤمناً" هذا قول المرجئة. - ومن قال "إذا توفر إقرار القلب دون التلفظ باللسان" فهذا قول غلاة المرجئة. - ومن قال "المعرفة تكفي في الإيمان" فهذا قول الجهمية.

جمعنا لكم الأقوال بأسرها في مكانٍ واحد، وكل ذلك من قول أهل البدع.

- ومن قال "إذا استقر قول القلب وقول اللسان وعمل القلب بلا عمل الجوارح"، هذا تخريجٌ لقول المرجئة. بل وصفه أحمد وإسحاق وابن عيينة أنه قول المرجئة، والصحيح أنه تخريج لقول المرجئة لأن مرجئة الفقهاء يقولون: بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لكن يتأثر بالطاعة ويتأثر بالمعصية؛ فكان في قولهم ثمرة توافق أهل السنة والجماعة، والمفارقة أنهم لا يرون العمل شرطاً.

ولذلك نحن نقول الأدلة دامغة على تلازم الظاهر والباطن، ومن قال بعدم التلازم قد خالف الواقع وخالف النص وخالف إجماع السلف. قالوا بتلازم الظاهر والباطن، إن وجد في القلب إيمان وجب أن يظهر في الجوارح. وهذا الذي قاله ابن تيمية في الفتاوى وهو يقول: **لا يتصور في قلب امرئٍ إيمان يدّعي بأن الله جلّ وعلا خلقهم وأمرهم وخلقهم للعبادة، فلم يسجد لله سجدة ولم يحج مرة، فلا يمكن أن يكون في قلبه إيماناً أبداً.** قلنا حتى في واقع الطب؛ الطبيب نقول له: إن كان ثمة نبض في القلب، قال: لا بد للحركة من الجوارح، إن سكت لا تحرك للجوارح. العكس بالعكس، والله جلّ وعلا بيّن ذلك، حتى أن الله جلّ وعلا قال: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)** [الأنفال:2].

أنا أريد فقط أعطي الخريطة الصحيحة في التعامل وهذه بالآيات، ومن خالف خالف بلا دليل، ومن أتى بالدليل فحياً هلاً وأهلاً وسهلاً. لا سيما ونقل الإجماع عن الصحابة: **التلازم ظاهرٌ بين الباطن والظاهر**، وفي أصل التلازم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله**، دلالة واضحة جداً على ذلك. أيضاً الله جلّ وعلا (على العكس بالعكس) عندما قال عن اليهود ادعوا إيماناً، فمن ادعى في القلب إيمان لا بد أن ينضح هذا الإيمان على الجوارح، فإن لم ينضح فالزعم بائر، فإن وجد العكس فالزعم زائف "هوى". والدلالة على ذلك واضحة جداً؛ اليهود زعموا إيماناً وأتوا بما يعاكس هذا الإيمان، فقال الله جلّ وعلا منكرًا: **(وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** [البقرة: 93]؛ زعمتم إيماناً وعبدتم العجل، لا إيمان.

إذاً نقول مرحلتان في الزعم أن يكون كذباً: ألا تجد أثره في الجوارح، أو تجد العكس. لذلك تفهم هنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**. والحمد لله أن الأدلة جاءت أن الإيمان انتزع لكنه ما زال في محطة الإسلام، والمسلم ما علامته؟ ما علامة المسلم؟ ما هي الأمور التي يجب على المسلم أن يأتي بها؟ الشهادتان باتفاق وأركان الإسلام. الإسلام كالخيمة على أركان، إذا نزع كل الأركان. قل العمود الوسط موجود وهو الشهادتان، وخيمة على هذه الأركان وفيها عمود واحد، لو الأركان قوضت بأسرها هل تبقى الخيمة؟

فمن ترك الأركان ترك الإيمان، ولذلك أنت ترى بأن الخلاف قد ظهر في آحاد الأركان؛ ظهر الخلاف وسيأتي بقوة في ترك الصلاة، ظهر الخلاف في تكفير ترك الزكاة، ظهر الخلاف في تكفير ترك الحج، ظهر الخلاف في تكفير ترك الصيام. الخلاف وارد في الأحاد فكيف بالاجتماع؟ كيف بالكل؟ كيف يكون إيماناً بلا عمل؟ هذا لا يتصور، ليس في الذهن.

تعال هنا للمتهوِّك عندما يقول لك: أنت تقول إن الرجل لو عاش دهرًا لا يصلي ولا يصوم يكون كافرًا، لو جاءه في رأسه يصلي الجمعة، فصلى الجمعة مرة ولم يفعل ذلك مرة ثانية، أين هذا؟ أين المثل تجدونه هذا؟ غير متصوِّر ولا في الذهن. فنقول بأن هذا افتراض ذهني، ولو حدث ألزمتك بأنه لو صلى الجمعة سيصلي خلفها جمعات. ولذلك السلف بالاستقراء قالوا: إن وجدت رجلاً على الحسنة ستري عنده غيرها أخوات، وإن كان على المعصية -اللهم اغفر لنا- تجد غيرها أخوات.

طبعاً هذا باتفاق الأمة هنا الإيمان، أصل الإيمان، كما في حديث حذيفة: **حدثني النبي - صلى الله عليه وسلم- عن الأمانة تنزل في جذر قلوب الرجال**، أصل الإيمان القلب. فلا بد له من أمور: أول شيء قول، عمل.

♦ قول القلب إن وجد الذي هو التصديق، هذا التصديق وجوباً إن وجد لا بد له من العمل، إن وجد التصديق فلا بد أن يوجد معه العمل، لا تصديق بلا عمل. لو كان مصداقاً حقاً لتوكل على الله، لو صدق أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين لأحسن الظن بربه. فلا يمكن ولا يتصور أن يكون في القلب تصديق وليس معه عمل، التصديق في القلب يجر إلى عمل القلب.

والدلالة على ذلك تراها في قول الله جلَّ وعلا (**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) [المائدة: 23]، إن كان التصديق في القلب على الإيمان وجب أن يظهر في التوكل على الرحمن، قال: (**خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) [آل عمران: 175]. وأيضاً من صدق أحب، ومن لم يحب كذب عدم حبه تصديقه، لذلك قال الله جلَّ في علاه (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا**)، هذا الإيمان الصدق، (**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**) [البقرة: 165].

ولذلك أنت ترى في معنى قول الله جلّ في علاه: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) [الزمر:33]، لما حدث التصديق من أبي بكر ماذا حدث بعده؟ امتلاً يقيناً وتوكلاً وعملاً. إذاً التصديق وهو قول القلب وجوباً يستلزم عمل القلب، من صدّق بأن الله فوق العرش هو بائنٌ من الخلق، رزّاق، وأن الله يحيي ويميت وأن تشريع الله جلّ في علاه، قلبه لم يميل إلّا إلى ربه. لذلك أنت ترى ابن عباس فيما قال: **صَدَّقْتَ بقلبي بأن الله مالك الكون، وأن الله المتحكم في الكون، وأن الله النافع الضار؛** هذا خبر عن الله أن الذي ينفع ويضر هو الله، (وَأِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [يونس:107]، (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [الأنعام:18]، إذاً لا نفع ولا ضرر إلّا بالله.

وحديث ابن عباس: يا غلام إني أعلمك كلمات، ثم قال له: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك. فأنت صدّقت بقلبك لا ساكن يتحرك إلّا بالله، ولا متحرك يسكن إلّا بالله. لذلك قال ابن عباس: **من قال: لولا البط لسرق السارق أشرك بالله،** وكان شرك أصغر لأن التفات القلب يدل على ضعف التصديق، التفات القلب لغير الله يدل على ضعف التصديق، لذلك قال ابن عباس أنه شرك. فلو امتلأ القلب تصديقاً، امتلاً يقيناً وتوكلاً على الله.

وهذه المصيبة التي نعيشها الآن، التصديق عندنا في القلب يقل لذلك اليقين في الله "عمل القلب" يقل. يعمل الرجل ليل نهار من أجل المال، والمال هذا والرزق هذا في يد من الله. فلو صدّقت هل تكون هكذا كالحمار في الساقية؟ المسألة علمت أنها من فوق، وهذا الذي قاله الحسن: **علمت** (يعني صدّقت) **أن رزقي بيد ربي ولن يذهب لغيري فاطمأن قلبي.** إذاً التصديق يستلزم منه العمل.

عمل القلب لا يمكن أن يتوقف، فيستلزم منه الجوارح، والدلالة دلالات؛ أولاً الدلالة عندنا دلالة واضحة جداً: **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله؛** إذا مدار صلاح الجسد على صلاح القلب بقول وعمل، فيظهر العمل في الجوارح لا يتخلفان، من قال بالتخلف فعليه أن يأتي بالدليل. وهنا يقول الله جلّ في علاه: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ)** [الأنفال:2]؛ تصديق وعمل، **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)**، تحرك القلب.

النبي -صلى الله عليه وسلم- أوضح الصورة أوضح من شمس النهار، فإذا تحرك القلب تحركت الجوارح، ما الدليل؟ **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله.** إذا تحرك القلب -بكلام النبي- تتحرك معه الجوارح، من قال تتخلف عليه أن يأتي بالدليل. هنا الآيات **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ)** تحرك القلب، أنت تنتظر سامعاً وتقول سأترقب تحقيق ما قال النبي، تحرك القلب معه يتحرك الجسد. قال: **(وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)**، ما زلنا بالقلب، **(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** [الأنفال:2]. هنا هذه الآيات أتم لك التصديق وعمل القلب، لأن التصديق أثمر لنا توكلًا: **(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)**، الآيات التي بعدها **(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)** [الأنفال:3]. إذا تحرك القلب لا بد من تحرك الجوارح، قال الله جلّ في علاه: **(أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)** [الأنفال:43].

من لم يفعل ذلك؟ من قال بالقلب فقط؟ ليس بمؤمنٍ حقاً. من قال بالقلب وعمل بالقلب ولم يعمل بالجوارح؟ ليس بمؤمنٍ حقاً. قد يقول قائل: نعم ليس مؤمناً حقاً كاملاً، هذا تقديرٌ منك، وأين الدليل؟ لا دليل غير حديث القبضة "حديث البطاقة"، وكلها مردودٌ عليه كما بينا قبل ذلك. إذاً لا بد أن نعلم هذه القضية قضية عظيمة جداً، فيها إجماع الصحابة، إجماع العلماء. من نقل الإجماع؟ الشافعي، ابن عيينة، البخاري، الأوزاعي،

إسحاق، أحمد. كل هؤلاء من فحول أهل السنة والجماعة يقولون بذلك، فهذه دلالة على العلاقة في قول العلماء: **الإيمان قول وعمل**.

♦ فأقول: قول باللسان، والقول باللسان وجوب التلفظ بالشهادتين لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **قل آمنت بالله ثم استقم**، ولقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يا عم! قل: لا إله إلا الله. أحاج لك بها عند الله**. قول باللسان وقول بالقلب، والقول بالقلب هو التصديق، **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)** [الزمر:33]، هذا الأصل. ولذلك قال الله لإبراهيم -عليه السلام-: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** [البقرة:206]. انظر قال: ألم تصدِّق؟ قال: بلى صدقت، **(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)**. والبيهقي من الأشاعرة نفسه في كتاب شعب الإيمان يرد على الأشاعرة، لأنه أصلاً نفسه البيهقي عنده لوثة ليست المسألة متمكنة معه. قال: وهذه دلالة على أن التصديق يزيد وينقص؛ أصل التصديق يزيد وينقص لأن إبراهيم قال: **(لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)**، فارتقى التصديق إلى الاطمئنان، هذا بالنسبة لقول القلب.

♦ قال: وعمل بالقلب، وعمل قلب ركن من أركان الإيمان، كما قال الله جلّ وعلا: **(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** [المائدة:23]، وأيضاً **(خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** [آل عمران:175]. والمحبة أصل كل أعمال القلوب، وهي أصل كل أعمال الجوارح لقول الله جلّ وعلا: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)** [البقرة:165].

♦ أيضاً العمل عمل الأركان أو عمل الجوارح، وهذه أصول هذه المسألة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. لا سيما وأن الآيات جاءت تثبت أن الإيمان الحق بالعمل، قال الله جلّ في علاه في سورة**

الحجرات: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات:15]، فلا بد من العمل. آية سورة البينة: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة:5]، فسمي العقيدة بالتصديق والعمل وعمل الجوارح هو (دِينُ الْقَيِّمَةِ) هذه فيها دلالة على ذلك.

ثم ذكر بعد ذلك الإيمان يزيد وينقص، وهذه من عقيدة أهل السنة والجماعة. وللإنصاف ورد عن ابن المبارك وغير ابن المبارك قال: **من قال: الإيمان يزيد وينقص فقد برئ من الإرجاء.** قلنا نعم، ولكن الذي قال: "الإيمان يزيد وينقص وليست الأعمال شرط فيه"، له شبهة إرجاء. ولذلك التبرؤ من الإرجاء أن تقول: **الإيمان يزيد وينقص**، لأنهم يقولون إيمان آحاد الناس كإيمان جبريل.

والإيمان يزيد وينقص هذه بالأدلة من الكتاب والسنة واجماع أهل السنة، نجتزئ بعض الأدلة فيها وإلا فقد أوسعنا الكلام فيها في غير ما موضع. قال الله جلّ في علاه: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) [مريم:76]، وقال الله جلّ وعلا: (لِيَزِدَّاؤَا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ) [الفتح:4]، وقال الله جلّ في علاه: (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُذِهِ إِيْمَانًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [التوبة:124]. وأيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن زيادة الإيمان عندما قال: **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.** وأيضاً ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في مسألة الزيادة في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لو بلغ الإيمان الثرياً لبلغه أحد هؤلاء الرجال**، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **مُلِيَّ عَمَّارٍ إِيْمَاناً.** وأيضاً في الرؤيا التي رآها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فرأى عمر بن الخطاب يسير بقميص يجره. قالوا: ما أولته؟ لأنه رأى القميص يصل إلى الركبة يصل إلى الحقو ويصل إلى الصدر، ووجد عمر بقميص طويل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أولته بالدين**؛ يعني بالإيمان.

قد يأتي الدين ويُقصد به الطاعة، ويأتي الدين ويُقصد به الإسلام، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ **الإِسْلَامُ**) [آل عمران:19]. وقد يأتي الدين ويُقصد به الطاعة؛ هذا ما أوله بعض العلماء بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الخوارج: **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**؛ قالوا: المقصود بالدين هنا هو الطاعة، أي يمرقون من الطاعة. وهم يمرقون من طاعة الولاة ويخرجون عليهم، هذا التفسير عند جمهور العلماء، وبعض العلماء جعلها على ظاهرها. وهذا في الخلاف في الكلام عن الحكم على الخوارج، وإن كان الأصل والحق بأن الخوارج الراجح عند أهل العلم وناسب ابن تيميه والجاهلير بأنهم قالوا: بأنهم ليسوا بكفار، وهذا قاله الخطابي. واستدلوا على ذلك بقول علي بن أبي طالب قالوا: كفروا؟ قال: من الكفر فروا، قالوا: هم المنافقون؟ قال: المنافقون (**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى**) [التوبة:54]، قالوا: ما تقول فيهم؟ قال: **أقول إخواننا بغوا علينا**.

والنقصان في الكتاب أيضاً، قال الله جلّ في علاه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا) [النساء:137]، وازدياد الكفر نقصان في الإيمان، الكفر نقصان الإيمان وازدياد الكفر نقصان في الإيمان. وأيضاً قول الله جلّ وعلا: (**أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ**) [التوبة:124-125]، وهذا رد على من قال بأن مالك قال: لم أرَ في كتاب الله إلا الزيادة، فقال: لمن يزيد. وهذا قول الخوارج فقط، وليست المسألة هنا موافقة للخوارج، مالك اجتهد اجتهداً فأخطأ. وإن كان بعض المالكية ينكرون ذلك عن مالك، يقولون مالك يقول بقول أهل السنة والجماعة: الإيمان يزيد وينقص.

وأما الأحاديث في النقصان فكثيرة؛ من هذه الأحاديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للب الرجل الحازم منكن. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: تصدقن فإنني رأيتكن أكثر أهل النار، قال: يكفرن العشير ويكفرن

النعمة. هذا الحديث فيه دلالة على النقصان "قال: **ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ**". هناك ضابط أن ذكر الكفر فقط دلالة على النقصان، التصريح أولاً من أول حديث وبعد ذلك اللازم "قال: **يكفرن**"، والكفر نقص في الإيمان.

إذاً الإيمان يزيد وينقص، ولذلك الصحابة جميعاً اتفقوا: هيا بنا نؤمن ساعة. أولم يكونوا مؤمنين؟ بلى معناها نزداد إيماناً بذكر الله جلّ في علاه. قال: نافق حنظلة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ساعة وساعة**. وأيضاً حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**، ففيها دلالة على نقصان الإيمان، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

لَمَّا ذَكَرَ: فقام إليه رجلٌ من العُبَّاد، الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً؟ هذه دلالة على مسألة لا بد أن ألفت الانتباه إليها، هي مسألة مهمة جداً. هو يقول له: ماذا تقول في رجل زنى وسرق خرج من الإيمان؟ قال: لا، لا أخرجه من الإيمان. قال: كبر سنك وصرت مرجئاً. لأنه يريد أن يقول له: وإن زنى وإن سرق فهو خرج من الإيمان.

أنا أردت أن الفت الانتباه لشيء، والحق هو هذا من علامات أهل البدع: اتهام المخالف، وسرعة الانتقاص من أفضل الفضلاء. فهذا عالم نبيل فانتقص منه، قال: كبر سنك وصرت من المرجئة. ولذلك قال غائر العينين للنبي العدنان الذي هو أمين من في السماء، قال له: يا محمد اعدل، إن هذه قسمة لا يراد بها وجه الله. أو محمد -صلى الله عليه وسلم- يقال له مثل ذلك؟ لكن هذه علامات أهل البدع. فمن علامات أهل البدع الانتقاص من أفضل الأفاضل، ومن علامات أهل البدع اتهام المخالف بالبدع أو

بالفسق. هذه من علامات أهل البدع، أنه يتهم المخالف له بالبدعة. فلذلك كل ناصبي يتهم الرافضي، والرافضي يتهم الناصبي.

أما أهل السنة والجماعة عدول، المخالف لهم ينظرون في مرتبة الخلاف، أيسعه الخلاف أم لا يسع؟ فإن كان يسع وضعه في موضعه كما قال الشافعي: **قولي صواب** **يحتمل الخطأ، وقول مخالف خطأ** **يحتمل الصواب، ولا يفسد للود قضية.** أما إذا كان الخلاف في أصول الاعتقاد بالأدلة الظاهرة، فهنا لا بد أن نقول قال: بقول أهل البدعة اجتهد فأخطأ. إن كان من أهل السنة وعاش على أهل السنة ووافق قوله قول أهل البدع لا نبذعه، لا يجوز، بل نقول وافق اجتهاده قول أهل البدع، فنرده عليه ولا نأخذ به ونظهر ضعفه ولا نبذعه. هذا فعل أهل السنة والجماعة، وإلا قد كان من كثير من العلماء ذلك، بعض الرواة كالأعمش؛ كان قد قال له كلمة شديدة فيها قذف، فقال العلماء من الجرح والتعديل: كأنها هفوة ولا يؤخذ بها أو لا يؤخذ بها، وما جرحوه بها. هذا حسن النظر بالعينين الجميلتين؛ إن كان رجل من أهل السنة والجماعة وافق قوله قول أهل البدعة لا نبذعه، إن عاش دهرًا لأهل السنة.

وليس هذا من عندية نفسي؛ البخاري، المروزي، المزني، أيضاً الطبري قالوا: **الإيمان والإسلام سواء.** هذا قول من؟ هذا قول الخوارج، قالوا: الإيمان والإسلام سواء. هل أحد يستطيع يقول البخاري من الخوارج؟ قطع الله لسانه وأصم الله الأذان إن سمعت ذلك. لكن نقول وافق اجتهاده قول أهل البدع فنرد القول عليه، وهو من أهل السنة والجماعة، هذا أصل أصيل في ديننا.

فلما قال له ذلك: صرت مرجئاً؛ لأنه لم يخرج من الإيمان، قلنا هذا فعل أهل البدع والضلال. لذلك نحن نقول هو مستنده من النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يزني الزاني**

وهو مؤمن، لكنه خرج من الإيمان ونزل إلى دائرة الإسلام، لأن ابن عباس قال عند الزنا قال: الإيمان يكون فوقه كالظلة. هذا ليس محل الاستدلال أيضاً فيما نرد عليه أنه لم يخرج من الإيمان، قال: أين الدليل الذي يدل على أنه لم يخرج من الإيمان بالزنا؟ يعني لم يخرج خروجاً كلياً؟ قلنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما ذهب ورجع لأبي ذر قال: جاءني جبريل أنفاً، فقال لي: من مات من أمتك وقد قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟ قال: وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر، وعلى رغم أنف أبي ذر. هذا واضح جلي وأصل أصيل عند أهل السنة والجماعة. وابن عباس هو الذي قال في "حديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن": الإيمان فوقه كالظلة.

قال -رحمه الله-: ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها؛ وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار. وهذا الكلام على مسألة اعتقاد أهل السنة والجماعة فيمن يقع في الكبائر. وهنا يريد أن يقول المبينة بين اعتقاد أهل السنة والجماعة وبين اعتقاد أهل البدع والضلالة:

- فالخوارج يكفرون بالمعصية وينظرون بعين عوراء.

- والمرجئة يجعلون أحاديث الوعيد متقدمة، فيقولون لا يضر مع الإيمان ذنب.

- وأهل السنة والجماعة ينظرون بعينين جميلتين يأخذون الحق من هنا والحق من هنا ويستندون إليه، فيقولون العاصي الذي أذنب فإنه لا يخرج من الإيمان إلا إذا دل الدليل أوضح من شمس النهار على خروجه من الإيمان، وما زال في دائرة الإسلام وإن أتى كبيرة أو أتى صغيرة.

الأصل في ذلك أن نقول: قسم الله في كتابه وقسم النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته المعاصي إلى: كبائر وصغائر. وقال الله جلّ في علاه: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ **نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**) [النساء:31]؛ فسمّى الصغيرة سيئة وسمّى الكبيرة كبيرة، وقال الله جلّ في علاه: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) [النجم:32]. وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **اجتنبوا السبع الموبقات**؛ أي الكبائر السبع التي قد ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم-، المهلكات.

والحق بأن نقول المسألة في الإيمان؛ الكبائر أو الذي فعل الكبيرة:

- قال بعض أهل السنة والجماعة: يخرج من دائرة الإيمان، لا يسمّى مؤمناً، يسلب منه اسم الإيمان لقول الله جلّ في علاه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات:6] قالوا خرج بكبيرة من الإيمان إلى الفسق، سلب كما قال الله جلّ في علاه: (بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) [الحجرات:11].

- وجمهور أهل السنة والجماعة يقولون: يسمّى مؤمناً لكن يقال مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بتوحيده وإسلامه، فاسق بكبيرته. واعتقاد أهل السنة والجماعة: عدم خروج أحد بذنب فعله إلا أن يأتي شركاً أو يأتي كفراً.

أمّا أحاديث الوعيد في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ثنتان بأمتي هما بهم كفر؛ ذكر من النياح الموت والفخر بالأحساب أو الأنساب. وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: من غشنا فليس منا، قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: برئت الذمة ممن جلس بين أظهر المشركين. كل ذلك محتمل يعتريه الاحتمالات، وعندنا محكمات.

والمحكمات قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من قال: "لا إله إلا الله" ومات على ذلك دخل الجنة.** قال له: **وإن زنى وإن سرق؟** قال: **وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر وعلى رغم أبي ذر.** وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" دخل الجنة.** وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- للذي شرب الخمر وجاء خالد ابن الوليد في جلده فقال: لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى بك، فقال -صلى الله عليه وسلم-: **لا تلغنه، (مع أنه قال: لعن في الخمر عشر) لا تعن عليه الشيطان، ما أراه إلا يحب الله ورسوله.**

الغرض المقصود بأن هذه الأحاديث محتملات، وعندنا أحاديث محكمات. ومن تمسك بهذه المحكمات **"من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة"**، قلنا له لا بد أن تعلم أن **"من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة"** ليس معناه أنه يدخل دخولاً أولياً، لأن الله جلّ وعلا قال: **(وَأَخْرُوجَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)** [التوبة: 102]، هؤلاء في مشيئة الله جلّ في علاه. كما قال -صلى الله عليه وسلم-: **من جاء من هذه القاذورات من شيء، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فإذا أقيم عليه الحد فهو كفارة له، وإن لم يقم عليه الحد فهو إلى مشيئة الله، فهو للمشيئة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.**

فاعتقاد أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنه عاصٍ بكبيرته، فاسق بكبيرته، مؤمنٌ بتوحيده، وعند أحمد يخرج من دائرة الإيمان ينزل دائرة الإسلام، فهو ما زال مسلماً لكن يسلب عنه اسم الإيمان. الحق بأن نقول هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة مبيناً لأهل البدعة والضلالة، لأن أهل البدعة والضلالة -كما قلت- لا ينظرون إلا بعين عوراء. لذلك العينان الجميلتان ينظران فيجدان التوحيد يقولون: محل الإيمان، والعين الأخرى تنظر فتجد كبيرة من الكبائر فيقولون: فسقٌ وبعدٌ عن الإيمان، ثم قالوا يجتمع في المؤمن: بر ومعية، طاعة ومعية، إخلاص ونفاق كفر، وإيمان بشرط نفاق لا يخرج من الملة كفر لا يخرج من الملة. والدلالة على ذلك الواضحة في الجمع بين

الأمرين في رجلٍ واحد ويكون مؤمناً قول النبي: **آية المنافق ثلاث،** في رواية أخرى: **أربع، من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة من خصال النفاق كان فيه خصلة حتى يدعها.** إذاً فيه خصلة من خصال النفاق لكن الأصل عنده الإيمان، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة.

إجابة سؤال: ترك العمل كليةً من نواقض الإيمان، وأصل العمل الذي يقال به أنه قد خرج من دائرة الإسلام الأركان؛ أنه قد ترك الزكاة، والصلاة، والصوم، والحج. وجاء الخلاف على ترك الصلاة، والخلاف على ترك الزكاة، والخلاف على ترك الصيام، والخلاف على ترك الحج. بعضهم يراه مرتداً وبعضهم لا يراه مرتداً، أنا أقول لو تركها كليةً.

إجابة سؤال: الإجماع نقله الشافعي، قال: الإيمان قولٌ وعمل. قال فيها الشافعي قولاً فصلاً، قال سعيد بن عبد العزيز ومالك والأوزاعي: ولا إيمان بلا عمل. فالحق لا يقال هناك خلاف في ترك العمل، أنا لم أجد خلافاً بحال على ترك العمل. الذي قال بذلك يأتينا بقول للمتقدمين قد قالوا ذلك، ما في إلّا متأخري الأشاعرة.

إجابة سؤال: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **فيقبض الله قبضة، فيخرج كل من قال:** "لا إله إلا الله"، **ولم يعمل خيراً قط.** هل المسألة على المعرفة؟ لا، لأن الحديث جاء "من قال"؛ أي ذكر القول، والقول عمل. إذاً "لم يعمل خيراً قط" هي في نفس السياق "ليست على بابها" لأن أهل اللغة اتفقوا على أن القول عمل، هذه واحدة. الأمر الثاني؛ "لم يعمل خيراً قط": لم يتوكل على الله، لم يخف من الله، لم يحب الله، لم تكن له إنابة لله، لكان كافراً. "لم يعمل خيراً قط" أصولياً العمل هنا عموم، يعني ما في أي عمل.

أنت تقول: لا أقبل، لا بد من عمل القلب. فأنت استثنيت عمل القلب، واستثنيت القول لأن القول عمل، ولأن الحديث جاء به. قلت لك: ما دمت قد استثنيت، فإذا قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: "لم يعمل خيراً قط" لم تكن على بابها؛ "لم تكن على بابها" يعني هذا العام خُصص، فإن خصص سأقول لك ولم خصصت والأصل عدم التخصيص؟ ستقول خصصت بالدليل. سأقول لك وأنا سأخصص بالدليل؛ قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**. قال النبي: **بُني الإسلام على خمس**. فأنت إن لم تأتِ بالخمس هدمت البنيان، وهذا مخصص.

ولذلك أنت ترى في حديث الشفاعة الطويل الذي فيه "لم يعمل خيراً قط"، قال: **فيقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، يزكون معنا. الملائكة قال: يخرجونهم بما يعلمون منهم؛** الذي هو أثر السجود، فالنار حُرِّم عليها أن تأكل احداً صلى. أي هناك من صلى وزكى وهو في النار، غلبت سيئاته على حسناته. إذا ليست على بابها، فلا يصح دليل، لم يسلم من المعارضة لم يصح دليل. أنت استثنيت عمل القلب، لم؟ لا بد أن تقول للأدلة: **(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** [المائدة: 23]. سأقول لك وأنا سأقول بالأدلة: **بُني الإسلام على خمس، من تركها فقد كفر**. فاستثنيت أنا ذلك أيضاً عمل الجوارح.

لو صلى ولم يصم ولم يزكى أتى بركنين، فهو على شفير هلكة، لأن الخلاف في الصلاة وفي الصوم وفي الحج. نحن نتكلم عن رجل ترك العمل كليةً، ليس حول رجل صلى وترك الصيام أو صام وزكى وترك الصلاة، هناك الخلاف المعروف بين العلماء في ترك الصلاة. نتكلم على رجل قال: آمنت وصدقت، ولم ينقد، ما صلى لله ركعة، ما تصدق، ما طاف شوطاً. ابن تيمية يقول: **لا يمكن أن في قلبه إيمان**، بالتصريح في أكثر من موضع من كتاب الفتاوى، وفي الإيمان الأوسط والإيمان الكبير.

والحديث في مسند أحمد صريح: أخذ الرجل إلى النار، فقال: ما عملت؟ قال: لم أعمل خيراً قط، غير أنني لي عمال، فأقول: من كان معسراً فتجاوزوا ومن كان ميسوراً فيسرّوا عليه. فقال الله: أنا أحقّ بذلك منك. إذاً عنده عمل مع التوحيد.

انتِ برجل صلى ركعة وترك باقي الصلاة وطلع منها وترك الصلوات!! لن تجده. قلنا من له حسنة فله أخوات. الناس يفهموا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فهماً مغلوطاً: من لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له. العوام يفهموها أنه لو يشرب سجائر لا تصلي لأنها لم تنتهك. لكن المعنى صلّ لأن الصلاة في نهايتها ستنتهك، لأنه كلما صليت ارتفع مؤشر الإيمان وانتقص مؤشر العصيان. فيكون الفهم الصحيح: كلما تعبّدت كلما زاد الإيمان، فإذا زاد الإيمان نقص العصيان.

إجابة سؤال: رجل لا يصلي ولا يصوم ولا يحج، لكن يبر الوالدين؟

ليس بمسلم، الكافر من أبر الناس بالوالدين. الله جلّ وعلا قال لك: عندك إسلام وعندك إيمان، وأركان الإسلام وأركان الإيمان، هذه هي محل الديانة. والصيام والزكاة. الخلاف ظهر في الأحاد، فكيف إن ترك الكل؟ والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **بني الإسلام**. فالدين: أركان الإسلام وأركان الإيمان. لأن الدين مراتب ثلاثة: إسلام، إيمان، إحسان. الإحسان ليس فيه كفر -طبعاً دعك من الاستحلال-، لكن الإسلام والإيمان فيه الكفر.

لو ترك ركناً من أركان الإيمان فقد كفر، كما قال رجلٌ منهوَك: من قال: "لا إله إلا الله" ولم يؤمن بمحمد وآمن بأي نبي دخل الجنة. بذلك جعل الإيمان بمحمد اختياراً، لا إجباراً، وهذا لا يمكن بحال من الأحوال أن تقول هذا مؤمن، اختل ركنٌ من أركان الإيمان عنده. لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.

وأيضاً أركان الإسلام؛ إن ترك الأركان المباني الخمس فليس بمسلم. وهذا كما قلت: من قال فيه خلاف فعليه أن يأتي ببيان، فإن أتى بالبيان وعنده الدليل سمعنا وأطعنا، ومن لم يكن عنده الدليل فلا. الشبه والاحتمالات حتى كثير ممن يتبنون أشياء ليست من عقيدة أهل السنة والجماعة لهم أدلة كثيرة عليها، لا تجد أحداً يتكلم بقول إلا وله عليه دليل.

إجابة سؤال: أنا أحكم بإسلامه ويعرض عليه الشرائع، فإن أبى خرج، فلا بد أن يقبل الشرائع. الدليل: قال: دعني أضرب عنق هذا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أليس يصلي؟ قال: وكم من مصلي يقول بلسانه ما لا يقول في قلبه. قال: ما أمرت أن أشق على القلوب.

إجابة سؤال: نواقض الإسلام المباني الخمسة، فمن قال: "لا إله إلا الله" ولم يأت بالمباني الأربعة كيف يكون مسلماً؟ قوِّض أركان الإسلام. إذا الإسلام البنائية الكاملة على الخمس، بُني الإسلام على خمس. فالنبي -صلى الله عليه وسلم-، دخل الرجل ورآه أنه سلم بعدما صلى، قال: لِمَ لم تصلي؟ أَلست بمسلم؟ جعل علامة الإسلام الصلاة.

إجابة سؤال: قل لي بسند صحيح في كتاب كذا من أهل السلف من المتقدمين قال: تارك المباني الأربعة ليس بكافر!! انتني به وأنا والله أنقاد لك منصاعاً وأبيته إنصافاً أقول: إذاً قد ورد الخلاف. لكن ورد الكلام كله عن السلف أنهم قالوا: المباني الأربعة أصل الإسلام، فلا بد أن نرجع لكلام السلف. هم أعلم، هذه عقيدتنا، وعلمنا الذي نتعلمه هو هذا: ما جاء عن السلف سمعنا وأطعنا.

إجابة سؤال: ورد الخلاف في الصلاة وفي الزكاة. ورد الخلاف في آحاد المباني، فما بالك في الأربعة؟ فالخلاف سينتقل إلى الاتفاق. لأنه لو قلنا: رجحنا أنه يخرج من الملة إذا لم يصلي، يأتي الثاني يقول: رجحنا أنه لو خرج من الصيام فهو كافر، بالتالي لا بد من قول من الأقوال بأنه سيخرج سيخرج. الأعمال النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّنها، قال: **الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها "لا إله إلا الله"، وأدناها "إمطة الأذى عن الطريق"**. وكما وصف ابن تيمية، قال: **ومن الأعمال ما يكون مؤثراً تأثيراً بالغاً في الشهادة (التي هي الأصل)، ومن الأعمال من يكون بعيداً فلا يكون مؤثراً في الأصل،** لكن يؤثر في الكمال. فالعمل عندنا: أصل ومكمل. والذي يؤثر الأصل هو الأصل، والذي يؤثر في المكمل هو البعيد. لذلك بحثنا عن الأصل الذي يؤثر في الأصل، فما وجدنا إلا المباني الخمسة بنص صريح من النبي: **بُني الإسلام على خمس**، فلو لم تكن الخمس موجودة انهدم البنيان.

ولذلك ابن القيم لما أراد أن يميل القول لتكفير تارك الصلاة، قال: **والصلاة أقرب ما تكون لـ "لا إله إلا الله"**، فنزعها يؤثر في هذا الأصل. إذاً المسألة على أنه ليس كل عمل تركه يخرج به المرء من الملة. مثلاً الصدق من أعمال المؤمنين، وممكن أن تجد كافراً صادقاً أي فيه خصلة من خصال الإيمان، لكن الأصل عنده ذاهب. لكن نحن نتكلم على الأصول التي تؤثر في الأصول.

أنا أتيت بالإجماع على العمل كليةً، فأنت تعلم أن السلف لما تكلموا في العمل بأن العمل منه ما هو أصل ومنه ما هو مكمل، وهذا ورد في كلام السلف. ممكن آتي لك بالإجماع من إسحاق والأوزاعي وغيره قالوا على الصلاة، ثم قالوا في العمل كليةً، أي أنه لو لم يعمل يكون مؤمناً. ونقل في الإيمان في الكبير أو في الإيمان الأوسط، قال فيه ابن تيمية القول الذي قلته لك؛ فلم يسجد لله سجدة لم يتصدق له صدقة، وتكلم على هذه المباني. ابن تيمية المسألة المشهورة اسمها جنس العمل، قال بأن: **جنس العمل هي المباني**

الأربعة. فالمسألة ظاهرة في هذا بقوله النبي -صلى الله عليه وسلم-: **بُني الإسلام على خمس.**

وطبعاً إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة ممكن ننازع فيه، لكن الحق الإجماع. أبو سلمة قال: **ما كان الصحابة يرون شيئاً تركه كفر غير الصلاة.** ولما قال أبو بكر: **والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة وبين الزكاة.** لكن الحق آحاد الصلاة الخلاف فيها وارد؛ هناك من يكفر، هناك من لا يكفر. المعترف بالصلاة والمعترف بالمباني الخمسة ولم يصلي غير معترف، اعترافه عند الله غير مقبول.

إجابة سؤال: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات:14]؛ ما نفى عنهم أصل الإيمان، أصل الإيمان معهم وهو الإسلام. ومن قال بأن الآية نزلت المنافقين خطأ.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس السادس:

الحمد وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى، لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى، وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفاء، أما بعد إخواني الكرام: ما زلنا مع عقيدة السلف أصحاب الحديث، وأيضاً أصول الفقه والمصطلح.

١ - حكم تارك الصلاة:

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً، فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف -رحمهم الله أجمعين- وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **بين العبد والشرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر.**

وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف -رحمة الله عليهم أجمعين- إلى أنه لا يُكفر به ما دام معتقداً لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجب المرتد عن الإسلام. هنا في مسألة القتل لا الحكم، يعني يُقتل حداً لا يُقتل ردةً، وهذا عند الجمهور خلافاً للأحناف.

وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: **(إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)** [يوسف:37]. ولم يكُ تَلَبَّسَ بكفر فارقه، ولكن تركه جاحداً له.

هذه مسألة مهمة جداً، مسألة الصلاة. والصلاة ركنٌ ركين من الدين، والصلاة هي أعظم أركان الدين، وهي الصلة بين الرب وبين العبد. لذلك قال علماؤنا: أعظم أركان الدين على

الإطلاق بعد الشهادتين، الصلاة. وقد جعلها الله على مفارقة بين أهل الإيمان وأهل الكفران والعصيان عندما قال: **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر.**

واختلف العلماء في حكم تاركها بعدما اتفقوا، فاتفقوا على أن من ترك صلاةً حتى ولو صلاتها جاحداً بها كفر. والكفر هنا كفر الجحود: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)** [النمل:14]، فيكون باب الكفر الذي كفر منه هو الجحود، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة. واختلفوا فيما بينهم فيمن تركها تكاسلاً، هل يكفر بذلك أم لا؟ وسبب اختلافهم الأدلة التي جاءت تصرّح بأن ترك صلاة كفر، وأن ترك الصلاة أيضاً شرك.

واحتج الجمهور بأدلة عامة على عموم الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين، فقالوا قد قال الله جلّ في علاه: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** [النساء:48]، قالوا والصلاة ليست بشرك، إذاً فهي تحت المشيئة وما كان تحت المشيئة دلالة واضحة على أن صاحبه لا يكفر. كما هو ما دام يرى سبيله إلى جنة أو إلى نار فهذا مسلم، لأن الكافر ليس له سبيل إلا سبيل واحد ألا وهو النار. قالوا أيضاً عندنا من السنة أحاديث، فذكروا منها حديث النبي صلى الله عليه وسلم- عن حذيفة أنه قال: **يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب، فلا يبقى إلا طائفة من الناس يقولون: الله الله أو يقولون: لا إله إلا الله.** فقال له صلة ابن زفر: أو تغنيهم " لا إله إلا الله " ولا يدركون لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة؟ لأن حذيفة قال: هذه الطائفة ليس لهم إلا أن يقولوا " لا إله إلا الله " ولا يدركون لا صلاة ولا صيام ولا زكاة. قال: تنجيهم يا صلة، تنجيهم يا صلة، تنجيهم يا صلة.

لذلك احتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم-: **من قال " لا إله إلا الله " خالصاً من قلبه دخل الجنة.** واستدلوا على ذلك أيضاً بحديث (أنا أقول ذلك إجمالاً) عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **خمس صلوات في اليوم والليلة، فمن أحسن وضوءهن وأتم خشوعهن**

وركوعهن وسجودهن كان له عهدٌ عند الله أن يُدخله الجنة. ومن لم يفعل فليس له عهد عند الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. يحتجون بهذا الحديث. أين وجه الشاهد؟ وأين وجه الدلالة؟ وجه الشاهد: **إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**، وجه الدلالة: أنه تحت المشيئة. ولا ينزل تحت المشيئة إلا من كان موحدًا، لأن الله جلّ وعلا قال: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** [النساء:48]. فدلّوا في هذا الحديث أيضاً على ذلك، قالوا: والأصل ثبت إسلامه بيقين، فلا يخرج منه إلا بيقين. ولهم أدلة أخرى لا تُعرج عليها، هذه عمدة الأدلة التي يستدلون بها. وقد ردوا على المخالف بأحاديث: **من ترك الصلاة فقد كفر**، قالوا: هنا معناها كفر كفوفاً أصغر. قالوا **"من ترك الصلاة فقد كفر"**، هذا كفر دون كفر كما سنبين.

أما الآخرون فهو قول الإمام احمد، وهو قول محققو الشافعية كإمام الأئمة محمد بن خزيمة قال: **ترك الصلاة كفر، من ترك الصلاة فقد كفر**. وعمدة أدلتهم من الكتاب ومن السنة؛ من الكتاب: قال الله جلّ في علاه: **(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَائُكُمْ فِي الدِّينِ)** [التوبة:11]، أين وجه الشاهد ووجه الدلالة من هذه الآية الاتي يُستدل بها على كفر تارك الصلاة؟ وجه الشاهد: **(فَأِخْوَائُكُمْ فِي الدِّينِ)**، ووجه الدلالة: مفهوم المخالفة، الإخوة في الدين تدل على الإسلام، عدم الإخوة في الدين تدل على الكفر. فالمنطوق يقول هو أخي في الدين إذا أقام الصلاة وآتى الزكاة فإن لم يفعل ليس بأخ في الدين. واستدلوا على ذلك أيضاً بقول الله جلّ في علاه: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)** [المدثر:42-43]، استدلوا بها أيضاً على كفر تارك الصلاة.

وعممة ما يستدلون به الحديث في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**، وهناك رواية أخرى قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم-: **بين المرء وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**، قالوا إذاً ترك الصلاة كفرٌ وشرك. استدلوا على ذلك أيضاً بحديثٍ (وإن كان فيه ضعف) بأن في تفسير قول الله جلّ

وعلا: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) [مريم:59]، قالوا: ولا يلقي غيًّا إلا الكافر. قالوا إن تارك الصلاة وصفه النبي صلى الله عليه وسلم- أنه مع قارون وهامان وأبي جهل. وأيضاً قالوا بأن عمود الدين ركنه الركبن الصلاة، فمن تركها فقد هدم الدين. هذه جملة الأدلة التي يستدل بها من قال بكفر تارك الصلاة.

إذاً عندنا قولان:

- قولٌ يقول ترك الصلاة كفر.

- وقولٌ يقول ترك الصلاة فسق، قال: شفير هلكة، لكن ليس بكفر.

قال الجمهور تأويلاً لهذه الأحاديث: كل كفرٍ ذكر في ترك الصلاة فهو كفرٌ دون كفر. يسمونه كفر النعمة، قالوا: لا سيما وأن الله جلّ في علاه قد قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء:48].

وأما الفريق الآخر فقد قال: كل ما استدل به الآخرون هو صحيح ولكن ليس بصريح (يعني ما استدلوا به من حديثٍ صحيح السند ليس بصريح في الدلالة، بل الاحتمال يعتريه)، وما استدلوا به مما هو صريح فليس بصحيح، إذاً لا تقوم لهم حجة. قالوا أولاً قول حذيفة عندما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب، ما يبقى إلا ما قلة باقية من أهل الإسلام (أو طائفة من أهل الإسلام) يقولون: الله الله، لا إله إلا الله. لا يعرفون صلاةً ولا زكاةً ولا صوماً، وتنجيهم "لا إله إلا الله". لأن الحديث أول السياق يثبت ذلك، قال: يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب. معنى ذلك أن أحكام الإسلام تَنَدَرَس، والله جلّ في علاه قال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن:16]، وقد قلنا بأن الأصل في هذه الديانة العذر بالجهل ولا إقامة حد إلا ببيّنة، قال الله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)

[الإسراء:15]. فإن دَرَسْتَ أحكام الإسلام ما بقي إلا "لا إله إلا الله" فقد أتى بما عليه، (فَأَنْتُمْوَا
اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن:16]، إذاً الحديث ليس في النزاع.

وقالوا: وأيضاً السياق في الحديث يثبت أن الصحابة والتابعين يعتقدون كفر تارك الصلاة.
كيف؟ صلة بن زفر تلميذ لحذيفة، إذاً كيف يراجع حذيفة إلا بعلم والعلم علمه حذيفة؟ وهذا
الكلام قاله الحافظ ابن حجر في الفقه. لذلك صلة بن زفر قال: كيف تنجيهم؟ وقد تعلمت منكم
بأنه لا ينجو المرء إلا بالصلاة، فكيف تنجيهم بلا صلاة؟ فكان حذيفة قال: هي حالة خاصة
في هذا الزمان. لذلك قال: انتبه يا صلة. تنجيهم يا صلة، تنجيهم يا صلة، تنجيهم يا صلة.
يعني في هذه الحال، في هذا المقام، في هذا الوقت.

الذين قالوا بكفر تارك الصلاة استدلوا بأدلة عامة أو أدلة كما قلنا محتملة، ليست أدلة
صريحة. فالأدلة يعني ليست صريحة، وإن كانت صحيحة.

أيضاً ردوا على استدلالهم بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **خمس صلوات في اليوم
والليلة**. قالوا: هذا الحديث وهذا الدليل هذا دليل خاص، وليس الكلام على ترك الصلاة. هذا
دليل يوضح لك ان للصلاة لها آداب وواجبات وأركان وهيئات وسنن. **فمن أتمهن كان له
عهد عند الله أن يدخله الجنة**. هل قال: فمن لم يفعل؟ يعني فلم يتم ركوعهن وسجودهن، فلم
يسبغ الوضوء لهن، فلم يأت بالخشوع المطلوب حالة كونه مصلياً، فهذا ليس له عهد. إذاً
الحديث لم يتعرض للترك، الحديث بأسره يتكلم شيء واحد وهو الآداب والواجبات والأركان
والسنن والهيئات التي لا بد أن يأتي بها المرء.

وأيضاً استدلالهم بقول الله جلّ في علاه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء:48]، أنتم تستدلون بالآية ونحن نستدل بها. قالوا كيف؟ قلنا أنتم تستدلون بالآية على أن ترك الصلاة ليس بشرك فهو في المشيئة، ونحن نقول ترك الصلاة شرك. قالوا كيف؟ قلنا بصريح قول النبي صلى الله عليه وسلم:- **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**، فهي كفر. وأيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم:- **بين المرء وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**. إذاً الحديث صريح بأن ترك الصلاة كفر وشرك. ينزل تحت قول الله جلّ وعلا: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء:48].

إذاً الراجح الصحيح الذين أدين الله به هو كفر تارك الصلاة، فتارك الصلاة كافر. لكن الكلام على أي ترك يكون كفر: بعض الحنابلة لا يرون ترك صلاة واحدة يكفر بها، لذلك لا تستغربون من فتوى الشيخ ابن باز رحمة الله عليه- علامة لأنه قال: من نام من الليل وضبط آلة التنبيه على وقت بعد شروق الشمس ولم يصلي الفجر فهو كفر. طبعاً قامت الدنيا ولم تقعد على هذه الفتوى؟ التخريج أولاً: التأصيل العام ترك الصلاة كفر، والخلاف بأي ترك:

- بعضهم قال بخمس صلوات، يعني لم يصلي يوم وليلة.

- بعضهم قال بترك صلاة العصر أصالةً.

- وبعضهم قال بترك صلاة واحدة من أي الصلوات. وهذا الذي رجّحه الشيخ ابن باز، وقال: إذاً ترك الفجر، لا سيما والله جلّ وعلا قال: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) [الإسراء:78] وقول النبي وقول النبي صلى الله عليه وسلم:- **من صلى البردين دخل الجنة**. إذاً قالوا يكفر بذلك.

أنا أدين الله بأن الترك الذي يكفر به صاحبه هو الترك كليةً، لأنه في اللغة لا يستقيم أن يوصف المرء بأنه تارك إلا أن يترك كليةً لقول النبي صلى الله عليه وسلم:- **العهد الذي**

بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر. فلا يكون تاركاً إلا أن يترك كلياً، وبهذا نحن رجحنا القول الراجح.

في حكم تارك الصلاة بعدما انتهينا من الترجيح، أخونا الفاضل ذكّرنا أيضاً بدليل يتمسكون به، وليس لهم مستمسك فيه. هو حديث: **من قال "لا إله إلا الله" دخل الجنة**. كل هذه الأحاديث المطلقة في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من قال "لا إله إلا الله" دخل الجنة**، مقيدة بالصلاة. يعني حديث: **شفعت الملائكة شفع الانبياء والمرسلون وشفع المؤمنون**، بقيت شفاعة أرحم الراحمين. فيقبض قبضة، فيخرج من النار من قال **"لا إله إلا الله"** ولم يعمل خيراً قط.

أولاً عندنا قاعدة أصولية عند العلماء يقولون: **السياق من المفسرات ومن المقيدات**. في سياق الحديث عند الشفاعة، الملائكة يأمرهم الله جلّ في علاه بعد ما يشفعون لأهل الإيمان أن يخرجوا من عرفوا منهم من النار، والملائكة لا تعرفهم إلا بأثر السجود، إذا كانوا يصلون. الأنبياء والمرسلون. أما المؤمنون فيعرفونهم، لأنهم عاشوا معهم في الدنيا، لكن ماذا يقولون؟ يقولون: **ربنا هؤلاء إخواننا كانوا يصلون معنا، يحجون معنا، يزكون معنا**. إذاً السياق كله على أنهم في النار مع أنهم كانوا يصلون. فلما يقول الله جلّ في علاه: **فيخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" ولم يعمل خيراً قط**، مقيدة بالسياق.

فيقال: يخرج منها من قال **"لا إله إلا الله"** ولم يعمل خيراً قط إلا الصلاة. قالوا لم؟ قلنا لأن الجميع يتفوقون على أنه لا يخرج من النار اقر بقلبه ولم يعمل عمل القلوب. إذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يُخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" ولم يعمل خيراً قط**، إلا أعمال القلوب: **إلا التوكل: إلا الخشية، إلا المحبة، إلا الانابة**. **(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** [المائدة: 23].

إذا أنت ستقول: لم يعمل خيراً قط إلا أعمال القلوب. من أين؟ قال: من الأدلة: (وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة:175]، قال: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة:23]. إذا لما تقيّد ونقول إنها ليست على بابها، نقول: وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تركها فقد كفر. إذا ليس هو من حديث القبضة، فالقبضة لا يخرج منها إلا موحد، والكافر ليس بموحد. ومن ترك الصلاة فقط كفر، بل وقد أشرك: بين المرء وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة. فهذا الرد عليه، فالحديث ليس معهم في هذا الباب.

٢ - خلق أفعال العباد:

يقول الإمام الصابوني رحمه الله- في باب أكساب العباد مخلوقة: ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه.

قال: خلق أفعال العباد، وهذا الباب من أبواب القدر. وهذا متفق عليه عند أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد مخلوقة لله جلّ في علاه، وأنها مفعولة له، وأن هذه الأفعال قد أتى بها المكلف حقيقةً. والأدلة على ذلك قول الله جلّ في علاه: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات:96]؛ في بعض تفاسير أهل العلم قالوا: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)، "ما" هنا اسم موصول، و"ما" مصدرية. لكن الشاهد في خلق الأفعال أنها مصدرية؛ الله خلقكم وأعمالكم، الله خلقكم وخلق أعمالكم. وإن كان الراجح فيها أنها اسم موصول، الله خلقكم والذي تعملون.

ما الفرق بين أن تكون موصولة وأن تكون مصدرية؟ قال: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)، إن كانت مصدرية: الله خلقكم وأعمالكم. (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) إن كانت موصولة: والذي تعملون. الموصولة تتضمن المصدرية، بمعنى قال الله جلّ في علاه: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ)، والذي تعملون. الذي يعملون أنهم صنعوا هذا. فالله يقول أنت مخلوق وهذا مخلوق لله، يعني ثمارك نتاج عملك مخلوق لله. فإن كان ما تعمل أنت نتاجاً مخلوق لله، فمن باب أولى عملك الذي أنتج هذا مخلوق لله.

نقول (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**) "ما" موصولة، الموصولة تتضمن المصرية. ما معنى الموصولة؟ والله خلقكم والذي تعملون. هذا اللابتوب من صنيع رجل من الرجال، الله خلق هذا الرجل، والرجل صنع اللابتوب. الله خلقه واللاب المصنوع منه مخلوق لله. من الذي خلق الآلة؟ الله. من الذي خلق المادة المصنوع منها اللاب؟ الله. من الذي خلق العقل ليفكر لينتج ذلك؟ الله. من الذي خلق الإرادة في الإنسان ليفعل ذلك؟ الإنسان فقط صانع مُغَيَّر مُحَوَّل، يحول الحديد إلى لآب، فقط.

فيكون هنا الـ"ما" إن كانت اسم موصول تضمنت المصدرية، لأنه لو قال ثمار ما فعلت مخلوق لله، إذاً فعلك من باب أولى مخلوق لله، (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**). وقال النبي صلى الله عليه وسلم:- **إن الله خلق كل صانع وصنعه**. وقال علماءنا: قد أجمع أهل السنة والجماعة بأن الله خلق أفعال العباد بما فيها من الخير والشر، وبما فيها من البر وغير ذلك، وأنها مخلوقة حقيقة لله وأنها منسوبة للعبد فعلاً حقيقةً. لذلك نقول أمّا الفعل فينسب لله وينسب للعبد، كما أن المشيئة (أي مشيئة العبد) تنسب لله وتنسب للعبد. كيف؟ (**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) [التكوير:29]، فتنسب لله خلقاً وإيجاداً، وتنسب للعبد فعلاً واكتساباً.

فشرب الماء، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج... تنسب للعبد فعلاً واكتساباً، والأدلة؛ قال الله جلّ في علاه: (**أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) [الأعراف:43]، فنسب لهم العمل. وقال الله جلّ في علاه: (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**) [الروم:41]، فجعل الكسب منهم. قال: (**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ^ط وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**)

[النساء:79]، إذاً الفعل ينسب للعبد فعلاً واكتساباً، فهو الفاعل حقيقةً. وينسب للرب خلقاً وإيجاداً، لأن الله خلقه أوجده من العدم حقيقةً.

٣- الهداية والإضلال من الله وحده:

قال الإمام الصابوني رحمه الله:- ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه. قال الله عز وجل: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام:149]، وقال عز وجل: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [السجدة:13]، وقال عز وجل: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) [الأعراف:179].

فسبحانه خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين: فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً للجحيم عدلاً. وجعل منهم غويّاً ورشيداً، وشقيّاً وسعيداً، وقريباً من رحمته وبعيداً. (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:23]، (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف:54]. قال عز وجل: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) [الأعراف:29-30]. وقال عز وجل: (أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) [الأعراف:37]. قال ابن عباس رضي الله عنهما:- هو ما سبق لهم من السعادة والشقاوة.

عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد. فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له

في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

قال: والهداية والإضلال بيد الله جلّ في علاه. وهذا حق، فلا هادي إلا من هداه الله، ولا ضال إلا من أضله الله جلّ في علاه على علم وقد استحق الضلالة. والهداية محض فضل من الله جلّ في علاه، والهداية تنقسم إلى هدايات أربع: هداية عامة، وهداية خاصة، وهداية أخصّ الخاص، وهداية رابعة ليست في الدنيا ولكنها في الآخرة.

الهداية العامة، هي الهداية التي هدى بها الخلق أجمعين بكيفية العيش في هذه الحياة والاستمرار فيها، كإتيان الرجل أهله وكمعرفة كيفية المعاش والمآكل والمشارب وغير ذلك من الأمور التي يتعلمها كل خلق الله جلّ في علاه، ويهدي الله كل الخلق لذلك. هذه هداية عامة.

وأما الهداية خاصة وهي هداية للتقلين: للجن والإنس، لقضية الكون الكبرى، وهي الهداية إلى القضية العظمى لهذا الكون، الهداية إلى تحقيق توحيد الله جلّ في علاه. قال الله في علاه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]، قال ابن عباس: **إِلَّا لِيُوحِدُونَ**. قال الله جلّ في علاه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل:36]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله"**، قال أيضاً عندما بعث معاذاً إلى اليمن: **فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحّدوا الله**، في رواية: **إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً**. فهذه نداء هداية لتحقيق التوحيد، وهي هداية الإرشاد والبيان والدلالة، وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب.

هذه الهداية هي التي نص عليها الله في كتبه وأرسل بها رسله، كما قال الله جلّ في علاه: **(وَأَمَّا تَمْوُدُ فَهَدَيْنَاهُمْ)** [فصلت:17]، يعني دللناهم على الحق والطريق القويم والشرع المستقيم. قال: **(فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)** [فصلت:17]، **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** [الإسراء:23]. هذه الهداية من الله جلّ في علاه وهي أيضاً من الرسول، فإن الله جلّ في علاه أوكل لرسوله الهدي للهداية عندما قال الله جلّ في علاه: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)** [النحل:44]، هذا به الهداية. ولذلك قال الله جلّ في علاه: **(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [الشورى:52]. ولذلك قال: **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)** [البقرة:119]، "بَشِيرًا وَنَذِيرًا" هي مادة الهداية، فيها الترغيب وفيها التهيب، والكلام على الطريق القويم وعاقبته، والكلام على طريق الرحمن وعاقبته، وطريق الشيطان وعاقبته، وهذه الهداية الثانية.

والهداية الثالثة هي هداية القلوب، وهذه لا يملكها إلا الله جلّ وعلا. قال الله جلّ في علاه: **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** [الأنعام:125]، قال الله جلّ في علاه في سورة الكهف: **(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)** [الكهف:17]. وهذه هداية القلوب لا يملكها إلا رب القلوب، **إن الله يحول بين المرء وقلبه**. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**، فأیما قلب أراد الله أن يقيمه أقامه، وأیما قلب أراد أن يزيغه أزاعه. لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يقول: **إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي**، لا أحد يستطيع له فتنة.

وأما الإضلال فهو بيد الله، الله جلّ وعلا يهدي من يشاء، كما أنه يضل من يشاء. ولكن يضل من يشاء على علم وحكمة، ليست المسألة على التشوي. قال الله جلّ في علاه: **(وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)** [الجاثية:23]، قال الله جلّ في علاه: **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)**

[الأنعام:125]. ولذلك قال الله جلَّ على لسان نوح: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ) [هود:34]، وأيضاً قال الله جلَّ في علاه: (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) [المائدة:41].

لذلك نقول الهداية بيد الله، والإضلال بيد الله، والقلوب بيد الله جلَّ في علاه. تدلك على أن الإنسان أفقر ما يكون لله جلَّ في علاه، يحتاج للهداية وللتوفيق، يحتاج بعد الهداية الثبات على الهداية، لأن الإنسان يزيغ قلبه ويتقلب عليه في اليوم والليلة أكثر من مئة مرة. فلا بد من إقامة القلب، ولا يكون إقامة القلب إلا بالله. لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **قال الله تعالى: عبادي كلهم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم.** وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **قال الله تعالى: فإنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياه، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.** فالهداية والإضلال بيد الله جلَّ في علاه.

اختلفت الطوائف في هذا الباب على أقوال ثلاثة، والكلام على خلق أفعال العباد:

١ - أهل السنة والجماعة يقولون بأن الله خلق أفعال العباد، وأن أفعال العباد منسوبة لله خلقاً وإيجاداً ومنسوبة للعبد فعلاً واكتساباً.

٢ - وقالت المعتزلة الضالة بأن الله لم يخلق أفعال العباد، وأن الهداية بيد العبد، وأن الإضلال بيد العبد. لذلك الله ألزموا بالثواب والعقاب، قالوا يلزمه أن يثيب الطائع، ويلزمه أن يعاقب الضال. وهذا سوء أدب مع الله ورسوله، بل هذا من الكفر أيضاً لأنهم جعلوا خالقين مع الله، والله يقول: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات:96]. كذلك قالوا بأن الهداية والإضلال ليست بيد الله؛ المصلي ما صلى إلا من نفسه، والعاصي ما عصي إلا من نفسه ولا يتحكم الله فيه.

٣ - ثم جاءت طائفة أخرى وهي الطائفة الجبرية، المخالفة لطائفة المعتزلة. قالوا بأن الطاعة والمعصية لا تنسب للعبد، حقيقة هي للرب. وهؤلاء أسوأ قولاً من المعتزلة. الأشاعرة جبرية

تصريحاً. فلذلك قال قائلهم لما قال الله تعالى منكراً على إبليس: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ
بِيَدَيَّ) [ص:75]، قال: لو كنت مكانه لقلت أنت. لذلك (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ)
[الزخرف:20]، كذبهم الله: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) قُلْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) [الأعراف:28]، هذا ضلالٌ مبين. منهم أنهم يقولون بذلك.

فاذاً الطوائف في الهداية والإضلال ثلاثة:

- أهل السنة والجماعة يقولون الهداية والإضلال بيد الله.
- وأهل البدع والضلالة على طائفتين:
 - طائفة تقول إن الهداية والإضلال بيد العبد، فجعلوه خالقاً لهديته أو لإضلاله.
لذلك ألزموا الله الثواب والعقاب، وهذا سوء أدب مع الله.
 - وطائفة أخرى منكراً في القول وزوراً، قالوا الفعل من الهداية والضلال (يعني
الزنا والسرقه وكل ذلك)، كل ذلك هو فعل الرب حقيقةً، وينسب للعبد مجازاً.

لذلك هم يقولون لما تأخذ الحجر وتلقي به على هذه الساعة. ماذا سيحدث الساعة؟ تنكسر. ما
الذي كسر الساعة؟ الحجر. يقولون: لا، الحجر يكسر، انكسر الزجاج عند التقاءه بالحجر.
طب من الذي كسره؟ الله، خلقاً وإيجاداً، ونسبة الكسر للحجر واقعاً. لذلك قالوا من نفى
الأسباب فهذا قطع في عقله. رجل جالس في صحراء، يقول: ربي غداً سأنجب مئة رجل
يقاتلون في سبيلك، يتعلمون علماً فينشرونه. وهو في الصحراء ليس معه امرأة، وليس معه
من تحمل. كيف سيأتي بمئة رجل؟ سيجامع الرمال وينشأ لنا مئة رجل من الرمال؟! هذا لم
يأخذ بالسبب وقال: لو قدر الله الولد لكان -هذا قدح في العقل- ولو اعتقد في السبب فهذا قطع
في التوحيد

إذاً الهداية والإضلال بيد الله جلّ وعلا. ثم جمع لنا حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين**. ذكر بأن الملك يأتي يكتب الرزق والأجل والعمل وشقي أم سعيد. هذا باب من أبواب القدر، وهي باب الكتابة. وللقدر مراتب أربعة كما قلنا: **علمُ فكتابةٍ فإرادةٌ فخلق** (التحقيق والتصور النهائي):

- علمٌ: وأن الله يعلم كل شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون. قال الله جلّ في علاه: **(الله الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)** [الطلاق:12]. وعلمٌ آخر هو علم الغيوب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، **(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)** [النمل:65].

- والثانية علمُ فكتابة: والكتابة كتابات، والأصل في الكتابة أنها قبل الخلق، لذلك قال: **يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين**. قال الله جلّ في علاه: **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)** [الأنبياء:105]. وطالما الحديث يتكلم عن الكتابة فنفضّل القول فيها؛ الكتابة كتابات:

■ كتابةٌ أزلية وهي كتابة اللوح المحفوظ.

■ وكتابة عمرية وهي كتابة الملك حين يكون جنيناً في بطن أمه المكلف، فيأتي الملك فيقول: ربي نطفة؟ ربي مضغة؟ ربي علقة؟ قال: ربي الرزق؟ ربي العمل؟ رب الأجل؟ ربي شقي أم سعيد؟ يكتب هذه الأربعة: رزق، عمل، أجل، شقي أم سعيد. لذلك ابن مسعود قال: **السعيد من وعد بغيره والشقي من شقي في بطن أمه**، لذلك كان

إبراهيم بن أدهم يغلق عليه الباب ويبيكي فيسألونه، فيقول: **لا أدري! كُتبت يوم كتب الملك وأنا في بطن أمي كنتني شقياً ام سعيداً.** هذه الكتابة العمرية، كتابة الملك.

■ والكتابة العامية، كل عام يكتب ما في هذا العام. (وكل هذه الكتابة الكتابات تعرض على اللوح المحفوظ، كأنهم يستنسخون منه). الكتابة العامية وهي في ليلة القدر كما قال ابن عباس في قول الله جلّ في علاه على الليلة المباركة: **(فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)** [الدخان:4]، قال ابن عباس: يكتب الحاج والجنين في بطن أمه، والذي يموت والذي يحيا والذي يكن له الغنى والذي يكون له الفقر، يكتب العز لفلان ويكتب الذل لفلان، ويأتي الله جلّ في علاه الملك لفلان، ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، كل ذلك يكتب في ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم.

■ والكتابة اليومية بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار فيجتمعون في الفجر وفي العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم، فيكتبون أعمال العباد. فيسألهم الله: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: جنناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون، يعني في خير وعلى خير.** لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من صلى البردين دخل الجنة.**

(تابع لأقسام الهداية) ممكن تكون الهداية الخاصة للأنبياء أنه جعلهم رسل، لكنها داخلة تحت هداية القلوب. ما ذكرنا الهداية الرابعة:

والهداية الرابعة في الآخرة، أن يهدي الله أهل الجنة الى أماكنهم في الجنة. يمر رجل ويمشي إلى قصره يعرفه أعظم من معرفته لبيته في الدنيا، فيهديه الله فيذهب إلى قصره في الجنة هدايةً من الله جلّ في علاه، مكافأةً له.

إذا ما زلنا في الكتابة، وهذه الكتابات تدل على أن الإنسان قد كتب الله له كل شيء، وعُرف أهل الجنة من أهل النيران. ولذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في رواية: **أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب كل شيء.** لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب (وهو الكتاب في اللوح المحفوظ)، قال: فيعمل بعمل أهل النار.**

لكن السياق يدل على غير ذلك، في حديث "يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين". قال: **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار أو أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب، أي كتاب؟ المقصود بالكتابة هنا كتابة الملك، وهي موافقة للوح المحفوظ. لكن كتابة الملك يمكن أن تتبدل وأن تتغير، وليس هذا على الغالب. الغالب أنها موافقة، (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ) [الجاثية: 29]، استنساخ، فهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير في الغالب، لكن يمكن لها التغير والتبديل.**

وكما قلنا الفهم الدقيق جاء من كلام عمر، عندما طاف بالبيت وقال: **والذي نفسي بيده إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ثم قال: لولا رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك، ثم دعا وبكى وقال: اللهم إن كنت قد كتبتني شقياً (يعني في صفح الملائكة) فامحها واكتبني سعيداً. وقرأ (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [الرعد: 39]، أم الكتاب يعني اللوح المحفوظ.**

قال: **فيسبق عليه الكتاب.** وهذا صراحةً فيه ما فيه من الإشكال عند الناس، لأن الاعتقاد السديد يقول: بأن من عاش على شيء مات عليه. وهو يقول: **يعمل بعمل أهل الجنة، فكيف يختم له بغير ذلك؟** الرواية الأخرى قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: **فيما يبدو للناس، فهو يتظاهر أمام الناس بالخير وعمل الخير، وفي حقيقة أمره أنه ضال مضل شيطان رجيم.**

والعملة الزائفة لا تروج على الله، فجاءته عند الخواتيم فظهرت. لذلك كان يقول الإمام أحمد: **بيننا وبينهم** (يقصد بيننا وبين أهل البدع وضلالات) **الجنائز تحكم**، لذلك ترى جنائز أهل البدع موحشة، والله ولو جمعت الملايين تجدهم بأسرهم لا موحدًا فيهم مستقيم.

والمسألة على أهل الصلاح، يقال بأن جنازة ابن تيمية أسلم فيها كثير من النصارى مما رأوا من الهيبة والعظمة في جنازة ابن تيمية. سبحان ربي العظيم، الله شكور. لمّا عاش دهرًا لله جلّ في علاه، جعل الله له القبول في الدنيا والتمكين، وجعل له القبول في الآخرة. وهو بعد مماته اشتهر أشد مما كان في حياته، عاش لله فعند الموت الله جعل كرامات، بل هي معجزات، من جنس المعجزات من أجل أنه عاش لله. طيلة عمره كان لله، ما خلط في دنيا كما نخلط نحن، ما عاش أبدًا إلاّ لربه. لذلك قال قائلهم عند الكلام عليه: هذا كأنه عبدٌ خلق الله له، ما خلق إلاّ لله. لذلك كانت هذه المعجزة، الله جل في علاه جعل هذه الكرامات له، قبل دفنه أسلم كثير من النصارى من هيبة جنازة ابن تيمية.

وأنت في هذه العصور، أي إنسان يريد يكون له ثقل في كلامه يستدل بكلام ابن تيمية، حتى أهل البدع والضلال يفعلون ذلك. [اللهم اجعلنا نسير على درب هؤلاء، اللهم اجعلنا نسير على درب هؤلاء]. فهنا لمّا نقول من عاش على شيء مات فيه، عاش على الطاعة لكن مرئياً، والنبى صلى الله عليه وسلم: **من رأى، رأى الله به. ومن سمع، سمع الله به.** لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم: **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه.**

قال: **وإن الرجل ليعمل بعمل النار، يعني فيما يبدو للناس. رجل غلبته شهوته، ونحن بشر، صباح مساء ليل نهار نعصي الله جلّ في علاه ونتعدى الحدود. لكن لو استقر في القلب أنه يتألم لمعصيته وأنه يريد الطاعة، بل تمحيض الطاعة لله جلّ في علاه، فإن الله يختم له**

بالصالحات. لذلك قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: **قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله إذا أحب عبداً عسله. قالوا: وما عسله؟ قال: إذا أحب عبداً وفقه لعملٍ صالح فقبضه عليه.** لذلك عائشة قالت حديثاً عجيباً، فهو حديث في الطبراني، حسنه بعض العلماء، قالت: **إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له قبل موته ثناءً حسناً بعام وبطانة الخير والتوفيق لعمل الخير.** وإن أراد الله بعبده شراً جعل الثناء السيء على السنة الناس قبل موته بعام وجعل له بطانة شر يحيد بهم عن الطريق القويم.

فإنه جلّ في علاه هو أعلم بالعباد، لذلك الأعمال بالخواتيم. وهنا هذا الحديث فيما يبدو للناس، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. هنا السياق يدل على كتاب الملك، لأنه قال: **يا ربي شقيّ أم سعيد؟ فأوحى الله إليه شقيّ** فهذا يسبق عليه الكتاب فيكون شقيّاً. لأنه صدر الباب **يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين، فيأتي الملك فيكتب.** وهذا الأولى، قلت في الحديث الأول الملك يكتب فقلت غالباً يكون موافقاً لهذا الكتاب. الرواية الثانية (رواية عائشة رضي الله عنها وأرضاها-) قالت: **أنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار،** أيضاً في هذا الباب إطلاق ولم يتكلم على **"يُجمع في بطن أمه"**، فالاحتمال وارد ويكون الأصل في اللوح المحفوظ.

المعتزلة يقولون بأن الله لم يخلق أفعال العباد، وقالوا خلق القراءان. ليس تناقضاً، هم قالوا خلق كل شيء إلا أفعال العباد، الهداية والإضلال بيد العبد، لا بيد الرب. لأنهم نفوا علمه أصلاً، هم نفوا علمه بذلك. كيف يوفق من لا يعلم حاله؟

قال -صلى الله عليه وسلم-: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان عند موته تحوّل فعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار. وإن الرجل

ليعمل بعمل أهل النار، وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته عمل

بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة.

فيما يبدو للناس (لأول) يصلي معهم يصوم معهم يسافر معهم يحج معهم. (الثاني) من باب غلبته شهوته، والله يعذره، ليس مرئياً. الناس إذا رأوه في كل يوم يشرب الخمر يشرب الدخان يتعامل بالربا، ماذا سيقول الناس عليه؟ بدا للناس فسقه، أنه أظهر المعصية، ولكن قلبه كان صادق التوبة. كالذي قتل مئة نفس، وهو يقتل التسعة وتسعين نفساً، كيف كان حكمه عند الناس؟ جبار، أشد أشد الجبابرة فسقاً، وقتل المئة، لكن كان صادق التوبة حتى أنه لم يذهب إلى الأرض التي فيها توبة، (***) بصدري فمات. ففعل الله ما لم يفعل لغيره كرامة، فأمر الأرض (أرض التوبة) أن اقتربوا، وأرض المعصية أن ابتعدي، ففعل له ما لم يفعل لغيره.

علمُ فكتابَةِ إِرَادَةِ فخلق

- الإرادة إرادتان: إرادة كونية وإرادة شرعية.

♦ الإرادة الكونية هي المشيئة وهذه التي يقصدونها في القدر. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [التكوير:29]. والمشيئة وجوباً لا بد أن تكون مقترنة بالعلم والحكمة، لأن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) [29-30]. هذه هي المشيئة، وضابطها أنها في عامة في كل ما يحب أو ما لا يحب الله، من يرد الله أن يهديه من يرد الله أن يضلّه، فيما يحب وفيما لا يحب. والضابط الثاني أنها لزماً لا بد أن تقع، لا بد أن تكون.

♦ وأما الإرادة الشرعية فهي خاصة فيما يحبه الله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [الإسراء:23]، وقد تقع وقد لا تقع، هذه الإرادة الشرعية.

- فخلقُ: الله خلق كل شيء، وقد ثبت أننا قلنا ومنه خلق أفعالنا.

٤ - الإيمان بالقدر:

يقول الإمام الصابوني رحمه الله- في الخير والشر بقضاء الله تعالى وقدره: ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر، والنفع والضرر، والحلو والمر بقضاء الله وقدره، لا مردّ لهما ولا محيص ولا محيد عنها، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه.

الخير والشر، والحلو والمر. هذه في الإرادة الكونية، فيما قدره الله وقضاه. الخير والشر والحلو والمر في أثر الأفعال، في المقضي، في المفعول. أقدار الله كلها كمال، فالأقدار فعل ومفعول، الأقدار فعل الله، وفعل الله كله كمال. وأثر الفعل المفعول، فالمفعولات هي التي فيها الخير والشر، أما فعل الله كله خير كله كمال، لأن الله وحده يتصف بالكمال والجلال والبهاء والعظمة، سبحانه جلّ في علاه. لذلك قال: **من أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره**، أمّا حلوه ومره فجاءت في زيادة لم تصح.

ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدرُوا عليه، ولو جهّدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدرُوا؛ على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال الله عز وجل: **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ)** [يونس:107].

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يُتوهم منه نقص على الانفراد، فيقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه. وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم- في دعاء الاستفتاح: **تباركت وتعاليت، والخير في يديك، والشر ليس إليك.**

هنا مسألتان:

- المسألة الأولى بأنه ما قضاه الله وقدره لا أحد يستطيع أن يردّه بحال من الأحوال، فلا راد لقضاء الله، فلا راد لفضل الله جلّ في علاه. قال الله جلّ في علاه: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل:1]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أن الأمة اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك. ولو أن الأمة اجتمعت على أن يضرّوك بشيء، لن يضرّوك بشيءٍ إلّا قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

فما أراد الله كان وما لم يرد لم يكن، وإن الله جلّ في علاه هو الذي كَوّن الكون، وهو مالك الكون، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) [الأنبياء:23]. وإن الله تعالى قد خلق الخير والشر عموماً، (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الزمر:62]، ومن الشيء الشر، ومن الشيء إبليس. لكن لا بد أن تعتقد بأن الله جلّ في علاه كما قال: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [الأنعام:18]، وأن الله إذا مسّك بخيرٍ لا أحد يمنعه منك، وإن أَرادك بشرٍ لا أحد يدفعه عنك. قال النبي صلى الله عليه وسلم- في حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها- عندما أرسل إليها معاوية، فقالت له: من أَرْضَى الناس على سخط الله، أسخطه الله وأسخط عليه الناس. ومن أَرْضَى الله على سخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عن الناس.

فالأمر برمته في يد الله، لذلك ابن مسعود يقول: إن من ضعف اليقين أن تعادي من لم يجري الله سبب الخير على يديه إليك، أو تمحّض الشكر لمن جعله الله سبباً في الخير إليك. لأن المسألة برمتها بيد الله جلّ في علاه، الخير والشر. قال الله جلّ في علاه: وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [يونس:107].

وإن قلنا في العموم، وفي إن الله خلق الشر لكنه لم يخلق شراً محضاً أبداً. خلق من الشرور ما فيه من الخير أو ما به من الخير أو ما كان لازمه الخير، يكون هذا الشر يؤول إلى الخير.

إبليس، أم الشرور، أم الباب فيه خير. إبليس كان يعبد الله لكن به خير، قال الله جلّ وعلا:
 (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ عَلَى بَعْضِ فِرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
 فِي جَهَنَّمَ) [الأنفال:37]، قال: (أَفْجَعِلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)
 [القلم:35-36]، لذلك قال: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)
 [الحجر:42]. فهنا إبليس منه خير صار أداةً وصار للتمييز بين البرّ والفاجر. (أَفْجَعِلُ
 الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [القلم:35-36]، ليست من الحكمة التسوية
 بين المختلفين، إذًا لم يخلق الله شرًا محضاً قط.

قطع اليد هي شر لصاحبه، شر لمن قطعت يده، لكن خير للجميع الناس، لأنه لما قطعت يده
 أراح الله الناس من هذا الذي يسرق الأموال وأيضاً صارت عبرة لغيره. يقول: على دراهم
 أربعة أو على نصف دينار تقطع اليد! لا. فيحترس من ذلك. القصاص؛ قتل زيدٌ عمرًا، يقتل
 به، وهذا فيه الحياة للآخرين، مع أن هذا فيه شر لزيد بإنهاء حياته لكن فيها حياة للآخرين.
 قال الله جلّ في علاه: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة:179].

- المسألة الثالثة: أنه وإن خلق الشر لا ينسب إليه تصريحاً، أدباً ينسب في العموم. (الله خالقُ
 كُلِّ شَيْءٍ) [الزمر:62]، في العموم. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **والشرُّ ليس
 إليك**، يعني لا ينسب إليك. والجن فعلت ذلك، والرسول؛ إبراهيم -عليه السلام- قال: (وَإِذَا
 مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي) [الشعراء:80]، والجن قالت: (وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ
 أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) [الجن:10]، "شَرُّ أُرِيدَ" مبني للمجهول أي لم يسمّى فاعله. فلما
 تكلم الجن نسبوه تصريحاً مباشرةً لله، ولما تكلموا عن الشر جعلوه مبني لمن لم يسمّى فاعله.
 لذلك قال إبراهيم: (وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي) [الشعراء:80]، مع أن الله خلق الصحة
 والمرض، لكن عند الشفاء (الذي هو الخير) نسبته مباشرةً، وعن المرض نسبته لنفسه.

ومن ذلك الخضر، قال: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) [الكهف:79] نسبها لنفسه، هي بالفعل حقاً لأنها تنسب للعبد فعلاً واكتساباً وتنسب للرب خلقاً وإيجاداً: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا). قال: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) [الكهف:80-81]، لما ذكر الخير تصريحاً بنسبه لله. قال: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) [الكهف:82]، فنسب الرحمة لله جلّ في علاه. إذاً الخير ينسب مباشرةً لله، وأما الشر الذي يوهم بالنقص فلا ينسب لله بحال من الأحوال.

يقول الإمام الصابوني رحمه الله- في معنى دعاء استفتاح الصلاة: ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصدًا، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً. نحن شرحنا كل هذا، ننتقل إلى المشيئة.

يقول في إثبات إرادة الله تعالى ومشيتته: وكذلك من مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى مُريدٌ لجميع أعمال العباد خيراً وشرها؛ ولم يؤمن أحد إلاّ بمشيئته، ولم يكفر أحد إلاّ بمشيئته. ولو شاء لجعل الناس أمةً واحدة، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) [يونس:99]، ولو شاء أن لا يُعصى ما خلق إبليس. فكفر الكافرين، وإيمان المؤمنين، وإلحاد الملحدين، وتوحيد الموحدين، وطاعة المطيعين، ومعصية العاصين، كلها بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وإرادته ومشيتته، وأراد كل ذلك وشاءه وقضاه. ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية ولا يرضاها، قال الله عز وجل: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر:7].

ما زلنا في أبواب القدر، وقدر قدرة الله جلّ في علاه. وأعلى الكلام في مراتب القدر، المشيئة، مشيئة الله جلّ في علاه هي المرتبة التي أَرادها الأخ في الكلام عليه. فمشيئة الله

نافذة، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والطوائف بالنسبة لمشیئة الله جلّ في علاه ثلاثة، الطائفة الأولى هي طائفة أهل السنة والجماعة:

قالوا ما شاء الله كان ولا يكون في كون الله ما لم يشأ، لم؟ لما يقول إن كان في الكون ما لم يشأ إذاً لا يصح أن يكون رباً، فهو هنا حاجزٌ عن ذلك، والنقص يتصف به، والرب لا يكون كذلك. لو كان في كوني ما لم يشأ فإن هذا وصفٌ له بالنقص، والله له الكمال المطلق. لذلك قلنا هذا البئیس التعیس الذي دخل عليه العربي بعدما سُرِقَ حماره وقال له: يا شيخ (هو يُعلم الناس) ادعُ الله لي أن يرد عليّ حماري، فقال: اللهم إنك تعلم أنه قد سُرِقَ حماره وأنت لم ترد سرّقه، اللهم رد عليه حماره. قال: يا هذا! أنا في غنى عن دعائك، بل عن ربِّ مثل هذا، إن كان قد سُرِقَ وهو لا يريد أن يسرق فسُرِق، لعله يريد ردّه فلا يردّ. فقال: ليس بربي هكذا.

فإن كان في الكون ما لم يشأ لا يصح أن يكون رباً. ما شاء الله لا بد أن يكون، وما لم يشأ فلا يكون، كما قلنا في المناظرة أن الدارمي قال: **أومن بربٍ يفعل ما يشاء**. لذلك نقول من مشیئة الله أن الله جلّ في علاه خلق الخير والشر، والطاعة والمعصية. فقد شاء الله كفر أبي جهل، وقد شاء الله كفر أبي لهب، وقد شاء الله في فرعون، ولو أراد الله هدايتهم لهداهم لكنهم لا يستحقون، ليسوا وعاءً للخير، لذلك قال: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)** [النمل:14]. وبيّن الله أن من أضله، أضله لأنه يستحق الضلال، أضله الله على علمه كما قال الله جلّ في علاه: **(لَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)** [الصف:5]، **(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)** [فصلت:17].

إذاً مشیئة الله نافذة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله جلّ في علاه: **(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** [التكوير:29]. أهل السنة والجماعة يعتقدون ذلك، ويعتقدون أن للعبد مشیئة مستقلة لكن ليست مستقلة، يعني مشیئة منسوبة له لكنها ليست مستقلة. مشیئة تابعة لمشیئة

الله جلّ في علاه، لأنه قال: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [التكوير:29]، ولذلك قال: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) [الأنعام:125]، جعل له الأسباب، (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) [الأنعام:125].

لذلك تقول بأن مشيئة الله هي الإرادة الكونية، والإرادة الكونية تفرق عن الإرادة الشرعية. قد يتفقان وقد يفترقان؛ يتفقان في إيمان المؤمن، فالإرادة الكونية التي هي المشيئة والإرادة الشرعية يتفقان في إيمان المؤمن، لأن إسلام المسلم وإيمان المؤمن شاءه الله كوناً وأرادته شرعاً. وقد يفترقان في كفر الكافر، فكفر الكافر شاءه والله كوناً وما أرادته شرعاً، كما قال الله جلّ وعلا: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر:7]، هذا في الإرادة الشرعية. فكفر الكافر افتترقت فيه الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في هذا الباب

وأيضاً أن الله جلّ في علاه إن شاء شيئاً لو اجتمعت الأمة بأسرها على تغييره لن يغيروه، قال الله على لسان نوح: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ) [هود:34].

٥ - الشهادة بالجنة والنار:

يقول: عواقب العباد مبهمّة لا يعلمها إلا الله، يعني الخواتيم.

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمّة، لا يدري أحدٌ بمِ يختتم له. ولا يحكمون لواحدٍ بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحدٍ بعينه أنه من أهل النار؛ لأن

ذلك مُعَيَّبٌ عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان. أعلى إسلام أم على كفر. ولذلك يقولون: إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ، أَيُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَخْتَمُّ لَهُمْ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

هذه مسألة مهمة جداً وهي مسألة عواقب العباد؛ عواقب العباد لا يعلمها إلا الله جل في علاه، وخواتيم العباد لا يعلمها إلا الله. فيبين لنا أمرين من معتقدات أهل السنة والجماعة أو أصليين من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مسألتان مهمتان هنا فيها العواقب مبهمة:

﴿ أولاً نحن لا نجزم لأحدٍ بجنةٍ ولا نارٍ:

إِنْ كَانَ صَالِحاً رَجَوْنَا لَهُ الْخَيْرَ، وَإِنْ كَانَ طَالِحاً عَلِمْنَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ. لَكِنَّا نَجْزِمُ لِأَيِّ أَحَدٍ بَجَنَةٍ وَلَا بِنَارٍ، لَا بِالْمُؤْمِنِ نَجْزِمُ لَهُ بِالْجَنَّةِ وَلَا لِلْكَافِرِ نَجْزِمُ لَهُ بِالنَّارِ. لَكِن نَقُولُ إِنْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، لِأَنَّنَا لَا نَدْرِي أَيَخْتَمُ اللَّهُ لَهُ بِالصَّالِحَاتِ أَمْ لَا؟! أَرَأَيْتُمْ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ، يَمُرُّ عَلَى أَخِيهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَيَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ وَتُبْ، يَقُولُ: خَلِّني وَرَبِّي. يَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَتُبْ، فِي الثَّانِيَةِ، يَقُولُ: خَلِّني وَرَبِّي. فَيَقُولُ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَيَقُولُ: خَلِّني وَرَبِّي. حَتَّى قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَداً. قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَّاهُ: **أَكُنْتُ بِي عَالِماً؟ أَكُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِراً؟ عَذَّبْتُكَ وَغَفَرْتُ لَهُ.**

الأعمال بالخواتيم لا يعلمها إلا الله، رجل كان يقاتل قتالاً شرساً لأهل الكفر، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: ما فعل أحد مثل ما فعل فلان، فقال: **هو في النار.** فاستغربوا، قال: **هو في النار.** حتى كاد البعض يفتتن، حتى ذهب يتعقبه أحدهم. فلما ذهب يتعقبه أحدهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **هو في النار،** فنظروا إليه فكانت به الجراحات، فلم يتمالك لم يصبر فوضع ذبابة السيف على صدره فاتكأ عليه فمات، قتل نفسه. ومن قتل نفسه بشيءٍ عُدِّبَ به يوم القيامة. فلما قالوا له ذلك، قال: **الله أكبر، أشهد أني رسول الله.**

الأعمال بالخواتيم ولا يعلمها إلا الله، اليهودي الذي كان خادماً للنبي وهو على فراش الموت. الكل يعلم أنه سيموت يهودياً، إذاً في النار. دخل عليه النبي وقال: يا غلام، أسلم. فنظر الغلام إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فتشهد الشهادتين ومات. فالمسألة على الخواتيم ولا يعلمها أحد.

إذاً من اعتقاد أهل السنة والجماعة لا نجزم لأحدٍ بجنةٍ أو بنارٍ إلا ما جاء الدليل أسطع من شمس النهار. أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، عثمان في الجنة، بلال في الجنة، العشرة المبشرون بالجنة. كل هؤلاء في الجنة، لأن الدليل جاء أنهم في الجنة. والبقية الباقية، نرجو لهم أنهم من أهل الجنة. وأهل النيران كذلك.

◀ المسألة الثانية مسألة الاستثناء في الإيمان؛ أن يقول "أنا مؤمنٌ إن شاء الله". فصلنا فيها القول قبل ذلك، وإجمالاً أهل السنة والجماعة يقولون: الاستثناء يجوز ولا يجوز.

يجوز الاستثناء عند النظر للعاقبة، ما أحد يعلم بخاتمة أمره لذلك يقول "أنا مؤمنٌ إن شاء الله"، يعني إن شاء الله يميّتي الله جلّ في علاه على الإيمان، فيقول "أنا مؤمن ان شاء الله". أو أن ينظر إلى تركية النفس، فأيضاً لا بد أن يقول "مؤمنٌ إن شاء الله"، (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) [النجم:32]. فإن كان الكلام على حقيقة التصديق فوجوباً لا بد من عدم الاستثناء، لا بد من الجزم. والطوائف الثلاثة:

- طائفة قالت بوجوب الجزم لأن الاستثناء شك والشك كفر.

- فقالت بالجزم بالاستثناء، بعضهم قال وجوباً دون التفصيل.

- والصحيح التفصيل عند أهل السنة والجماعة على ما بيّنا.

يقول -رحمه الله- في الشهادة لمن مات على الإسلام بأن عاقبته الجنة: ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة، فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها، فإنهم يردُّون أخيراً إلى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين، فضلاً من الله ومنة. ومن مات -والعياذ بالله- على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى.

هذه مسألة أخرى ألا وهي بأن من عصى وغلبت سيئاته على حسناته، فهو في النار. أو قل يستحق النار لأنه في مشيئة الله قد يُغفر له، بل قل هو أقرب للمغفرة. كما قالت عائشة: **لله دواوين ثلاثة: ديونٌ لا يغفره، ديوانٌ لا يتركه، ديوانٌ في المشيئة.** وذو المشيئة أقرب إلى المغفرة، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **كتب الله كتاباً عنده فوق العرش، رحمتي سبقت غضبي.**

فإذا دخلوا النار وكتب الله لهم النار، فإنهم يصيرون حمماً ثم يُخرجون ويُلقون في نهر الحياة، ثم يدخلون الجنة بعد ذلك وعليهم طوق مكتوب فيه "الْجَهَنَّمِيُّونَ". وبعد ذلك الله ينزع عنهم هذا الطوق، يُنعمون خالدين في الجنات، **(فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ)** [القمر: 54-55]. وهذا لا يكون إلا لأهل الإسلام الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإذا غلبت سيئاتهم على حسناتهم فإنهم يستحقون النار وقد يغفر لهم الرحمن فيدخلون بعد ذلك الجنان.

٦ - المبشرون بالجنة:

فأما الذين شهد لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره ووعدده لهم؛ فإنه -صلى الله عليه وسلم- لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع رسوله -صلى الله عليه وسلم- على ما شاء من غيبه. وبيان ذلك في قوله عز وجل: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) [الجن:26-27].

وقد بشر -صلى الله عليه وسلم- عشرة من أصحابه بالجنة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس إنه من أهل الجنة. قال أنس بن مالك: **فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: إنه في الجنة ومن أهل الجنة.**

وهنا أيضاً من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أننا نعتقد بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سمى أناساً بأنهم في الجنة. هم يمشون على أرجلهم بين يدي الناس، العشرة المبشرون بالجنة، وهم أفضل الصحابة على الإطلاق. وهؤلاء العشرة منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد بن بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن جراح والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد.

بل هناك أيضاً من الصحابة من قد بشر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم في الجنة، من هؤلاء: قيس بن شماس، الذي كان له صوت الجهوري. وأنزل الله جلّ في علا قال: (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) [الحجرات:2]، فظن أنه قد هلك. فلما تخلف عن مجلس

النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عنه، قالوا: يخشى على نفسه أن له صوتٌ جهوري ويقول هو في النار. فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **بل هو في الجنة.**

أيضاً بلال، قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: **قل لي أرجى عمل كنت تعمله، فإني أسمع دف نعليك في الجنة.** وأيضاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لخديجة: **إن الله يبشرك ببيتٍ من قصب، لا نصب فيه ولا صخب.** أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بشرهم بالجنة. أيضاً من هؤلاء عكاشة بن محصن، عندما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب.** قام عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن أكون منهم. قال: أنت منهم. وأيضاً ربيع بن كعب الأسلمي عندما قدم الوضوء للنبي فقال له: سلني، قال: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ فقال: هو ذلك. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إذا أعني على نفسك بكثرة السجود.** أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيراً

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

الدرس السابع: فضل الخلفاء الأربعة والكف عما شجر بينهم

الحمد وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى، لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى، وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفاء، أما بعد إخوتي الكرام:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. اللهم صلّ على محمد ﷺ، غفر الله لشيخنا ولوالديه وللحاضرين.

قال الإمام الصابوني رحمه الله:- ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ. وأنهم هم الخلفاء الراشدون الذين ذكر النبي ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جهمان، عن سفيّنة: **الخلافة بعدي ثلاثون سنة**. ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان ثنتي عشرة، وعليّ سنًا، وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض، على ما أخبر عنه الرسول ﷺ.

ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه- بعد وفاة رسول الله ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: **رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فرضيناه لدنيانا**. يعني أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه وهي الدين، فرضيناه خليفة للرسول ﷺ علينا في أمور دنيانا. وقولهم: **قدّمك رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك؟** وأرادوا أنه ﷺ قدّمك الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟!

وكان رسول الله ﷺ تكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبيّن للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده؛ فلذلك عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا به وارتفعوا، وعزّوا وعزّوا بسببه حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه:- **والله الذي لا إله إلا هو أن أبا بكر**

اسْتَخْلَفَ لَمَّا عُبِدَ اللهُ. ولما قيل له: مه يا أبا هريرة! ما تقول؟ قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه- باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه- إِيَّاه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه وعده.

ثم خلافة عثمان رضي الله عنه- بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافةً ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه.

ثم خلافة علي رضي الله عنه- ببيعة الصحابة إِيَّاه، حين عرفه ورآه كلُّ منهم رضي الله عنهم- أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه.

فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وكبت الإلحاد وقهر وقصر بمكانهم الملحين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضياءهم ونورهم وبهائم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) [النور:55].

هنا في هذا الباب تكلم فيه الصابوني رحمه الله- على أفضلية الصحابة والكلام على الخلافة؛ فأفضل الصحابة على الإطلاق العشرة المبشرون بالجنة، وأفضل العشرة هم الخلفاء الراشدون. وهذه الخلافة هي على منهاج النبوة، كما قال النبي ﷺ: نبوة ورحمة، ثم خلافة على منهاج النبوة ورحمة، ثم ملكٌ عضوض، ثم ملكٌ جبري، ثم تعود خلافة على منهاج النبوة. هذا الأصل في الخلافة التي ستكون بعد النبي ﷺ.

لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **نبوة ورحمة، ثم خلافة على منهاج النبوة ورحمة**، قال العلماء بأن النبي ﷺ برواية أخرى في قصة سفينة قال: **خلافة على منهاج النبوة ورحمة ثلاثون سنة**. لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذلك حسبوا السنين فوجوا أنها: لأبي بكر سنتان وأشهر، وبعد ذلك عمر ابن الخطاب أكثر من عشر سنوات، ثم عثمان بن عفان أكثر من عشر سنوات، ثم أربع سنوات إلا ستة أشهر لعلي بن أبي طالب، وستة أشهر كانت للحسن. فالحسن داخل في الخلافة الراشدة، وهو سيد شباب أهل الجنة.

فهنا الأربعة الخلفاء الراشدون هم أفضل العشرة على الإطلاق، قال النبي ﷺ: **فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**. وهنا دلالة أيضاً على أن هذه الخلافة الفضل فيها أن الله جلّ في علاه جعلها على نفس سياق ما كان النبي ﷺ يحكم فيه بين الناس، لأنه قال: **خلافة على منهاج النبوة ورحمة**.

وأبو بكر رضي الله عنه وأرضاه- صار خليفةً، هنا قال بأنه باختيار الصحابة أو بإجماع الصحابة. وبعض العلماء يرى بأن أبا بكر صار خليفةً بالتنصيب، لأن النبي ﷺ نص عليه عندما قال: **انتوني بكتاب أكتب لكم، ثم قال: لا، يأبى الله يأبى المؤمنون إلا أبا بكر**. والصحيح الراجح أن هذه الخلافة كانت بالإجماع، كانت بإجماع الصحابة. لا سيما وأن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه- وهو يخطب أبو بكر قال: **لا نقي لك ولا نستقي لك، رضيك رسول الله ﷺ لدينا، أفلا نرضاك لدينا؟!**

فهنا النبي ﷺ بين مكانة أبي بكر عندما قال: **مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس**، فقالت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها-: **إن أبا بكر رجلٌ أسيف، لو أمرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه- فقال النبي ﷺ: مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس**. ذهبت عائشة فقالت لحفصة قولي

له: أوامر عمر بن الخطاب يصلي بالناس، فإن أبا بكر رجلٌ أسيف. الحق أن عائشة قالت: أنا أعلم أن الناس لا يقبلون أحداً غير رسول الله ﷺ أو يقوم مقام رسول الله ﷺ. المفسدة التي خافت منها عائشة أن الناس يتشاءمون بوجود أبي بكرٍ مكان النبي ﷺ، لكن انظر المصلحة وهذا الوحي، فهو يقول: **إنكن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكرٍ فليصل بالناس.**

وكانت المسألة التأسيس، لذلك ما أرى أفقه من أبي هريرة فيما قال، لا أرى أحد أفقه من أبي هريرة بعد عمر بن الخطاب في خلافة أبي بكرٍ رضي الله عنه. أبو بكر لما ذهب إلى سقيفة بني ساعدة (وأنت ترى أيضاً بأن علم هو الذي قدّمه على الجميع)، لما قالوا: منا أمير ومنكم أمير. فقال: **أنتم أنصار الله وأنتم نصرتم رسول الله**، وذكر الثناء عليهم أولاً وهذه من فطنة الدعوة. ثم قال: **إن الله تعالى أمركم بالتبع لنا**، ولا أحد يتقدم قريش الباب. وطبعاً هذا حديث النبي ﷺ، قال: **من تقدّم قريشاً أكبه الله في النار**، أو كما قال النبي ﷺ: **إن هذا الأمر لا ينازع فيه قريش.** لا ينازع أحدٌ قريشاً في هذا في هذا الباب (الإمارة)، فهي لهم. وفي روايةٍ قال: **الناس تبعٌ لهم في جاهلية وفي إسلام.** فقال لهم: **أرضى لكم أحد الرجلين**، حتى أن أبا عبيدة تسرع وقال: ابسط يدك يا عمر، فقال: **يا أبا عبيدة لو قالها غيرك، كيف اتقدم قوماً فيهم مثل أبي بكرٍ؟** ثم قال لأبي بكر: ابسط يدك. فبايعه فتتابع الناس على مبايعته، هذا فقه عمر.

أما فقه أبي هريرة قال: **لولا خلافة أبي بكرٍ ما عبدَ الله**، هذا أفقه من قال كلمة في خلافة أبي بكرٍ وهو أبو هريرة، بهذه الكلمة. المقصد بذلك هو نفسه الذي قال في الصحيحين: **مات رسول الله يوم أن مات، وكفر من كفر من العرب. جُل العرب كفروا، ما بقي إلا أهل المدينة وأهل مكة وبقياء من الطوائف.** والبقية الباقية ارتدت عن بكرة أبيها، ارتدوا جميعاً عن دين الله جلّ في علاه. لذلك قال: **لولا خلافة أبي بكرٍ ما عبدَ الله**، والحق أنه لما أنفذ جيش أسامة، لما قالوا له في ذلك وراجعوه كثيراً، قال: **لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما أوقفت جيش أسامة، لأنفذت جيش أسامة.** وكان الأمر على الخير والبركة في هذا الباب.

الغرض المقصود بأن خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه- هي طليعة هذه الخلافة المباركة، وهي خلافة على منهاج النبوة ورحمة. ولمّا جاء عمر بن الخطاب، كان قد هياّ الله الأرض بأسرها لفتوحات عمر بن الخطاب بما فعله أبو بكر. لذلك هو يقول عمر بن الخطاب: **ليتنى شعر في صدر أبي بكر**، كلامٌ واضحٌ جليّ في هذا الباب، فتوحات عمر بأسرها إلّا ما جاءت بعد تثبيت أركان الدولة الإسلامية. لذلك قال علي بن المديني: **تَبَتَّ الله هذه الملة بأبي بكر يوم الردة وبأحمد يوم الفتنة.**

وللدين رجال، يا له من دين لو أن له رجال! وصدّر الله رجالاً حق رجال لنصرة هذا الدين. اللهم اغفر وارحم، وتجاوز عمّا تعلم، فإنك أنت الأعز الأكرم. نسأل الله ألا تكون المقارنة بيننا وبينهم فنفضح فضيحةً عظيمة. اللهم اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم، فإنك أنت الأعز الأكرم.

ثم جاءت بعد ذلك الخلافة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه-، أمير المؤمنين فاروق هذه الأمة. فقال فيه النبي ﷺ في الرؤيا: **ما رأيت عبقرياً يفري فريّة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه-.** بل قال في حقه: **لو كان نبيّ بعدي لكان عمر ابن الخطاب.** ثم خلافة عثمان وتمت الفتوحات وعبدوا الناس لرب العباد، ثم بعد ذلك جاءت خلافة علي بن أبي طالب وكانت الفتن التي جاءت تترأ، فغفر الله للجميع.

لكن في الحق بأن الأمة الإسلامية قد تَبَتَّ الله أركانها بخلافة أبي بكر، ثم بعد ذلك اتسعت الرقع التي انتشرت فيها الديانة الإسلامية وانتشر فيها الإسلام بعد إمارة عمر بن الخطاب، ثم توسعت في إمارة عثمان، ثم أتت بعد ذلك الفتنة. لذلك (وهذا من فقه عمر) لمّا نزلت هذه الآيات: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**

[المائدة:3]، بكى عمر بن الخطاب. فقالوا: ما يبكيك؟ قال: ما اكتمل شيء إلا ورجع بالنقصان. نسأل الله العفو والعافية.

وعثمان رضي الله عنه وأرضاه- خلافته كما قلنا كان باتساع. عثمان بن عفان، النبي ﷺ قال: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**. وخلافته أيضاً خلافة راشدة، ولذلك العلماء اتفقوا جميعاً على أن الأذان الأول للجمعة ليس ببدعة، يعني لو وجدنا مسجداً يقول بالأذان الأول لا نبذعه لكن نقول له خلاف الأولى، لأن العلة التي من أجلها قد سنّ فيها عثمان ابن عفان الأذان غير موجودة. الأذان الأول كان في الزوراء في الأسواق، ليبيّن للناس وقت الجمعة حتى يأتوا ويتركوا البيع والشراء وليذهبوا إلى المساجد. لكن من فعله اليوم لا نستطيع أن نقول له بدعة، بل هو سنة لأنه من سنة عثمان. قال النبي ﷺ: **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين والمهدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ**.

إذاً المسألة ظاهرة في ذلك الباب أن عثمان بن عفان استتم به الأمر بفتوحات الأمة الإسلامية، ثم في نهاية الأمر قد تنبأ به النبي ﷺ لما قال له: **أذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**. ثم قال النبي ﷺ: يا عثمان! (وهذا الذي استسره، لأن عائشة سألته بما استسر لك النبي ﷺ؟ لأن النبي أخذ واستسر له بكلام). فلما سُئل عن ذلك، قال النبي ﷺ لعثمان: **إن الله يقيمك قميصاً، فإن أرادوك على خلع فلا تفعل**. فلذلك لما دخلوا عليه الستة ومعهم محمد ابن أبي بكر، وأخذ بلحية عثمان، قال: **لو كان أبوك حياً ما رضي مكانك مني**، فارتعد وارتعشت يده فتركه ورحل، لم يشترك بقتله حال من الأحوال.

أما هؤلاء الذين هجموا عليه بكل بجاجة ووقاحة وبكل جرأة على عثمان خليفة الراشد، فكان لما أمره بشيء قال: لا، **إن رسول الله ﷺ بشرني وقد أمرني وإني لن أخلع القميص الذي قمصني به الله جلّ في علاه**. فقتلوه، حتى امرأته صرخت، قالت: قتلتهم صائماً قائماً. وكان

في اليوم صائماً، وكان فاتحاً لمصحفه يقرأ في كتاب الله حتى أنهم قطعوا أصابع امرأته وتناثرت الدماء على مصحف عثمان رضي الله عنه وأرضاه-، ثم قتلوه مظلوماً شهيداً - رضي الله عنه وأرضاه-. ولو كانوا يظنون خيراً لحلبوا بعده لبناً ولكن قد حلبوا بعده دماً عبيطاً.

ثم بعد ذلك خلافة علي بن أبي طالب على رأس الفتنة التي حدثت، كان كما قال الذهبي: باتفاق وبالإجماع خير من وطأ التراب على أرض على هذه البسيطة بعد مقتل عثمان هو علي بن أبي طالب. لا منازعة، لا أحد يستطيع أن يقدم نفسه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه-. ثم تسلم الخلافة علي بن أبي طالب بالإجماع، لأنهم جاءوا إلى علي ابن أبي طالب فقالوا: لا بد للناس من أمير، فأمرّوه فقبل البيعة. وبايعه طلحة والزبير، لكن بعد ذلك حدث ما حدث من الأمور التي نسأل جلّ في علاه ألا تعود حتى. أنا أقول أمور الفتنة التي حدثت من الخوارج ومن الضلال، هم الذين قد أوقعوا بين الصحابة وحدث ما حدث والله يغفر لهم. فكلّ مجتهد، فمنهم من أصاب فله أجران، ومنهم أخطأ فله أجر، وكلهم أفضل الناس على الإطلاق.

والله قد مدحهم ورضي عنهم وأمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقنتلون، كما قال ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه-. وأمرنا ربنا بالاستغفار لهم ويعلم أنه سيقع بينهم هذه الفتن التي لا يعلم بها إلا الله، فنكفّ ألسنتنا عن هذه الفتن. لكننا نقول منهم المصيب فله أجران، ومنهم المخطئ فله أجر، وكل ما فعلوه دائرٌ على الاجتهاد. أسأل الله جلّ في علاه أن يلحقنا بهم الصالحين وأن يجمعنا جميعاً في جنةٍ ونهر في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

قال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) [النور:55]، وفي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) إلى قوله تعالى: (كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ فَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) [الفتح:29].

فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم وراعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم إليه والخوارج لعنهم الله- فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله. وقال عليه الصلاة والسلام: من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله.

وهذه الأحاديث فيها ضعف، لكن يُستأنس بها. وقد جاءت قرائن كثيرة تقويها: أصحابي، لا تسبوا أصحابي. لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ مدُّ أحدهم ولا نصيفه. هنا مسائل من الأهمية بمكان أنه ذكر طائفتين، وهما أعظم الطوائف ضلالاً:

- الروافض الخبيثاء أخبث خلق الله، أشد الناس على أهل الإسلام، بل هم أضر وأضل من اليهود والنصارى على المسلمين. هؤلاء الذين يسبُّون صحابة رسول الله، ويتهمون عائشة - رضي الله عنها وأرضاها-، بل هم في المقصد الأسمى يسبُّون النبي ﷺ. بل قل أرقى من ذلك هم يتهمون الله -استغفر الله- بصفات النقص، هو رسوله ويأتي له بأصحابٍ فيهم ما فيهم من الفسق والنفاق والضلال. حاشا لله، حاشاه سبحانه جلَّ في علاه. فالروافض هم الذين كَفَرُوا صحابة رسول الله ﷺ، وهم الذين انتسبوا زوراً لآل البيت زعموا ذلك، وهم يقدحون في صحابة رسول الله، بل يُكفِّرون معظم صحابة رسول الله.

- والخوارج جاءوا فكفروا أيضاً الصحابة؛ وكفروا علياً وكفروا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه-، فهم أوغلوا في الضلال. والخوارج أعدل من الروافض، لأن الخوارج لن يؤلّوها أحداً، أما الروافض فقد ألّوها علياً رضي الله عنه وأرضاه-، وهم كثير من الفرق والطوائف الكثيرة التي ضلت وأضلت.

ولذلك نقول أهل السنة والجماعة في طريقٍ مستقيمٍ وشرعٍ قويمٍ، بأنهم يستغفرون لمن سبق وأنهم يترضون على أصحاب رسول الله ﷺ، ويعلمون الصبيان صحابة رسول الله ﷺ، فحب الصحابة دين ندين الله به.

الحديث الضعيف يستأنس به، ولا يؤخذ به. والمسألة فيها خلاف طبعاً على مسألة الأخذ بالحديث الضعيف؛ بعض العلماء يقول الأخذ بالحديث الضعيف حتى في الأحكام، قالوا إن أحمد أخذ وقال: **حديث ضعيف أفضل من القياس الصحيح في الأحكام**. الصحيح في الأحكام لا يؤخذ بالحديث الضعيف، القاعدة عند العلماء الأحكام فرغ على التصحيح. وأمّا الكلام على ما قاله جموع أهل السنة والجماعة أن الحديث الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال كلامٌ رزين، لكنه ليس أيضاً بوجيه. الصحيح عدم الأخذ بالأحاديث الضعيفة، وفي السنة ما يغنيها عنها، هذا القول الراجح. وإن قلنا بقول الجمهور فحسن، بأنه يستأنس بالأحاديث الضعيفة ويكون لها شواهد من العمومات من القرآن أو من عمومات الأدلة، يمكن أن يؤخذ بها في مسائل السير والفضائل. لأن أحمد بن حنبل قال: **إذا جاءت السير خففن، وإذا جاءت الأحكام شددنا**.

وقوله: **لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**، بحكم سب الصحابة في هذا الباب، وقد فصلنا في القول كثيراً. لكن نقول أيضاً الناس في سب الصحابة على أقوال:

■ من القول الأول هو أن من سبَّ الصحابة يكفر على الإطلاق: وهذا قول يميل إليه المالكية أو قول الممالك بقول الله جلَّ في علاه: **(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)** [الفتح:29].

■ وأيضاً بعضهم يقولون بأنه يفسق بذلك ويعزَّر، ولولي الأمر أن يُعزِّره تعزيراً بالغاً بما فعل.

والمسألة فيها تفصيل: والتفصيل هو من سبَّ عائشة رضي الله عنها وأرضاها- وأتهمها في عرضها فهو كافرٌ ومن لم يُكفره فهو كافر، لأنه في حقيقة الأمر مكذَّبٌ لله جلَّ في علاه. وكذلك كل امرأة من أزواج النبي ﷺ، من عرَّض بأي زوجة من أزواج النبي ﷺ فهو كافر، لأنه يُعرِّض بذلك بالنبي ﷺ. وأما من كَفَّر الصحابة قاطبةً فهذا يكفر، لأنه مُكذِّب لقول الله جلَّ في علاه: **(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ)** [الفتح:18].

وأما من اتهم الصحابة رضوان الله عليهم- بشيء في أخلاقياتهم، في شخصياتهم فهذا لا يكفر لكنه يفسق بذلك، وهو على شفير هلكة، وعلى ولي الأمر أن يعزِّره بما فعل. لا سيما وأن النبي ﷺ قال: **أصحابي أصحابي، لا تسبوا أصحابي. فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه.** وأيضاً عندنا من قول النبي ﷺ وهو القول الفصل في ذلك أنه قال: **أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، عثمان في الجنة،** فمعنى أن أحداً يقول بأن أبا بكر قد كفر أو عمر قد كفر، فيكون بذلك قد كذَّب أيضاً النبي ﷺ. هذه ملخص ما يقال في حكم سب الصحابة.

والصحيح كما قلنا بالإجماع من اتهم عائشة في عرضها كفر ومن لم يُكفره فيكفر، ومن كفر أبا بكر وعمر بالذات يكفر بذلك، ومن كفر الصحابة قاطبةً يكفر بذلك. أما من اتهم أصحابه كما قلنا في أمورٍ ليست على الديانة ولكنها في الشخصية أو في المعاملات فهذا فسقٌ يُعزّر عليه.

قال: ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح. ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل.

قال: ويرون الكفَّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالة لكافتهم. وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن- والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله أحسن الأعمال، وعبادته أخلص العبادات، وطاعته أزكى الطاعات.

هنا نقول في المسألة التي قال فيها بأن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنه يجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر، وأنه لا بد من الجهاد مع ولي الأمر إذا أطلق النفير. لا سيما وأنهم قد أصلوا جميعاً بأن الجهاد في سبيل الله فرض كفاية وليس فرض عين، وله أحوال حتى يصل إلى فرض الأعيان. ومن فروض الأعيان أن يطلق ولي الأمر النفير، يأمر الجميع فيقاتلون تحت رايته. لذلك نحن نقول القتال الصحيح أن يكون تحت راية ولي أمر، وأن تكون الراية واضحة بولي الأمر، وأيضاً الصلاة خلفه.

كما أجمع العلماء على أن الصلاة خلف الفاسق أو خلف المبتدع إذا أتى بأركانها وشروطها وواجباتها وسنن الصلاة، فالصلاة صحيحة. فالإمام أيضاً إذا صلى بهم ولي الأمر فصلاتهم صحيحة، حتى ولو أحر الصلاة، لا سيما وأن النبي ﷺ قال لابن مسعود: **كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها.** "يؤخرون الصلاة عن وقتها"، بعض الناس يفسرها أنه يؤخرها لآخر الوقت، بل حتى لخروج الوقت، يعني يصلونها بعد خروج الوقت. والحجاج بن يوسف كان يفعل ذلك، وكان العلماء كابن عمر يصلي وحده ثم يذهب فيصلّي مع الحجاج، حتى لا تكون مسألة الخلاف والإفساد بمخالفة ولي الأمر بعدم الصلاة معه.

فالإجماع على صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، وفيها أيضاً التبطين في الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور بعموم قول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)** [النساء: 59]، وقول النبي ﷺ: **عليك بالسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأثرة عليك.** كما قال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة: **عليكم بالسمع والطاعة في منشطكم ومكرهكم، ويسركم وعسرکم، إِلَّا أَنْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْصِيَةِ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ.** وقال ابن عمر: **إنما الطاعة في المعروف،** وقال عبادة بن الصامت في الحديث الذي في الصحيحين: **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وفي عسرنا يسرنا، وعلى أثرة علينا.**

وأيضاً أهل السنة والجماعة أجمعوا على أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور، حتى ولو أظهر بدعة، يعني لو أظهر فسقاً أظهر ظلماً عليك أن تصبر. قال النبي ﷺ: **عليكم بالسمع والطاعة، ولو تأمر عليكم عبدٌ حبشي رأسه كإبهة زبيبة،** قال: **ولو كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف.** وأيضاً حرمة الخروج على ولاة الأمور كما قلنا- حتى لو أظهر بدعة، لأن أحمد بن حنبل، المأمون كان قد أظهر البدعة وهي بدعة خلق القراء بل وامتنح الناس عليها وقد أذى كثير من العلماء ومنهم من مات في هذه الفتنة. ولما اجتمع الناس على أحمد بن حنبل وقالوا له: **ألا ترى؟ أما نخرج عليهم؟** قال: لا، لا تفعلوا. قالوا: **لِمَ؟** قال: **أخشى الفتنة.** قالوا:

نحن في فتنة، فقال: فتنة الدم أعظم. أنتم في فتنة فكرية يمكن الأخذ والرد، والله لا يضع القبول لأهل البدع.

أنت جرب تجد، كثير من أهل البدع ممكن في أول وهلة العوام يعمى عليهم بهم، أما بالنسبة لجميع الناس لا يقبلونه، لم؟ هو يحارب الله فكيف يُقبل، لا يقبل هؤلاء إلا أصحاب القلوب المريضة، هذا الراجح الصحيح. فقال الإمام أحمد: فتنة الدم أعظم.

والذين قالوا بالخروج بالظلم أو الخروج بإظهار البدعة هم المعتزلة، وليس أهل السنة والجماعة. أهل السنة والجماعة أطبقوا وأجمعوا بعد ما حدث مع الحسين- على عدم جواز الخروج على ولاة الأمور، نقل ذلك الإمام النووي وغير الامام النووي. فالأصل في ذلك حرمة الخروج على ولاة الأمور، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه:- **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وفي عسرنا ويسرنا، وأثرة علينا.** قال: **وآلا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان.** فجعل المسألة على هذا **"إلا أن تروا كفراً بواحاً"**.

إذاً الأصل الأصيل بذلك أن ترى كفراً بواحاً، ما معنى الكفر البواح؟ جاء النص بذلك فانتهى الأمر، ما في احتمالات، ولا واحد في المئة احتمالات، وهذا الشرط الأول. الشرط الثاني القدرة مع عدم وجود المفسدة، طبعاً في مثل هذا لا بد أن يكون مفسدة، لكن المصلحة تغلب. المفسدة التي تكون أدنى من المصلحة المتغلبة، إذا رأيت كفراً بواحاً.

لذلك النبي ﷺ قال: **يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتَنْكُرُونَ**، لما سئل النبي ﷺ: كيف ننكر؟ قال: **يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي**، فقال: **ومن أنكر فقد سلم، فمن كره فقد برئ، إلا من رضي وتابع.** **"إلا من رضي وتابع"**، هذه مشكلة كبيرة إذا كان يخالف السنة ويهدي

بغير الهدي. ثم قالوا: يا رسول الله أفلا ننايهم بالسيف؟ قال: لا، (صريح من قول النبي ﷺ) **ما أقاموا الصلاة**. وهذه علامة الديار الإسلامية، أن شعائر الإسلام تنتشر وتظهر ولا أحد يوقفها.

بل حق ولاية الأمور عليكم الدعاء بالتوفيق والتسديد إذا صحت لكم الدعوة، كما قال ابن عيينة: **لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوتها أو خباتها لولاية الأمور فبصالحهم ينصلح الناس**، وهذا قاله الإمام أحمد. ولذلك قال: **يرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام**، يعني الفئة التي خرجت على إمام عدل تكون طائفة باغية، كالطائفة التي خرجت على علي بن أبي طالب ومع أننا نترضى عنهم ونستغفر لهم لكنها أخطأت، اجتهدت فأخطأت. ولذلك نقول لا يجوز الخروج على ولاية الأمور.

قال: **ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل**، أما لو قال بأن الفئة الباغية التي خرجت على إمام الفسق حق لها ذلك، هذا قول المعتزلة. قبلها قال: **ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيث**. ظاهر جداً في هذا الباب، وهذا قول قاطبة أهل السنة والجماعة، وهذه من تابعي التابعين أجمعوا بعد فتنة ابن الأشعث وسعيد بن جبير وأيضاً ما حدث مع الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

وموقف أهل السنة الكفّ عما شجر بين الصحابة، كالجمل وصفين، وما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم- من اجتهادات كلّ كان يرجو رضوان الله. لأن معاوية كان هو ولي الدم، وكان يرجو الدم، والله جلّ في علاه قال: **(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ)** [الإسراء:33]. الغرض المقصود بأنه من السنة الكفّ عن الكلام، وإن أردنا أن نبين للناس تاريخياً بالإجمال لا بالتفصيل، حتى لا يوهم نقصاً، حتى لا يجرأ أحداً على صحابة رسول الله.

بل حب الصحابة دينٌ ندين الله به، فلا يجوز بحال من الأحوال أن نأتي ونشعل فتيل النار أمام الناس. لأن هذا الذي يلعب به الروافض، يلعبون بأحاسيس الناس. حب آل البيت مغروسٌ في قلوبنا، والحب الحقيقي للحسين التردّي عنهم، ومعرفة أنه الشهيد. هم الذين قتلوه طبعاً، ابن عمر قال له ذلك، قال له: قتلوا أباك من قبل، فنصحه. وجاء جاء ابن عباس ونهاه عن الخروج في ذلك رضي الله عنه وأرضاه-. لكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فالأولى أن نكف عن الكلام عن الصحابة، وألاً نفعل شيئاً يكون فيه منقصة أو يوهم النقص في مكانة الصحابة رضوان الله عليهم-، بل نترضى عنهم وندعو لهم. وأزواج النبي ﷺ نعلم يقيناً أنهم في الجنات مع رسول الله ﷺ، فنترضى عنهم. وأنهم من آل البيت، رداً على الروافض الخبثاء الذين يُخرجون أزواج النبي من آل البيت. أخرجتم أزواج النبي من آل البيت، لم جعلتم خديجة من آل البيت رضي الله عنها وأرضاها-؟ تناقض عجيب.

فأزواج النبي ﷺ من آل البيت، والدلالة على ذلك قول الله جلّ في علاه: **(وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْثَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)** [الأحزاب:34]. قال الله في ثنايا الآيات: **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْثَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)** [الأحزاب:33-34]. والنبي ﷺ عندما قيل له: يا رسول الله علمنا كيف نُسلّم فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد. في الرواية الأخرى، قالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال النبي ﷺ: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته. فإذا قال: آل محمد، مترجمة البدل منها في الرواية الأخرى: **أزواجه وذريته**، فالبيت أزواجه وذريته. فأزواج النبي يدخلون في آل البيت النبي ﷺ، هذه بالنسبة للكلام على أمهات المؤمنين.

قال: ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله أحسن الأعمال، وعبادته أخلص العبادات، وطاعته أزكى الطاعات، وطريقه مرتضى. إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنه وفضله؛ إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز وجل، فلو لم ييسره لفعله له لم يتيسر له، ولو لم يهده لم يهتد له أبداً. قال الله عز وجل: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ)** [النور:21]، وقال مخبراً عن أهل الجنة: **(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ)** [الأعراف:43] وفي آيات سواها.

إذاً هو يقول يدخلون الجنة بفضلهم ورحمته، وعندنا آية تقول: **(أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رَثُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** [الأعراف:43]. "بما" الباء باء سببية، يعني بسبب الأعمال، **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [البقرة:82]، قال: **(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** إذاً بالأعمال. **(بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)**، هذه دلالة واضحة جداً على أن الباء للسبب.

فهنا يقول دخول الجنة بفضل الله، الحق أن لها نظرين:

• النظر الأول:

إن كان العمل سبباً فالموفق له الأصيل هو الله. لذلك النبي ﷺ يقول: قال الله تعالى: **يا عبادي إنما هي أعمالكم**، حق أنتم فعملتموه، فهو ينسب للعبد فعلاً واكتساباً، وينسب للرب خلقاً وإيجاداً. فقال النبي ﷺ: **إنما هي أعمالكم**، أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها، قال: **فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**. وقال الله جلّ في علاه: **(وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ)** [النحل:53]، فالفضل كل الفضل لربنا جلّ في علاه.

ولذلك انظر النبي ﷺ كيف كان يؤسس هذه العقيدة العظيمة وهو يحمل التراب: **اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا**. ولا يمكن أن تهتدي إلا إذا هداك الله، لذلك النبي ﷺ

كان يقول: والذي نفسي بيده، وكان يقول: يا مُقَلِّبَ القلوب، لا ومُقَلِّبَ القلوب، لا ومُصَرِّفَ القلوب. وكان يدعو يقول: اللهم يا مُقَلِّبَ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك، يا مُصَرِّفَ القلوب صرِّفْ قلبي على طاعتك.

النبي ﷺ قال: وإن تقبضني إليك غير مفتون، العبد ممكن في لحظة يفتن في دينه ويضيع. فالحق أننا لا بد أن نعلم بأن التوفيق الحق من الله جلَّ في علاه، وأن العبد يقطع شعرة العُجب بدقة النظر بأن قلبه يتقلب، والذي يملك قلبه هو الله، وأنه لا يوفق إلا إذا وفقه الله جلَّ في علاه. لذلك النبي ﷺ قال: لن يدخل أحدٌ منكم الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته.

فدخول الجنة من الله جلَّ في علاه، لذلك قال الله عن الأنبياء والرسل وهم أعظم الناس عبادةً لله جلَّ في علاه، وهم أزكى الناس نفوساً، وهم أحسن الناس عملاً، قال فيهم: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) [الأنبياء:73]، يعني ما فعلوا ذلك إلا من ربهم جلَّ في علاه. فالتوفيق الأسمى من الله، نسأل الله أن يوفقنا لكل خير وبر، نسأل الله أن يغفر لنا، وإن تركنا لأنفسنا ضللنا وأضللنا وهلكنا. لذلك قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: يا عبادي كلکم (نص في العموم) ضال إلا من هديتم فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلکم جائع إلا من أطعمته. يا عبادي كلکم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

عامّة؛ النظر الأول أنه دخول الجنة ولو كان بسبب العمل لا يمكن للإنسان أن يُوفَّق إليه إلا بالله جلَّ في علاه.

• الامر الثاني:

أن أصل الإرادة خلقُ الله جلَّ في علاه، بوجه النظر الثاني الأصل في الإرادة خلقُ الله. لا يمكن للإنسان أن يذهب يميناً ويساراً إلا إذا أوزع الله في قلبه بذلك، قال علماؤنا في هذا الباب: لا تجد أحداً بحال من الأحوال يُوقِّق إلى طاعة إلا بإرادة، يريد الطاعة. ولذلك الله جلَّ وعلا فعل إتمام الرحمة والنعمة للعبد، من أراد الطاعة وإن لم يأت بها أثابه عليها. هذه فيها دلالة ترجع أيضاً على محضية فضل الله جلَّ في علاه، وهي مسألة اسمها ذكر الأولية.

ذكر الأولية، التعبد لله باسم الله "الأول". فمن ثمرات التعبد لله باسمه "الأول"، أن الله في الأزل قد ذكرك بهذه الطاعة، وما قضاه الله لا بد أن يقع. أسأل الله جلَّ في علاه أن يجعلنا ممن كتبهم الله من أهل الصلاح وأهل الخير.

بالنسبة على الآية: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ)** [النور: 21]، التزكية هنا تزكية النفوس بالميل للطاعة. وأما مسألة التزكية: التزكية العامة التي يكون فيها المرء بلباس التقوى، وأما التزكية الخاصة وهي الثناء الحسن أيضاً لا تكون إلا من الله جلَّ في علاه. قال الله: **(فَلَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)** [النجم: 32]. ولذلك النبي ﷺ يقول: **للمرء صيتان: صيتٌ في السماء وصيتٌ في الأرض، فهما متوافقان مترابطان.**

قال: ويعتقدون ويشهدون أن الله عز وجلَّ أجَلَ لكل مخلوقٍ أجلاً، وأن نفساً لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً؛ وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت وليس منه فوت. قال الله عز وجلَّ: **(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)** [الأعراف: 34]، وقال تعالى: **(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا)** [آل عمران: 145].

ويشهدون أن من مات أو قُتِل فقد انقضى أجله المسمى له، قال الله عز وجل: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) [آل عمران:154]. وقال عز من قائل: (أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ) [النساء:78].

هنا تكلم على مسألة مهمة وهي أنه لكل أجل كتاب، وأنه ما من أحدٍ يستأخر عن كتابه أو عن أجله ولا يستقدم بحال من الأحوال. وقال ذلك الله تعالى في الأمم: (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف:34]. فهذه دلالة واضحة على أن ما كتب الله جلّ وعلا من أجلٍ لا يتأخر ولا يتقدم بحال من الأحوال، وهذه فيها أيضاً دلالة على اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافاً لاعتقاد أهل البدعة والضلالة وهم المعتزلة.

المعتزلة لا يؤمنون بهذا التأصيل العام عند أهل السنة والجماعة، لأنهم يقولون في المقتول: أنه لولا القاتل لعاش فوق ما عاش، يعني لولا القاتل قتله لعاش فوق ما عاش. والله جلّ وعلا: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) [آل عمران:154]. فإذا الأصل بذلك أن ما قضاه الله جلّ وعلا لا بد أن يكون، كما قال الله تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) [الرعد:38]، (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف:34].

قال: ويعتقدون أن الله سبحانه وتعالى خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويقصدون إستزلالهم ويطردون لهم. قال الله عز وجل: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) [الأنعام:121]. وإن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء. قال الله عز وجل: (وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۖ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) [الإسراء:64].

[65]. وقال عزّ من قائل: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) [النحل: 99-100].

قال: وسوسة الشياطين، قال: ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون، فهذه وظيفة الشياطين. ففيها مسألتان: المسألة الأولى خلق الشر منسوبٌ لله جلّ في علاه في العموم. أم الشرور في الشيطان، ولكن أيضاً فيه خير فإن الله لم يخلق شراً محضاً. وأن وظيفة الشيطان استزلال بني آدم، بل يقال بأن الشيطان كما قال ابن القيم: **أعظم ما يريد الشيطان هو وصول المرء إلى الكفر**. لأن هذا يجعل فيه الخلود في النار، ويستكثر من بني آدم حتى يكونوا معه في جهنم، نعوذ بالله من الخذلان. قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا) [الأنعام: 128]. قال الله تعالى: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا) [الحشر: 16-17].

فهو أول ما يطلبه الشيطان هو كفر بني آدم، وإلا فالوقوع في الكبيرة، حتى يكون على شفير هلكة لأن أهل الكبائر أهل هلكة. لقول النبي ﷺ: **اجتنبوا السبع الموبقات المهلكات**. وإن كان هو في المشيئة، لكن صاحب الكبيرة يمكن أن يكون مُعرّضاً إلى النزول في النار. وإن لم يكن، في الصغيرة أو يثبت على الصغيرة أو خلاف الأولى أو يسلط عليه أعداءه.

هو ما عاش إلا بالحرب المشتعلة المستعرة، يوم أن قال له الله جلّ وعلا: اسجد لأدم، فلم يسجد. قال الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 34]. هذه فيها دلالة واضحة جداً على أن الحرب مشتعلة عندما قال: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) [الحجر: 39]. وقال: (قَالَ

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤِخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا
[الإسراء:62].

فهذه وظيفة الشيطان الوسوسة، وأن الشيطان ابتلى الله به عباده المؤمنين ليختبر صدقهم في العبادة. لأن الله جلَّ وعلا قد قال: (فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت:3]، ما من أحدٍ إلا وسيأسله الله تعالى. وقد ابتلاههم الله جلَّ وعلا ليميز بين الصفوف، (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ) [الأنفال:37]. الله جلَّ وعلا ماذا قال في غزوة أُحُد وما حدث في غزوة أُحُد؟ قال: (وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) [آل عمران:140]، وقال الله جلَّ في علاه: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) [آل عمران:155]، يعني ليس بكل ما كسبوا، ببعض ما كسبوا. نسأل الله جلَّ في علاه يعني أن يغفر لنا ما نفعل ليل نهار وصباح مساء في المعصية وعدم الطلب. (إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) [إبراهيم:22].

قال: ويشهدون أن في الدنيا سحراً وسحرة، إلا أنهم لا يضرّون أحداً إلا بإذن الله. قال الله عز وجل: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة:102]. ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر بالله جلَّ جلاله. لأنه جعل كما قال المعتزلة، جعل شيئاً في الدنيا أو في الكون يكون بغير مشيئة الله جلَّ وعلا.

قال: وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وإن وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يفهم نُهي عنه، فإن عاد عُرِّرَ. وإن قال: السحر ليس بحرام وأنا أعتقد بإباحته، وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه.

يقول: **والسحر والسحرة**. يعني السحر موجود، ولا أحد يستطيع أن ينكره. بل النبي ﷺ سحر، وما أنكر السحر للنبي ﷺ إلا المعتزلة. وقد ورد حديث صريح، في حديث عائشة كان يخيل له أن أتى أهله ولم يأت أهله، وفعل الشيء ولم يفعله. وجاء الملكان، قالوا: مطبوب، من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. ثم ذهب النبي ﷺ وجد العمل في بئر أروان، قال: **رأيت أنه نقاعة الحناء**. تعرفون عصارة الحناء سوداء جداً مُكثّرة وفيها الماء مخيف. وقد عافاه الله جلّ وعلا وشفاه من السحر، لذلك الملك يقول: من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم، والحديث في الصحيحين. والسحر هذا كالمرض كالصداع كمرض البطن، فهو كالمرض يعتري النبي ﷺ، والنبي بشر، فإن كان من البشر فيعتريه ما يعتري البشر.

والعلة عند المعتزلة في إنكار السحر عن النبي ﷺ، هو مسألة أن هذا السحر يمكن الجن يتكلم لسان النبي ﷺ على أنه الوحي ولا يكون وحياً، حاشى الله فإن الله حفظ عبده من ذلك. ولذلك قال الله جلّ وعلا: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)** [القيامة: 16-17]، فالشيطان لا يستطيع أن يدخل في هذا الباب. **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)** [القيامة: 17-19]. وأيضاً إن الله جلّ في علاه قال: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** [المائدة: 67]. ولذلك النبي ﷺ حتى تكلم عن الجن قال: **فأعانني الله عليه فأسلم**، وفي رواية أخرى: **فأسلم**، هو أسلم أيضاً فصار معيناً لا يأمره إلا بخير، هذه أيضاً دلالة واضحة جداً على الحفظ.

وقد بيّن الله جلّ وعلا على أنه لا تغيير ولا تبديل في الوحي عندما قال: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)** [الحاقة: 44]، سواء من نفسه أو من الجن على ما يزعمون، **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)** [الحاقة: 44-47]. فلما لم يحدث (**)، إذاً المقدمة لم تحدث. لم يقطع الوتين، إذاً

هو قد بَلَغَ البلاغ المبين، لذلك قال: اللهم بلغت، اللهم فاشهد. اللهم بلغت، اللهم فاشهد. فحتى السحر وقع للنبي ﷺ.

والسحر له تأثير خلافاً للأحناف، وليس السحر سحر العين فقط، بل سحرٌ حقيقي له تأثير. ولكن هذا التأثير لا يكون إلا بإذن الله، (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^ط فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة:102]. سحرٌ له تأثيرٌ حقيقةً، لكن لا يضر إلا بإذن الله.

وأما الكلام على السحر هل هو كفر؟ الأئمة الثلاثة يقولون السحر كفر. ولما يقولون السحر كفر هذا إجمالاً، السحر كفر. ويستدلون (مالك وأحمد وأبو حنيفة) على ذلك بقول الله تعالى، قال: (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة:102]. ويستدلون أيضاً بقول الله في أول الآية أيضاً فيها: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) [البقرة:102]، كأنها على التعليل، العلة في أنهم كفروا أنهم يعلمون الناس السحر.

هناك آية أخرى يستدلون بها: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه:69]، ووجه الدلالة: أن عدم الفلاح لا يكون إلا للكافر، لأن المؤمن وإن عُدِّب فهو إلى فلاح، وإن عُدِّب فإنه سيلقى في ماء الحياة ويخرج بعد ذلك في الجنان. إذاً "وَلَا يُفْلِحُ" دلالة على التأبيد بعدم الفلاح، وهذا لا تكون ولا يكون إلا للكافر. قالوا: وحده ضرب السيف، كما سنبين. وطبعاً الجمهور استدلوا بكفر السحرة (سحرة فرعون)، استدلوا أنهم كانوا كفرة. إذاً استدلوا بسحرهم الذي قال الله أنه سحر أعين، (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) [الأعراف:116]. فهنا الجمهور يقولون كفرهم بالسحر، وصراحة لا تساعدكم الآية، كفرهم

كان (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ) [الشعراء:44]، فهذا الكفر الأصل الذي كفروا به.

وأما الشافعية فيرون بأن السحر منه ما هو كفر، ومنه ما هو ليس بكفر. والتفصيل وهو الوسط العدول، وهو الصحيح. قد يكون السحر هنا كما يسمونه في السيرك وغير السيرك خفة اليد، أخرج من أذنه درهماً، أخذ شيئاً وضعه في الجيب من غير أن يشعر الآخر. فهذا يسمونه سحراً، هذا لا يستخدمون جنأً ولا يستخدمون شيئاً، هذا لا يكون كفراً. لذلك الشافعية يقولون صِف لنا ما تفعل، فإن لم يكن كفراً لا يكفر. لكن هو على شفير هلكة، كفى أنه اسمه ينزل تحت عموم اسم السحر. وسحر آخر هو كفر، وهذا السحر ممكن يكون دخلت به على حقائق، هو سحر استخدام الجن. في أمريكا طلع مخبول مجنون يحبس نفسه في مكان فيه غرق، ماء أو سينفجر أو شيء من ذلك وقضبان صحيح وخزانات ويخرج في ثواني معدودة، باستخدام الجن والسحر. والجن لا يمكن أن يتمتع بذلك إلا أن يصرف له العبادة، فيكون هذا كفراً.

وأما حد الساحر فضربةً بسيف، كما جاء موقوفاً ومرفوعاً، والموقوف هو الصحيح عن عمر بن الخطاب: حَدَّ الساحر ضربةً بالسيف. وحفصة -رضي الله عنها وأرضاها- قتلت امرأة جارية (أمة) سحرتها. أما عائشة فعاقبتها، لأن عائشة دبّرت جارية لها، دبّرتها يعني بعد موت عائشة تعتق، فسحرتها، فباعتها عائشة. الحق أن حفصة هي التي قتلت وعائشة باعت، والدلالة الفقهية فيها أن للسيد أن يقيم الحد عليه. فهنا عدلت عن ذلك فباعتها تعزيراً، وهذه فيها دلالة على أنه ليس حداً، أنها انتقلت من ضرب السيف إلى البيع. والله اعلم بالصواب. لكن الحق بأن لما رجل جاء أمام الأمير وأتى برجلٍ فقطع رأسه تهدد وتدحرج، ثم أخذها فوضعها مكانها مرة أخرى. فقام الصحابي (جندب بن كعب) فدخل، فلما وجد الرجل يفعل ذلك فأخذ السيف فقطع رأسه، وقال: ردها مكانها الآن. فأخذ ولي الأمر فعزّره، فقال سلمان: ما فعل إلا الحق ولكن قد وقع في الاقتيات على ولي الأمر.

عقيدة السلف وأهل الحديث

الدرس الثامن:

- آداب أصحاب الحديث

- علامات أهل السنة وعلامات أهل البدعة

الحمد وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى، لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى، وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفاء، أما بعد:

إخوتي الكرام اليوم إن شاء الله نختم كتاب عقيدة السلف، وذاك فضل الله يؤتيه ما يشاء. وإذا انفض السوق، ربح من ربح وخسر من خسر. ما أدري! قابلت بعض الإخوة الأفاضل يعني هم يحبون الخير، لكن أنا قلت لهم: كم وكم غبنتم أنفسكم! كم وكم خسرتم خسارة لا تعوض! كتاب مثل هذا يمكن أن ينتهي في وقتٍ وجيز، كيف يفرط فيه؟! فالحاصل الإخوة أمران مع الخسارة التي هم فيها، أمران أشق ما يكون الأمر عليهما:

- الأمر الأول، هناك بعض الجهل بل كل الجهل فيهم في معرفة الطريق الذي يسيرون فيه على الطلب. الطريق الذي يسير فيه طالب العلم على الطلب ليكون الأمر فيه الثمرة، يكون مثمرأ لا بد من شيخ وكتاب. فالشيخ لا بد أن يكون قد تعلّم على العلماء، وجثا على ركبتيه يأخذ من العلماء، لا بد ضرورة، لو لم يكن لا يؤخذ منه علم.

يمكن أن يكون راسخ، يعني ممكن يكون تعلّم على شيخ لكنه غير متقن. أنت ما تدري! ما يجلس الأعمش يعقد مجلس التحديث، كل من تحت الأعمش سيخرجون الأعمش؟! أبداً. أبو داود يروي بأن الثوري نظر إلى مجلس يكتظ بالمحدثين، ثلاثة آلاف طالب يسمع الحديث ويكتب الحديث، وهذا بيّين لك لِمَ مَكَّنَ الله لهم. لَمَّا مجلس وتحد ثلاثة آلاف يتركون الدنيا من أجل أن يتعلمون حديث النبي ﷺ، يحفظ حديث النبي ﷺ، هذه مسائل عظيمة جداً. هو استغرب واندعش، قال: ثلاثة آلاف! ويكتبون الحديث!! فقال شعبة: رَوّ في الأمر، لو خرج منهم ثلاثة. أبو داود يكتب يقول: عشت حتى رأيت الثلاثة. ليس الجميع يخرج الأعمش، لا بد أن تفهم هذا. لكن الذي تعلّم على شيخ على الأقل يركز لك في أمور قد تعلّمها من شيخه. لكن الذي لم يتعلم هذا ما ينفع، لا يصح ان يكون معلماً.

- الأمر الثاني المهم جداً في هذا الباب هو الكتاب، الكتاب لا بد أن يكون من كتب السلف، الكتب العلمية التي بها يمكن للإنسان أن يتقن بها العلم. العلم ليس كل أحد يتقنه، والعلم ليس كل أحد أن يكون رأساً فيه. الأمر الذي يصير مجدداً، إذا أرادوا التمثيل من رجل ليس متابعاً لهم ولا مخالفاً لهم، بعض الطوائف مثلاً يدرّسون شيئاً، لا يريدون لأحد أن يعلو عليهم لأن هذه المسألة مسألة نفوس. أن يعلو عليهم، لأنه لَمَّا يتقن مسائل المواريث، لَمَّا يتقن مسائل المصطلح أو الأصول، أو يعرف المسائل الخلافية كيف يذهب إليها ويجيء وكيف ينظر إليها. لا حيلة لهم إلا أن يقولوا هذا يسب في المشايخ.

أي مشايخ؟! ما المشايخ المسبوب فيها؟! وكيف سبهم وبما سبهم وما الذي قاله سب في المشايخ؟! وهؤلاء المشايخ الذين يدعون كذباً وزوراً، لأن هذه الطائفة تكذب وتقول نكذب لمصلحة الدعوة. أي المشايخ؟ المشايخ الذين يدعون كذباً وزوراً أن فلان الفلاني هذا يسب فيهم، هم أنفسهم الذين يزكونه تركية هو نفسه يستغرب كيف وقعت منهم هذه التركية، لا سيما أصالة العلاقة الراقية جداً بينه وبينهم. هذه مسألة أعجب من العجب! لا تكون إلا لمن له ماله في القلب من الحقد أو الحسد أو الهوى.

وأنا دائماً أقول حتى الشاب الصغير لو سمع لذلك وانصاع له وانقاد وهو صاحب هوى، لأنه لو كان عدلاً منصفاً، لو سمع هذا الكلام يقول ليس لأهل العلم أن تعلو ألسنتهم على من علّمهم، هذا سوء أدب، والذي يسوء أدبه لا يعلو ولا يرتقي علمه بحال من الأحوال. فلو كان عدلاً منصفاً يقول ما الدلالة؟ أعطوني مقطوعاً أنه قال ذلك؟ لا تجد. فيكون هو وقع في أمرين: الأمر الأول صد عن السبيل (الذين هم قطاع الطرق)، الأمر الثاني كذاب. وقع في خلتين وخصلتين أعظم ما تكون، كذاب وأيضاً أنه قاطع طريق، يقطع الطريق على طالب العلم. ولذلك في النهاية الندم له، عاش ثلاثين سنة، والشاب الصغير سنة يتكلم في المسائل الخلافية وهو ما يعرف ما يعنيه مسائل خلافية. وهذا عقاب، هذا أيضاً يكون عقاب من الله، الله يعاقبه لأنه ما دام قد قطع الطريق وصد عن السبيل فالله تعالى يصد عنه الخير، ما يفتحه له، عقاب جزاءً وفاقاً واجراً طباقاً. أسأل الله جلّ تعالى إتمام هذه الكتب وأن يجعلها إخلاصاً لوجهه الكريم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من والاه، اللهم صلّ على محمد ﷺ. قال الإمام الصابوني رحمه الله:-

ويُحرّم أصحاب الحديث المُسكر من الأشربة المُتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يُسكر كثيره، يحرّمون قليله وكثيره، وينجسونه ويجتنبونه ويوجبون به الحد.

المسألة هنا أنه يقول وهذه الآداب التي اشتهر بها أصحاب الحديث، أنهم يدورون مع الحديث حيث دار، وأنهم يتلمسون السنة في كل طريق وكل واد، ويأخذون به ويعضون على ذلك بالنواجذ. ثم ضرب آحاد من مجموعة الآداب التي هي تتمثل فيه أصحاب الحديث؛ ضرب مثلاً بذلك في المُسكر. المُسكر هو كل ما خامر العقل بنشوة، كل ما خامر العقل يعني غطى العقل. هذا يدخل تحت البنج وغير البنج وغير ذلك، لكن لما قلنا بنشوة خرّج البنج، لأن العمليات الجراحية تحتاج إلى ذلك، فهو كل ما خامر العقل بنشوة هذا هو المُسكر.

والحق بأن الجماهير خلافاً لأهل الكوفة لئلا يرى أهل الحديث- يرون بأن الخمر من عصير العنب ومن العسل، ومن ستة كما قال عمر بن الخطاب ذلك في الصحيح. من ستة أصناف: من التمر و(**) والذرة وأيضاً من العنب.

وأما أهل الكوفة جميعاً قاطبةً لا يرون خمرًا إلا من العنب، لذلك عندهم غير العنب الشعير أو الذرة أو العسل يقولون هذا ليس بخمر، إلا أن يُسكر كثيره، فيكون الكثير هو حرام لكن القليل ليس بحرام. والعجيب أن بعض فحول المحدثين من أهل الكوفة كانوا يستروحون بالنبيذ، كوكيع بن الجراح كان يقول يستروح بحفظ المسائل بالنبيذ. وما أحد من علماء الجرح أو التعديل قد قبّح فيه أو تكلم عليه، ما أحد فعل ذلك. وهذه مسألة من الأهمية بمكان، وهي أن المسألة المختلف فيها وإن كان يراها البعض حرمة والبعض يراها على الحل، فإنه لا إنكار في المسائل الخلافية، ولا يجرح المرء بالمسائل الخلافية.

فهنا يقول: يجعلون كل مسكرٍ يجعلونه خمرًا، وهذا الصحيح. لأن الحديث عن النبي ﷺ قال: **كل مسكرٍ خمر، وكل خمرٍ حرام.** وفي رواية قال: **ما أسكر كثيره فقليله حرام.** والخمر قد لعن فيها العشر، ولذلك العلماء يقولون وشرب الخمر كبيرة من الكبائر، وهذه يفسق بها المرء. لذلك لا بد من توبةٍ نصوح حتى يؤخذ منه العلم أو يؤخذ منه الحديث. يعني من فسق أمره بفعل الكبيرة فهو لا بد من توبةٍ حتى يصل إلى أن يؤخذ منه العلم. فقالوا بأن شرب الخمر كبيرة لاستحقاق اللعن، قال النبي ﷺ: **لعن في الخمر عشر: شارب الخمر وساقيتها وعاصرها ومعتصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة إليه، فملعون من شرب الخمر.** فأصحاب الحديث أولى بأنفسهم عن الوقوع في مثل هذه الكبيرة، لا سيما وأن الخمر هي أم الخبائث.

إذاً هذه الأدب الأول الذي تكلم عنه في بعض صفات أهل الحديث، لأنهم لما داروا مع الحديث حيث دار ثبت الأمر لهم في الخيرية بذلك، وكانوا أروع الناس وأتقى الناس وأنقى الناس وهم يعملون بحديث النبي ﷺ. أهل الكوفة لما لم يصل إليهم حديث النبي ﷺ: **ما أسكر كثيره فقليله حرام**، لم يعملوا به. قالوا فقط يقام الحد على من شرب مُسكرًا، فإن لم يكن فلا. لكن هنا قالوا العلماء أصحاب الحديث: بل نقول **ما أسكر كثيره فقليله حرام** ولو شربة واحدة يقام عليه الحد. يعني لو ضربنا مثلاً هنا في الواقع لو شرب ماء الشعير، وقرر المتمرسون أن الكثير منها يُسكر، شربة واحدة منها يستحق بها إقامة الحد، ويكون قد وقع في الكبيرة وعليه من التوبة والأوبة إلى ربه جلّ في علاه.

قال: ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات. ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام. ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً، ويعتدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها.

قال: وأصحاب الحديث أيضاً يرون المسارعة إلى أداء الصلوات، هذا بعموم قول الله جلّ وعلا: **(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)** [البقرة:148]، **(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)** [آل عمران:133]. لا سيما وأن أهل الحديث هم أسرع الناس لرضوان الله، لأنهم إذا علموا الحديث وعلموا فضل المسارعة في الخيرات أسرعوا في تطبيق ذلك، وإلا فهم بلسان حالهم يقول وينادي على الناس:

هتف فاعلم بالعمل *** فإن أجابه وإلا ارتحل

فهم أولى الناس بفعل ما قال النبي ﷺ والمساورة فيما قال النبي ﷺ.

قال: ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات، أي الصلوات الخمس المكتوبات لأنها المفروضات، ولأن المرء أول سلم الولاية بأن يؤدي الواجبات وينتهي عن المحرمات. قال: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص، قال النبي ﷺ: **من سرَّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل**. هذه دلالة واضحة جداً على مسألة المسارعة، أن أهل الحديث هم أولى الناس بذلك.

يقول: وإقامتها في أوائل الوقت، لأنه قد ورد عن النبي ﷺ كما في الصحيحين سئل عن أفضل الأعمال، قال: **الصلاة لوقتها** أو قال: **الصلاة على وقتها**. أمّا الصلاة على أول وقتها أو الصلاة أول وقتها في مسند أحمد لا يصح، هو قال: **الصلاة على وقتها**. ولأن الصلاة على وقتها تصح في الأول وفي الوسط وأيضاً قبل أن يخرج الوقت، لكن الفضيلة كل الفضيلة في أوائل الوقت، لأنه فيها صدق المسارعة إلى الله جلّ في علاه. وهذا من باب تحقيق قول الله جلّ في علاه: **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)** [البقرة: 63]. قال: وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، طبعاً لأن تأخير الأوقات هذه، لو أخر الصلاة إلى آخر الوقت فيه شبه من المنافقين كما قال النبي ﷺ بأن المنافق ينتظر حتى قبيل أن يسقط حاجب الشمس قام فركع وصلى وأدّها نقرأ كنقر الغراب أو نقر الديك. فهذا لا يجوز أو هذا قل فيه شبه من المنافقين لو اعتاد على ذلك.

قال: وأصحاب الحديث يجيبون قراءة الفاتحة. وهذه مسألة خلافية معروفة، مسألة قراءة الفاتحة للإمام والمأموم فيها خلاف. أمّا الأئمة الثلاثة فقد اتفقت كلمتهم على أن المنفرد لا بد يقرأ الفاتحة، لقول النبي ﷺ: **لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب، لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب**. والأحناف خالفوا بذلك وقالوا يقرأ بما تيسر معه من القرآن لحديث، قال النبي ﷺ لمسيء صلاته: **فإذا قمت إلى الصلاة فقرأ ما تيسر لك**. قالوا هذه فيها دلالة، قلنا حتى هذا يحمل على قول ﷺ: **من لم يقرأ بأم الكتاب فلا صلاة له، لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**.

المسألة المفروض تكون ظاهرة بنص الحديث، فقول النبي ﷺ في مسند أحمد: **اقرأ ما تيسر لك**، قال النبي ﷺ (هو نفسه): **اقرأ بفاتحة الكتاب**. إذاً **"ما تيسر لك"** مفسر في الرواية الأخرى إذا أردت حقاً أن تؤدي الصلاة الصحيحة فاقراً بفاتحة الكتاب، قال: **اقرأ بفاتحة الكتاب**، والحديث صريح: **من لم يقرأ بأَم الكتاب فلا صلاة له**. فإذا أصحاب الحديث يقولون المأموم يقرأ فاتحة الكتاب ولا صلاة ولا تصح الصلاة إلا بأَم الكتاب خلافاً للأحناف.

وأما بالنسبة للمأموم مع الإمام فقالوا الإمام يقرأ فاتحة كتاب، ولا تصح الصلاة من غير قراءة فاتحة الكتاب، هذا على قول الجمهور كما قلنا. أما المأموم فالخلاف فيه عريض؛ فيها ثلاث أقوال:

١- الشافعية يرون أنه سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية عليه أن يقرأ فاتحة الكتاب، لعموم قول النبي ﷺ: **من لم يقرأ بأَم الكتاب فلا صلاة له**. وقال النبي ﷺ: **من صلى ولم يقرأ بفاتحة الكتاب فصلاته خداج، خداج، خداج**. الخداج هنا هو النقصان، والنقصان نقصانان: نقصان لا يضر بالأصل كأن ترك هيئة من الهيئات والتسبيح على قول الجمهور، ونقصان يضر بأصل الصلاة كالفاتحة أو الركوع أو السجود. فقالوا هذا نقصان يضر بالأصل، يعني الصلاة لا تصح على بابها.

٢- الأحناف قالوا: قرأ أو لم يقرأ، إن لم يقرأ شيئاً، تيسر أم لم يتيسر، صلاته صحيحة. وهم يتمسكون بقول النبي ﷺ: **قراءة الإمام قراءة للمأموم**.

٣- أما المالكية والحنابلة وسط، قالوا نُفرّق بين السرية والجهرية. فأما الجهرية فلا يقرأ، إلا إذا ترك له الإمام مساحة للقراءة فيقرأ، لكن إن لم يترك له مساحة لا يقرأ، لأن الله تعالى قال: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)** [الأعراف:204]. قالوا: هذا أمر مُحكم، لأنه إذا قُرئ القراء فلا بد أن تنصت، فإذا قرأ الفتحة فما عليك إلا السماع. فإن كان يقرأ ويصل

القراءة بقراءة السورة التي بعدها، فعليك بالسمع وعدم القراءة والتشويش. واستدلوا بذلك على حديث أبو هريرة بأن النبي ﷺ قال: **من يُخالجنيها، من يقرأ معي**. قال أبو هريرة: **فسكت الناس بعد ذلك**. هم يتمسكون بالرواية أنه قال: **فسكت الناس**، ولأن النبي ﷺ نهى عن القراءة معه. وأيضاً حديث النبي ﷺ قال: **قراءة الإمام قراءة للمأموم**، لكنهم لم يقولوا بإطلاق الحديث.

الأحناف قالوا بإطلاق السرية والجهرية. أما المالكية والحنابلة قالوا قراءة الإمام قراءة للمأموم في الجهرية لا في السرية، لأنه لا يكون قارئاً إلا إذا سمعوا له الصوت. وأما كلام الشافعية فهو الكلام الأدق والأصح والأسدّ، وهو لا بد من قراءة الفاتحة الصلاة السرية أو الجهرية، واستدلوا على ذلك بعموم قول النبي ﷺ: **لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب**. من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فلا صلاة له. من صلى صلاة فلم يقرأ بها بأم الكتاب فهي خداج، خداج، عندهم هذا مُحكم. قالوا وكل الأدلة المستدل بها كلها فيها نظر:

- أولاً قول الله جلّ وعلا: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)** [الأعراف:204]، عام مخصوص بالفاتحة، قال: **من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فلا صلاة له**.
- الثاني، قول النبي ﷺ: **قراءة الإمام قراءة للمأموم**. هذا حديثٌ ضعيف، ولو قلنا بصحته فهو عام أيضاً مخصوص. فقراءة الإمام قراءة للمأموم في غير الفاتحة، لأن النبي ﷺ قال: **لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب**.

وأما قولهم بحديث أبي هريرة، أبو هريرة نفسه راوي الحديث الذي قال بأن النبي ﷺ قال: **لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب**، فلما جاءه الرجل قال: **أرأيت الإمام وهو يقرأ، قال: اقرأها في نفسك يا فارسي، اقرأها في نفسك يا فارسي**، لذلك بعض العلماء من الصحابة كان يرى أن القراءة تكون بين سكتات الإمام، وهنا أيضاً الشافعية والحنابلة قد رجّحوا حديث جابر بن ثمره، وهو أن النبي ﷺ كان له في الصلاة سكتات ثلاث:

◀ السكّنة الأولى التي قال فيها أبو هريرة، لما قال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، رأيت سكوتك هذا؟ ماذا تقول؟ قال: **أقول "اللهم باعد بيني وبين خطاياي" .. إلى آخره.**

◀ قال: السكّنة الثانية بعد الفاتحة، يسكت سكّنةً.

◀ ثم يسكت في آخر القراءة.

ولذلك قوله هذه السكّنة هي ترك المساحة للمأموم أن يقرأ الفاتحة، وإن لم يترك قالوا يقرأ الفاتحة، وهذا هو الراجح الصحيح. والدلالة على أن هذا هو الراجح الصحيح حديث في السنن، أن النبي ﷺ صلّى في الفجر، والفجر صلاة جهرية، ففي الصلاة الجهرية صلّى النبي ﷺ، وبعد ما صلّى النبي ﷺ وهو يقرأ، بعد الصلاة قال: **من يخالجنها؟ من يقرأ معي؟** فقال رجل: أنا يا رسول الله، قرأت بسبح (سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [الأعلى:1]، قال: **لا تفعل.** إذا نهاه عن أن يقرأ وهو يقرأ، قال: **إلا بأَم الكتاب،** هذا نص صريح، خلاص انتهى الموضوع. قال: **لا تفعل، لا تخالجني إلا بأَم الكتاب.** فالمسألة واضحة جارية في ذلك **"إلا بأَم الكتاب"**. إذاً الراجح الصحيح في هذا الباب هو قراءة الفاتحة في كل الأحوال.

تبقى مسألة فرعية على هذه المسألة وهي إذا دخل والإمام راکعاً، فإذا دخل والإمام راکعاً فقد فاتته ركن ركين وهو قراءة الفاتحة. فهل تصح الركعة أم لا؟ خلاف؛ بخاري يرى أنه لا يدرك الركوع إلا بقراءة الفاتحة، والجمهور يرون أنه يدرك بالركوع. وابن حزم أيضاً يرى قول البخاري، يرى أنه لا يدرك إلا من قرأ الفاتحة، لا بد أن يكون قائماً مع الإمام.

الذين قالوا بأنه لا يدرك الركعة إلا بقراءة الفاتحة يستدلون بالأدلة الصريحة؛ **من لم يقرأ بأَم الكتاب فصلاته خداج،** وقول النبي ﷺ: **لا صلاة لمن لم يقرأ بأَم الكتاب،** قالوا العموم موجود. والذين قالوا بأنه مدرّك للركعة من أدرك الركوع بأدلة؛ الدليل الأول: النبي ﷺ قال: **من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة،** وهذا حديث أبي هريرة. الحق هذا الأحاديث الذي جاءت

"من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة"، أحاديث ضعيفة. وهي صحت بأحاديث موقوفة عن ابن مسعود وعن غيره جاء بسند صحيح أنه قال: **من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة**.

والجمهور عمدة الاستدلال عندهم حديث أبي بكرة، بأن النبي ﷺ سمع جلبة أثناء الصلاة، بعد ما انتهى سأل على الجلبة ما الذي يحدث؟ قال أبو بكرة: جئت يا رسول الله فأسرعت فأدركتك راکعاً فركعت أول الباب. فركع أول الباب ومشى إلى الصف، فابتسم النبي ﷺ وقال: **زادك الله حرصاً ولا تُعَدّ**، وهذا قول النبي ﷺ لأبي بكرة. فقالوا هنا قد ركع خلف الصف ومشى وأدرك الركعة ولم يقل له النبي ﷺ أعد الصلاة. طبعاً بعضهم يشوش على ذلك يقول ولا يعيد؟ وهذا خطأ بيّن. قال: **ولا تُعَدّ**، هو التأويل في "**ولا تُعَدّ**". بعضهم رواها ولا تُعَدّ هذه ركعة، يعني عليك بالإعادة، وهذا أبعد التأويلات وأضعفها.

والحق "**ولا تُعَدّ**" يعني لا تعد للمشي خلف الصف هكذا، إن وصلت للصف وركعت فقد أدركت وإلا فلا. وإن كان بعضهم أيضاً يضعف هذا التأويل لأن ستة من الصحابة قالوا بالسنية بهذا أن يركع من آخر الصف ويمشي، ستة من الصحابة قالوا بذلك. وهذه فيها دلالة يرون بأنه لو فعل ذلك فعل سنة، وأن المسألة كانت خاصة بهذا. لكن المضمون أننا نقول ركع خلف الصف، ركع في الصف قد حُسبت الركعة، وهذا صحيح. لذلك العلماء قاطبةً اتفقوا على أن الفاتحة ولو كانت واجبة، يعني ركن في الصلاة، تسقط في حالة واحدة ألا وهي الركوع.

البخاري طبعاً قال لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب، وابن حزم طبعاً رجل أصولي وله ما له من الفقه والأصول والعلم، فقال: قال النبي ﷺ: **ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**. فقال: **أدركنا الركوع فصلينا، ما الذي فاتنا؟ الفاتحة**. قال: **فات محلها فلا تعد**. كلام نظري قوي جداً جداً صراحةً. قال: أين أتم أنا الآن؟ أخذ بحديث النبي ﷺ: **فصلوا، وما فاتكم فأتموا**.

أين أتمه؟ ما في إتمام. لولا حديث أبي بكرة لقلت في قول ابن حجر، وكنت أقول به ورجعت عنه، لأنه نظراً قوياً جداً. لكن الأئمة الأربعة اتفقوا على أن من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة. هذه مسألة التي هي أشار إليها المصنف في الكلام على أن أصحاب الحديث يقولون بقراءة الفاتحة.

كلام النبي ﷺ أنه في قوله عموماً قال: **ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا**، جاءت رواية: **فاقضوا**. " **فاقضوا** " هنا تفسر بـ "أتموا"، هذا الراجح الصحيح. الجهر بالبسملة والاستسرار هما سنة، قد ثبت أن النبي ﷺ جهر بها لما قالت أم سلمة: **وكانت قراءة النبي ﷺ مدأ، بسم الله الرحمن...** وبينت ذلك. فهو قراءته كان يجهر بها ويستسر بها لحديث أنس: **كانوا يفتتحون الصلوات بالحمد لله رب العالمين**. وحديث عائشة أيضاً. قال أنس: **صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمر يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**. ما كان يجهر بالبسملة، فتارة كان يجهر وتارة كان يستسر، وهذا صحيح.

هنا أقول: هو لما يقصد أصحاب الحديث يريد أن يخرج أصحاب الكفر، أصحاب الرأي. هو الآن نتكلم في المسألة كلها، من المخالف فيها في كل أحوالها؟ الأحناف. فهو يقول لك وهذا خلاف لأصحاب الرأي، كأنك تفهم من كلامه هذا: هذا قول أصحاب الحديث المتبعون للأثر، الذين يتبعون الأثر، خلاف أصحاب الرأي. هو يريد أن يؤسس هذا. ولذلك لما يقول عقيدة السلف وأصحاب الحديث، كأن أصحاب الرأي عقيدتهم ليست عقيدة السلف، وهذا صحيح. الإرجاء معروف في أصحاب أهل الكفر، فيهم إرجاء، ومرجئة الفقهاء مشهور عندهم. ولذلك حتى الكلام الذي ورد في بعض الخبراء أصحاب الكوفة من الفقهاء بسبب مسائل الإيمان، في كل ما فيهم بسبب هذه المسائل. فهو الآن يبين لك هذا كلام أصحاب الحديث، فكن على الجادة، فلا يمكن أن تكون على الجادة إلا بذلك.

أصحاب الحديث عقيدتهم عقيدة نقية، وأصحاب الحديث في الفقه استوى واستقام أمرهم. لذلك أنا أقول بالله عليكم تتبعوا استقراءً، كل انحراف فقهي لا بد أن تجده نابعاً عن الانحراف العقدي، كل انحراف فقه لا بد لو تتبعته ستجد انحرافاً عقدياً. الذي لا يستوي أمره في الفقه ولا يتقن المسائل حتى لو تكلم في المسائل حتى الصغيرة، تجد الانحرافات هذه بسبب الانحرافات العقدية، وهي مسألة مشهورة ومعلومة. فلا بد أن تعلم بأن من استقامت عقيدته استقامة فقهه، ومن انحرفت عقيدته انحراف فقهه.

وهذا ظاهر، لو ضربنا الأمثلة على ذلك ما انتهينا حتى من كبار العلماء في الرعي الأول. دعك الآن من المعاصرين، لكن أنا أتكلم على الكبراء فحول من الفقهاء حدث معهم ذلك، فحول من الشافعية، فحول من الحنابلة. ابن عقيل هذا فحل الفحول ومع ذلك عنده انحراف عقدي، ابن الجوزي. أقول دائماً ستجد الانحراف الفقهي بسبب الانحراف العقدي. فهو الآن يؤكد عليك أنك تتقن عندما تعتقد عقيدة أصحاب الحديث، حتى في الفقهيات.

إن كان الإمام لا يترك مساحة للقراءة فاقراً أنت معه، لا تستمع لغير الفاتحة، فإن قرأ بعدها السورة فاقراً الفاتحة حتى تنتهي واسكت. لو لا يوجد مسافة أنك تقرأ وركع بسرعة، العلماء لهم قولان في ذلك:

- القول الأول أن تتركه راکعاً حتى تنتهي من الفاتحة ثم تدركه قائماً. المهم لا يفوتك بركنين، لأن أبو بكرة دخل على الركنين وفي الركن الثالث أدركه ركوعاً. فإن غلب على ظنك وأنت تستتم القراءة أنه لا يفوتك بركنين فلك ذلك.

- وقول آخر هو قول الأئمة الأربعة، قالوا يركع لأنه من باب أولى يدرك ذلك في حديث أبي بكر، بأنه من أدرك الركوع فقد أدرك ركعة. فمثلاً مثل أنه جاء راکعاً، لأنه ما عنده مساحة للقراءة، فإن لم يكن فإذاً هو في حكم من جاء فوجد الإمام راکعاً.

وإن كان الأول هو الأرجح.

سنة من الصحابة قالوا بالمشي خلف الصف، وهذا ضابط المعيار عندنا لما نرى المسألة فيها اشتباك يفض النزاع الصحابة السلف الصالح. فكل نزاع فضه هناك قديماً، ليس هنا. الذين أشرقت عليهم شمس النبوة، وزكاهم الله من فوق سبع سماوات، وكانوا أعمق الناس علماً وأقل الناس تكلفاً وأحسن الناس خلقاً وأزهد الناس في الدنيا وأرضى الناس لله وأرجى الناس لنصرة دين الله، لذلك حمّلهم الله فوق أكتافهم نصرة الدين.

ثم تكلم عن الطمأنينة، فالطمأنينة ركن من أركان الصلاة. المسيء لصلاته صلى ولم يطمئن، فلما قال: السلام عليك يا رسول، قال: عليك السلام، ثم قال: **ارجع فصلّ فإنك لم تصلي**، لم يأت بركن الطمأنينة. فالطمأنينة ركن من أركان الصلاة، قال له: ارجع، في المرة الثانية: ارجع، الثالثة: ارجع. قال: **اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً.** فهذه دلالتها واضحة جداً على أن الطمأنينة في الصلاة بأنها ركن من أركان الصلاة.

قال: ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمر المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والسعي في الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتقاء سوء عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر.

قال: ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه. ويتقون الجدل في الله، والخصومات فيه. ويتجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات. ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان رسول الله ﷺ يقول فيهم. ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين. ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا

يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم؛ ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت. وفيه أنزل الله ﷻ قوله: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) [الأنعام:68].

أصحاب الحديث هم أرقى الناس منزلةً، وهم أعظم الناس اتباعاً. هم الذين يعلمون أن الامتثال للنبي ﷺ صار شعاراً لأصحاب الحديث، وصارت سمة راقية لهؤلاء. يعملون بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) [المزمل:1-2]، حديث جبريل عليه السلام أه قال للنبي الأمين ﷺ: واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وكان النبي ﷺ يقول لعبد الله بن عمرو ابن العاص: يا عبد الله! لا تكون مثل فلان، كان يقوم من الليل ثم تركه، ولأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّت. وقال عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بعدما رأى الرؤيا: لنعم الرجل هو لو كان له من الليل، فما كان ينام من الليل إلا قليلاً.

فقيام الليل هو أعظم الطاعات على الإطلاق، كما قال علماؤنا: أعظم النوافل على الإطلاق الوتر. وفيها قيام الليل، لأن النبي ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة، وفي رواية ابن عباس ثلاث عشرة ركعة بالوتر. وكان يصلي خمساً، ويصلي سبعاً، ويصلي تسعاً. يصلي خمساً بتشهد واحد، ويصلي سبعاً بتشهد واحد وتشهدين (يعني تارة هكذا وتارة هكذا)، ويصلي تسعاً بتشهدين (يجلس في الثامنة وفي التاسعة). فقيام الليل من أفضل الطاعات ما تركه النبي ﷺ سراً ولا حضراً. لذلك اختلف العلماء؛ ليلة المزدلفة هل أقام الليل أم لا؟ أوتر أم لا؟ اختلاف عريض، لكن كان دأب النبي ﷺ وغالب حاله أنه ما ترك القيام سراً ولا حضراً. لا سيما وأن هذا فيه مناجاة الله جلّ في علاه، وفيه الوقت المبارك وهو وقت نزول الله جلّ في علاه. ولذلك أنت ترى قيام الليل في رمضان هو أعظم النوافل، قال النبي ﷺ: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه.

قال: وإفشاء السلام وإطعام الطعام. لما دخل النبي ﷺ في المدينة، كما قال عبد الله بن سلام: لما نظرت إلى وجه النبي ﷺ علمت بأن وجهه ليس بوجه كذاب. أول ما قال، قال: أيها الناس أطعموا الطعام وأفشوا السلام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. وهذه من أفضل الطاعات؛ إفشاء السلام، لأنها تنشر الود والوئام والمحبة، وتقوي أواصر المحبة. وهي مطلوبة جداً لأن بها يكون التآلف والتوافق وأيضاً التآخي، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) [الصف:2-4]، كونوا عباد الله إخواناً.

فالسلم فيه أنه يقول أنت سلمت ومن شري، وأنا أسلم منك ومن شرك. والسلم اسم من أسماء الله جلّ في علاه، سلم من كل نقصٍ وعيب، وسلم عباده من كل نقصٍ وعيب وضرٍ وشر. فإذا إفشاء السلام سنة، ولذلك النبي ﷺ يقول: إن من علامات الساعة في آخر الزمان السلم على من تعرف فقط. والعجيب بأن ابن مسعود كان يصلي وكان راکعاً وممر ثلاثة أمامه، فمرّ الرجل وقال: السلم عليك يا ابن مسعود، ومن خلفه لم يسلم. كاد ابن مسعود يخرج من الصلاة يقول له: صدق رسول الله فيما تقول. لأن في آخر الزمان السلم على من تعرف، ولذلك النبي ﷺ لما تكلم على السنة قال: أن تسلم على من تعرف ومن لا تعرف.

إفشاء السلام وهذه علامة المسلمين، لذلك الفرق بيننا وبين أهل الكتاب أنك لا تبدأ أهل الكتاب بالسلم، علامة المسلم للمسلم أنه يبدأ بالسلم، وخيرهم من بدأ بالسلم. لذلك أوجب الله على المكلف الذي يلتقي عليه السلام أن يرد السلام. فلذلك قال العلماء رد السلام واجب، وإن كان فرض كفاية لكن واجب على الفرد أن يرد السلام أن يبر القسم.

وإطعام الطعام؛ الجود والكرم. النبي ﷺ كما قال ابن عباس وهو يصفه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يدارسه جبريل القراءن، هذه صدقة

اسمها صدقة العلم. وأيضاً النبي ﷺ لما جاءه الرجل يسئله فأعطاه غنماً بين جبلين، قال: أيها الناس أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وإطعام الطعام أيضاً فيه من نشر الود والمحبة والوئام، وفيه ما فيه من سد الخلة، وأيضاً فيه ما فيه من قضاء الحاجات. لذلك كان أبو موسى الأشعري إذا ذبح أو طبخ يزيد في المرق، قال: هذه وصية رسول الله ﷺ، نتعهد بذلك الجيران. فإطعام الطعام أيضاً سمة من سمات أهل الحديث، وما وراءها هو أن أصحاب الحديث هم أكثر من الناس جوداً وعطاءً، لأنهم يعلمون بحديث النبي ﷺ قال: ثلاثة أقسم عليهن: ما نقص مالٌ من صدقة (من هذه الثلاث). وملكان كل صباحٍ ومساءً كما في الصحيحين- يقولان: اللهم أعطني منفقاً خلفاً وأعطني ممسكاً تلفاً. وأنهم أيضاً في ذلك أنهم يتعففون، ينظرون للحلال ويتركون الحرام، بل يتورعون من الحرام. هذا فعل أصحاب الحديث، يتعففون بالمنكح والمأكول والمشرب. (اللهم اغفر لنا، اغفر لنا، اللهم اغفر لنا). لم؟ لأن عندهم الأثر، يعلمون.

ابن عمر لما غاب عنه الأثر كاد يقع في الحرام، حتى ضربه على كتفه زيد بن ثابت؛ ابن عمر اشترى زيتاً، وجاءه في وقت الشراء قبل نقل السلعة رجلاً فأربحه فيه، قال: أبيعك هذا. فضرب عليه زيد بن ثابت، قال: فضربني على كتفي، فنظرت، فإذا زيد قال: أما علمت أن النبي ﷺ قد نهى عن ذلك؟ ثم قال له: قد قال النبي ﷺ: من اشترى شيئاً فلا يبيعه، في رواية: من اشترى طعاماً فلا يبيعه حتى يقبضه. ما دمت في نفس المحل فلم تكن قابضاً، لأن القبض تمام الملك. قال: حتى يقبضه، في رواية: حتى ينقله، حتى يحوزه. فقال: لا تفعل، فما فعل. فالذي يغيب عنه الأثر ممكن يقع في الحرام.

لذلك النبي ﷺ يقول: يا معشر التجار! إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً، قال: إلا من صدق وبر. ولا يكون صادقاً باراً إلا بالعلم، لذلك كان عمر بن الخطاب يدخل الأسواق ومعه العصا فيضرب، ويقول: تعلمت فقه البيع؟! يقول: لا، يقول له: تقع في الربا لا محالة. وعندي طالب يقول: إن لم يتعلم التاجر فقه البيوع يقع في الربا لا محالة. عندنا التجار ما

شاء الله ولا قوة إلا بالله جميعاً، وأنا أرى الوسط الملتزم نفسه وقع الربا، غفر الله لنا ولهم. بسبب الجهل، فهو إما أن يتعلم وإما أن يستأجر عالماً، أو يجد عالماً متبرعاً فلا يخطو خطوة إلا بسؤال.

أعلم رجل فتح شركة برمجة، وطبعاً هي مسألة تجارة أيضاً، كان لا يعقد مجلس الإدارة إلا أن يسأل. سواء مجلس الإدارة على مشروع معين، هل يجوز أو لا يجوز، ما الأمور التي تجعل العقد فيه ما فيه من الخلل أو الشروط التي يمكن أن تفسد العقد، ولا يقدم عليه إلا بذلك. أما أن يقع وبعد ذلك يسأل، هذا عند الله ليس معذوراً في أنه لم يسأل. سيسأل أنه لم يسأل، وإن كان الجهل له عذر، لكن هو سيسأل أنه لم يسأل.

وأيضاً يقول: **وهم يتحابون في الدين**. وهذه أهم شيء، أن العلاقة بينهما الدين، فقط المحبة في الله لأنها أوثق عرى الإيمان. إذاً هو لا يحبك لأنك موافق، ولا يبغضك لأنك مخالف. وهذه البدعة الجديدة التي نعيشها الآن، البدعة البوشية، البدعة التي يقولون فيها من وافقنا فهو معنا ومن خالفنا فهو علينا، هذه بدعة تفرقة في الأمة. ثم مع ذلك الذي يبين لهم أن هذه بدعة، ويضع يده على العطب يقولون ساء أدبه، فاختلف، فسب المشايخ. هم لا يريدون دين، لم؟ لأننا نقول لهم هذا عطب. إن أنت أصلاً يكون محل القبول أو الرد، الموافقة أو المخالفة، ليست هذه ديانة.

ما كان النبي ﷺ كذلك، لو كان كذلك لكان أولى الناس بالطرد من مجلس الشورى هو عمر بن الخطاب. لو كان الأمر على هذا التطبيق من السلف (على قاعدة من وافقنا فهو معنا ومن خالفنا فهو علينا) كان أولى الناس بالطرد هو عمر بن الخطاب، لأنه ما كان يترك شاردة ولا واردة إلا ويخالف فيها على ما يتبنى، هو خالف النبي ﷺ في أشياء. النبي ﷺ يصلي على عبد الله بن سلول، يأخذه ويقول: ألم ينهك ربك عن الصلاة؟ قال: **دعني يا عمر، فوالله إن الله**

قد خيرني. ثم بعد ذلك الحق ينزل موافقة لعمر، (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) [التوبة: 84]. هذه ديانة، ليست المسألة من وافقنا فهو معنا ومن خالفنا فهو علينا. لا، الأصل المحبة في الدين.

رجل له معصية وله طاعة، فأنا أحبه لتوحيده وطاعته وإيمانه، وأبغض منه المعصية. وأنظر في الغالب؛ إن كان غالبه المعصية أرجو له المغفرة وأعلم أن هذا على الأقل على فسق، وأدعو له وأدعوه إلى حظيرة الطاعة، وإن كان الغالب الطاعة تغمر هذه في تلك. هذه معاملات أهل السنة، وأهل السنة يرون أن الأواصر الصحيحة التي يُعامل بها: الحب في الله والبغض في الله، لذلك يقول النبي ﷺ: **أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله.** الديانة هي التي تحكم، أما من فعل غير ذلك فالهوى يحكمه مهما برر بتبريرات إبليسية فالهوى يحكمه.

الدين الذي يحكم؛ أحبه لأنه مطيع، أحبه لأنه ينشر السنة، أحبه لأنه يعلم الناس. أبغضه لأنه قد فعل كذا وكذا وكذا معصية، وطبعاً لا أبغضه وأبغض معصيته. لذلك قال: **أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله**، وقد قال ابن عباس: **من أحب الله وأعطى الله وأبغض الله ومنع الله، فإنما تناله ولاية الله بذلك.** أعظم وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، هي أعظم ما يمكن أن تراه من علاقة في المجتمع الإسلامي. لذلك النبي ﷺ كان يقول: **لو كنت متخذاً من البشر خليلاً، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن، وهي أخوة الإسلام ومحبة الإسلام.** لما قال رجل للنبي ﷺ: **إني أحب فلان، قال: أأعلمته؟ قال: لا، قال: أعلمه،** يزيد المحبة، وأشدهم حباً لأخيه أقربهم إلى الله، فالعلاقة هي الدين.

رجل ينشر السنة خالفك فيما تتبنى في فكر. لم تعاديه؟ لم تحاربه؟ لم تقطع الطريق عليه؟ ما إذاً انت تدعو لجماعة، تدعو لشخص، تدعو لراية معينة؟ قال النبي ﷺ: **يا للأنصار، يا**

للمهاجرين، دعوها فإنها منتنة، إذا جاءت لتُفرّق إنها منتنة. وليعلم أهل السنة التفريق بينهم وبين أهل البدع، أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذه التفرقة. ولذلك قال علمائنا وحذيفة وغير حذيفة، قال: **البدعة تُفرّق والسنة تجمع.** لكن قلنا نقول دائماً على أن من دخل خمسة يناقشون في المسألة فخرجوا ستة، فهؤلاء أهل بدعة، هم على بدعة، هذه علامة البدعة. أمّا أن نقول نحن خمسة وقد اختلفنا والخلاف يسع، وكلّ منا في دائرة واحدة، هذا فعل السنة والجماعة.

أمّا أن تعادي من يخالفك في مسألة أنت أصلاً تقول إنها اجتهدية، فإذا قلت إنها اجتهدية فوجب عليك أن تكمل المشوار للآخر، ما دامت اجتهدية إذاً لا عداوة ولا إنكار ويسع الخلاف، والمحبة تكون موجودة. لكن أن تنشئ النشأ وتربي الناس في المخالفة بأنها عداوة أو إساءة أدب أو تعدي، أنت صاحب هوى، ليست هذه على الديانة بحال من الأحوال. فكما قلت لك إن رأيتني عاصياً ادعوني أتوب إلى الله وأسير في دربك، ويمكن أنا في النهاية قول لك خلّني وربّي، لست ربّاً أنت ولكن عليك أن تتصح. وإن وجدتني على طاعة وتحب مني الطاعة، تعضد ذلك وتتعاون معي عليها.

لذلك قلنا إن علامة الجماعة الناجحة: الحب في الله والبغض في الله. وإذا وجدت قطعاً لا يفعل ذلك والمشكلة الكبيرة الآن يطبقونها زوراً، ينظر إليك: حبيبي سيدي وتاج رأسي والقبلات وأحضان حارة كأنك ستحترق من شدة العاطفة ووهج العاطفة التي تراها خرجت عندما يراها. فإذا التفت جبل الجليل يأتي: تعرف هذا؟ هذا يسب المشايخ، هذا يتعدى على المشايخ. من الذي علمكم هذا النفاق؟ من الذي دربكم على الكذب هكذا؟ أنتم تقويض لكل دعوة، أنتم لا يمكن أن تكونوا نبراساً لأحد، ولا نصرة لدعوة أبداً. لكن أنت رأيتني وأنا عاصي، قل أنت عاصي تعال معي، سواء على الملاء أو سواء على الخاص دون الملاء كما قال الإمام الشافعي، خيرٌ وبركة. أنت المهم أن الذي يحركك هو الدين، ليس الذي يحركك وافقنا أو خالفنا. وأنا أريد أفهم، أين المحبة في الله عندما تجد المخالف لك تكذب عليه؟ لم تكذب عليه ماذا تريد؟ ما الذي تصبو إليه بالكذب؟

وأنا كما قلت هل طالب علم موجود ممكن يسيء الأدب مع من علّمه؟ هذا ليس بطالب علم أولاً ولن ينتفع بالعلم، أبداً لن ينتفع بالعلم. أنا والله لمأربٍ آخر أريد أصرح وأنا استشهد بثلاثة أقول لهم الآن تقولوا صدقاً، أنتم درستُم معي كل هذه السنين، وجدتم مني تعدياً على شيخ من المشايخ؟ أو أنا سببت أحداً حتى من طلبة العلم لا شيخاً من المشايخ؟

لذلك نحن نقول أصحاب الحديث خوفهم على إخوانهم أشد ما يكون؛ قلت لكم قبل ذلك وكيع ابن الجراح فحل، الإمام أحمد يقدّمه على الثوري شيخه، وهذا خطأ طبعاً، الثوري يُقدّم عليه. لكن هو كان رجلاً تقياً ورعاً نبيلاً، كان عابداً، كان محدّثاً حافظاً ثبتاً متقناً. أخطأ في حديث، وكان بينه وبين ابن عيينة إحن، وابن عيينة كما تعرفون- قال فيه الإمام الشافعي: **لولا ابن عيينة ومالك لضاع علم أهل الحجاز**. إحن بينه وبين ابن عيينة، وهما من أصحاب الحديث. ابتلي وكيع في مكة، وأمر والي مكة بقطع رقبته لمسألة أو لحديثٍ تكلم فيه (الأفضل لنا ألا نتكلم في هذه المسألة، لكن نبيّن أنه في بلاء وقد أفتى بقطع رقبته). وكيع قال: دار الزمان وجاء الوقت الذي نحتاج فيه إلى ابن عيينة.

ابن عيينة قالوا له: وكيع يرسل إليك، والي المدينة أمر بقطع رقبته. فذهب ابن عيينة سريعاً إليه، وانظر ما فعل ابن عيينة لتعلم كيف دفاع أهل الحديث عن أهل الحديث. فقال ابن عيينة كلاماً من ذهب، ذهب إلى الوالي، قال: ولم تفعل؟ ما حدّث به وكيع حديث قد رُوينا. وجاهد ابن عيينة ولأنه محدّث أهل مكة ولأنه الوتد أمامهم، قال: هذا حديثٌ قد رُوينا. والحق أنه لم يروي هذا الحديث، طبعاً هو يقول هذا حديث من الأحاديث التي أحفظها، فالتعريض موجود فيفهمها السامع أن هذا الحديث الذي ذكره وكيع هو عندنا قد رُوينا. فلما قال له ذلك، سمع والي مكة قال: رُوينا! ابن عيينة يقول بذلك فأطلق سراحه؟

الإشكال بعد ما أطلق سراحه، عَلمَ بحديث جابر بأنه قال بعد ثلاث سنوات وفتح القبر على أبيه فوجده كما هو (يعني لأن المسألة خاصة بهذا)، قال: لو علمتم حديث جابر لقطعت رقبتَه قبل أن يأتي ابن عيينة. ثم بعث إلى المدينة، قال: أنا أطلقت سراح وكيع بن الجراح، وسيمر عليكم من طرق المدينة، فإن مر فاقطعوا رقبتَه. ابن عيينة عَلمَ بذلك فبعث الرسل فقالوا له اجعل وكيعاً يحيد بالطريق إلى العراق ولا يذهب للمدينة. فعاد وأنجاه الله جلَّ وعلا، لكن أنجاه بابن عيينة.

محمد بن حسن الشيباني -راوي الموطأ-، لمّا وقع الشافعي في الضيق الذي شفع له: أبو يوسف ومحمد حسن الشيباني. لمّا قال لهارون الرشيد: تعلم من هذا؟ هذا الشافعي، هذا وعاء وكنيف ملئ علماً. وكانت شفاعته سبباً في إخراج ابن عيينة. انظر أهل السنة ماذا يفعلون مع بعض؟ الآن قامت الضربة قاصمة على السنة وعلى أهل السنة، وما زال أهل السنة يضرب بعضهم بعض. لذلك نحن نتحقق فينا نبوءة النبي ﷺ عندما قال: **ودعوت ربي ألا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، يستبيح بيضتهم.** قال: **الله جلَّ وعلا قِيلَ لكن بشرط، قال: حتى يستبيح بعضهم بيضة بعض، فيسلط الله عليهم عدواً من غيرهم.** هذا هو، استباح بعضهم بيضة بعض، فيسلط عليهم عدوٌ من غيرهم. هذا أصل أصيل، هذه سنة كونية.

لذلك الإمام شعبة كان يتكلم في راوي عالم نبيل هو خالد الحذاء، وخالد الحذاء ثقة ثبت، لم يقولوا خالد الحذاء؟ إمّا أنه كان يجلس بجانب صانع الأحذية أو أنه يقول هذا حذو هذا حذو هذا، فقالوا خالد الحذاء، لهم عجب في الألقان التي يلقبون بها. فخالد الحذاء كان ثبّناً، فدخل عليه حمّاد بن زيد ومعه راوٍ آخر، فقال لشعبة: أجننت؟ أتتكلم في خالد الحذاء؟ فرجع شعبة عن (**)، واستفاد الناس من علم من خالد الحذاء. هذا فعل أهل السنة والجماعة، والذي يخالف ذلك هو من أهل البدع والضلالة.

وأنت لا بد أن تعلم من خرج على أهل السنة هم الخوارج، فالذي يشنّع بأهل العلم ويشنّع بطلبة العلم من الخوارج. أعظمهم تشنيعاً من جاء للنبي ﷺ وقال: اعدل فإن هذه قسمة لا يراد بها وجه الله، هذا فعل خوارج. ابن عباس وهو خير التابعين على الإطلاق، ابن عم رسول الله، حبر هذه الأمة، ترجمان القرآن. ولمّا جاء قام القائم فقال: أيها الناس لا تسمعوا لهذا، هذا وأمثاله الذين أنزل الله فيهم إنهم قومٌ خصمون. ابن عباس يقول فيه ذلك؟! هذا فعل الخوارج، الطعن في أهل السنة فعل الخوارج. فيكون المحبة في الله هو أصل أصيل لأهل الحديث وأهل السنة والجماعة.

وأيضاً من علاماتهم أنهم ييغضون أهل البدع. يحبون أهل السنة وييغضون أهل البدع، لأنه لا يجتمعان، السنة والبدعة لا يجتمعان بحال من الأحوال. مفارقة تامة، وليختلن أناس من بين يدي، فأقول: ربي، أصيحابي أصيحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي، بعداً بعداً لمن بدّل بعدي. ولذلك كان من دأبهم ومن حسن فعالهم أنهم لا يسمعون لأهل البدع، ولا يعطون آذانهم لأهل البدع، بل يفرون منهم كما قال أحمد: كان إذا رأى رجل من أهل البدعة استدار وذهب من طريقٍ آخر. وكان أحدهم إذا جلس في مجلسٍ فيه رجل من البدعة تكلم يضع اصبعه في أذنيه، ولمّا جاء رجل الحسن البصري، قال له: يا هذا أريد، قال: لا تتكلم بكلمة. قال: يا هذا إني، قال: لا تقل إني. قال: أمّا أنا فقد علمت أين ديني، أنا على اطمئنان من ديني، وإن كنت في شكٍ من دينك فاذهب فابحث عنه في مكانٍ آخر. ولمّا جاء الآخر لمحمد بن سيرين قال: كلمة؟! قال: ولا نصف كلمة. لعل هذه الكلمة يكون فيها الفتنة، فيفتن بها، فتدخل في قلبه، فتشوش عليه وتورق عليه كل ما هو عنده من سنة.

لذلك خطر أهل البدعة خطرٌ عظيم، ولأن الشياطين تزين البدع. لذلك قال الإمام الثوري: البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، لأن صاحب البدعة يؤصّل لها، ويدافع عنها وينشرها ويحارب لها ويستجلب الناس لها. فالبدعة أحب إلى الشيطان من هذا الباب، لأنه لا

يرى أنه مبتدع فيرجع، ويبقى محارباً لأهل السنة. ولذلك ستجد أن المصنّف يقول إن من أهم علامات أهل البدع بغضهم لأهل السنة. اللهم لا تجعلنا كذلك، اللهم إننا عصاة ونعترف بالمعصية ونستغفرك عليها، اللهم اجعلنا نتوب ونؤوب، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم.

قال: وعلامات البدع على أهلها ظاهرةٌ بادية، انظر ما أجلى الأمثلة التي يمكن أن تضرب في هذا، من علامات أهل البدع الصدّ عن مجالس العلم. هذه والله المفروض نحفرها في صدورنا وتكتب في السحاب، أن هذه من علامات أهل البدع الصد عن سبيل الله، واتهام المخالف. لكن أنا أقول المثل الرائع الذي يضرب بأنه قال: وعلامات البدع على أهلها ظاهرةٌ بادية، وأظهر الآيات.

قبل أن يقول سأقول أنا مثلاً الدجال، هل هناك أظهر من علامة بين حاجبيه مكتوب بين عينيه كافر؟! هو ابتدع أولاً، وبعد البدعة ذهب فادعى النبوة، ثم ادعى الربوبية. جعل الله علامته ظاهرة باهرة بادرة. قال: أنت الدجال، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة. رآه النبي ماذا يفعل؟ يطوف بالبيت، ثم بعد ذلك يبتدع في دين الله فيصل بالبدعة إلى أن ينتحل النبوة ثم ينتحل الربوبية.

قال: وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية. وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ. لذلك قال السلف: من عادى حمّاد بن سلمة فاتهمه على الدين، وكانوا يختبرون الناس بأمثال هؤلاء. أبو نعيم، جلالة قدره بالتمسك بالسنة والشدة على أهل البدعة، قالوا: كان من أشد الناس على أهل البدعة.

قال: وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية. رحم الله الشافعي، قال: ما من نازلة إلا وفي كتاب الله أحدهم. ما ترك هذا الكتاب شاردة ولا واردة إلا أتى بها.

قال: وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهريّة ومشبهة، اعتقاداً منهم في أخبار الرسول ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير وكلماتهم وحججهم العاطلة بل شبهم الداحضة الباطلة. (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) [محمد:23]، (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [الحج:18].

ممكن تقول الكلام فيما قاله الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال *** وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسوننا *** وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

هذا كلام علماء أهل الكلام الذين رجعوا عن الكلام والبدع.

قال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها *** وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعاً كف حائرٍ *** على ذقنٍ أو قارعاً سن نادم

لذلك لا بد أن يقال لهؤلاء وهؤلاء:

العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة *** بين الرسول وبين رأي فقيه

قال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه. بغض الحديث ورده دلالة على علامات أهل البدع.

قال محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق زنديق، حتى دخل البيت. لما يقول أصحاب الحديث قوم سوء. هم ماذا يحملون؟ أصحاب الحديث شرفهم بأنهم يمشون حملهم لحديث النبي، يقول قوم سوء؟! فهذا لازمه أنه يتكلم عن الحديث. لذلك قال: هذا زنديق زنديق، وهذا من إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل.

وقال أبو نصر بن سلام الفقيه: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده.

وقال الإمام رحمه الله:- وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق ابن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلاً، فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له: قم يا كافر، فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبداً، ثم التفت إلينا وقال: ما قلت لأحد ما تدخل داري إلا هذا. قوله: قم يا كافر، تأوّل على تأويلين: أنه قال دعنا من حدثنا ازدراءً (استغفر الله) لحديث النبي ﷺ أو يقصد كفر النعمة بهذا، وهو الآخر. وإلا الجويني يرى رد حديث متفق عليه البخاري ومسلم يكفر به.

قال: قرئ على عبد الرحمن بن حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي يقول -عنى به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي- يقول: علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة

الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابئة وناصبة. قلت أنا: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسمٌ واحدٌ وهو أصحاب الحديث.

اللهم شرفنا بالالتقاء مع هؤلاء، اللهم شرفنا بالنسبة لهؤلاء، اللهم شرفنا بالنسبة للسنة والحديث، اللهم شرفنا واجعلنا طلاباً للحديث وللأثر. ونعوذ بالله أن نتعصب لشخصٍ ولا لشيخٍ ولا لجماعةٍ ولا لطائفةٍ ولا لحزبٍ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله ثم نعوذ بالله، إلا لحزبٍ يريد تجميع المسلمين ويريد نصره الدين ويريد نشر سنة النبي ﷺ الأمين. فهذا نتشرف ونؤمل الخير فيه، ونعلم أنه يجمع الناس على الخير وعلى السنة، ويريد السنة وينشر السنة وينصر السنة، ولا يعادي أهل السنة بحال من الأحوال. قال ابن تيمية: **من نصب شخصاً غير شخص رسول الله ﷺ يعادي عليه ويوالي عليه فله حظٌ ونصيب من قول الله جلّ في علاه: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) [الأنعام:159].**

قلت أنا: رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقّبوا بها أهل السنة -ولا يلحقهم شيئاً منها فضلاً من الله ومنّة- سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه. فسمّاه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً؛ وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفىً نبياً.

إذاً شابه أهل البدع أهل الكفر، فلم خصلة من خصال أهل الكفر وهو التشنيع بأهل السنة والازدراء من قبل أهل السنة، والوقوع في أعراض أهل السنة. فهذه دلالة وعلامة على النفاق، وأنهم فيهم شبه كبير من المشركين وخصال من خصال المشركين.

وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفىً نبياً، قال الله ﷻ: **(انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) [الإسراء:48].** وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية؛ قد وفقهم الله ﷻ

لاتتباع كتابه ووحيه وخطابه، واتباع أقرب أوليائه، والافتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه، وأكرمهم وأعزهم عليه، وشرح صدورهم لمحبتته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته. ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ: **المرء مع من أحب.**

اللهم إنا نُشهدك بحب نبيك وحب صحابة نبيك وبالتابعين وتابعي التابعين وبعلماء الأمة وطلبة العلم وأهل السنة، ونُشهدك بحب أهل الكرم والفضل والعبادة، ونستغفرك من الحيد عن طريقهم ومن المعصية ومن التعدي. اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الأعزُّ الأكرم. وإنا نُشهدك ببغض أهل البدع وأهل الحيدة عن السنة وأهل عداوات أهل السنة. ونسأل الله جلَّ في علاه أن يمكِّن للسنة في كل بلاد المسلمين، وأن يجعل هذا البلد أماناً أماناً رخاءً سخاءً وأن ينشر فيه السنة ويعلي فيه كلمة الشريعة، ونسأل الله في عليائه أن يجعلنا جميعاً ممن يُختتم له بالصالحات وبالسنة.

فإذا ختماً للكتاب قال: **علامات أهل السنة**

قال: **وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبُغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار ويدلّون أصحابهم على دار البوار. وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه ﷺ ومنة. حب أهل العلم من أهل الحديث وأصحاب الحديث دين ندين الله به.**

وقال الإمام رحمه الله:- أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ -أسكنه الله وإيانا الجنة-: حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي: حدثنا أحمد بن سلمة: قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك ابن أنس والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشريكاً ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد

الرحمن بن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة. لأن هؤلاء هم رؤوس من أصحاب السنة، هم رؤوس المحدثين، هم رؤوس أصحاب الحديث. لذلك حب هؤلاء دين تدين الله به، لأنك ما تحبهم إلا لحملهم شريعة النبي ﷺ، لسنة النبي ﷺ. فإن كنت صادقاً حقاً أحببته لأنه ينشر السنة، يعادي أهل البدعة، يُعَلِّم السنة، يتعلم السنة. وإن لم يعمل فالف جلاً وعلاً وكيله، لست رباً دعه، خُلِّني وربّي، لست رباً. المهم أنك تراه ظاهراً فعليك أن تحبه وتعامله على الظاهر، طالما يفاضل السنة ويُعَلِّم السنة وينشر السنة فمحبتته صارت لازمة واجبة، وبغضه علامة من علامات البدعة.

قال أحمد بن سلمة رحمه الله:- فألحقت بخطي تحته: ويحيى بن يحيى وأحمد ابن حنبل وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه. فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور، وقالوا: هؤلاء القوم يتعصبون ليحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء! ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل عندي أكبر من سَمَائِهِمْ كُلِّهِمْ.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكرهم قتيبة (المقصود به قتيبة بن سعيد الغداني) رحمه الله- أن من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهدهم يهتدون ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم: محمد بن إدريس الشافعي المطلب، الإمام المقدم والسيد المعظم، العظيم المنّة على أهل الإسلام والسنة، الموفق الملقن الملهم المسدد، الذي عمل في دين الله وسنة رسوله ﷺ من النصر لهما والذب عنهما ما لم يعملهما أحد من علماء عصره ومن بعدهم. طبعاً يفرط في هذا، عالم الدنيا الذي ملأ الدنيا الإمام الشافعي، وحق له أن يفعل ذلك بالكلام عن الإمام الشافعي، لكن ألقت الانتباه إلى أن الغلو أيضاً لا يُقبل حتى ولو كان في مثل الإمام الشافعي. كان يلقب بناصر الحديث، ناصر السنة.

ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي -رحمه الله-، كسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتميمي؛ ومن بعدهم كالليث بن سعد المصري والأوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وحمّاد ابن سلمة وحمّاد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب السختياني وابن عون ونظرانهم. طبعاً هذا يدل على أنه لم يرتب ترتيباً زمنياً، فلم ندري ما هذا الترتيب، لكن عامة الكل أهل الفضل والكل من أهل السنة والجماعة وجبت محبتهم.

قال: ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون الواسطي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني وجريّر ابن عبد الحميد الضبي؛ ومن بعدهم مثل: محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي وابنه ومحمد بن مسلم بن وارة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي وأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجزي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الذي كان يدعى إمام الأئمة. الأئمة أغلبهم عجب، كل أئمة الحديث وفرسان الميدان أغلبهم عجب، فضل الله يؤتيه من يشاء. الكتب الستة، المتنافس لنا في الصعداء من؟ مسلم، والمشكلة لم يعيش بين العرب، هو أصله فقط أنه من العرب لكنه كان في نيسابور.

قال: ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الذي كان يدعى إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته. ظهرت هنا المذهبية، كل شافعي يقف عنده ويعطيه زيادة، هم يستحقون. و"العمري"، هذه قسم ومعناها ولحياتي، لكن العلماء يقولون هذه من اللغة التي درجت عليها ألسنة العرب فلا يُقصد معناها. فلما أهمل معناها لم تأخذ طبعها وحكمها، كقول النبي ﷺ: **عَفْرَى حَلْفَى**، وهذا دعاء عليها وليس كذلك. لما قال: **تربت يداك**، التصقت من الفقر بالتراب، وهذا ليس مقصوداً.

قال: وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي، والحسن بن سفيان الفسوي، وجدي من قبل أبويّ- أبي سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي، وأبو حاتم عدي بن حمدويه الصابوني،

وولديه سيفي السنة أبي عبد الله الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة الذين المتمسكين بها ناصرين لها داعين إليها دالّين عليها.

قال: فإن وفور أهل الباطل وقلة عدد أهل الحق من علامات اقتراب يوم الحق، لأن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة على أحدٍ يقول الله الله. قال ﷺ: شرار الخلق عند الله، قال: الذين تقوم عليهم الساعة والذين يتخذون القبور مساجد.

قال: ولا يغرنّ إخواني -حفظهم الله- كثرة أهل البدع ووفور عددهم، [فإن وفور أهل الباطل وقلة عدد أهل الحق من علامات اقتراب يوم الحق،] فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل. والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة. هو حديث النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل.

قال ﷺ: إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، وقال ﷺ: لا تقوم الساعة وفي الأرض أحدٌ يقول: الله. كأنه بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، وطبعاً هي أصلاً من السنة البقاء في المدينة أو العيش في المدينة والموت في المدينة، كما قال النبي ﷺ: والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون. وقال: من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليمت في المدينة، فإني شهيدٌ وشفيعٌ لمن مات في المدينة.

قال: ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله ﷺ وعمل بها واستقام عليها ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: له أجر خمسين، فقل: خمسين منهم؟ قال: بل منكم. وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته

عند فساد أمته. وهذه كما قال النبي ﷺ: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، في رواية قالوا: من يا رسول الله؟ قال: الذين يُصِحّون من سنتي ما أفسد الناس. ولذلك قال النبي ﷺ: من سنَّ سنة حسنة، وفي رواية قال: من أحيا سنة، فله أجرها وأجر من عمل بها. وأفضل الناس من يحيي سنة النبي ﷺ، فمن أحيّاها فكأنما حملها وأداها على ما سمعها، ويكون من أرقى الناس منزلةً، وهو أعظم الناس نزولاً تحت لواء النبي ﷺ، وهو أسعد الناس بشفاعته النبي ﷺ.

وقال الإمام الزهري رحمه الله:- تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة. وهذا ورد عن كثير من العلماء؛ الشافعي يقول بأن طلب العلم أفضل من قيام الليل، مع أن أفضل النوافل على الإطلاق هي قيام الليل، وقال طلب العلم أفضل من ذلك. لذلك ابن أبي حاتم يقول: كان له من الليل (يقصد قيام)، فإذا جاءه أبو زرعة ترك كل شيء ودارسه، يعطيه الإسناد، يعطيه المتن. فطلب العلم أفضل العبادات على الإطلاق، لذلك الإمام أحمد يقول: لا أرى مثل طلب العلم لمن صحّت نيّته، لمن خلّصت لله نيّته. أيضاً أبو هريرة قال ذلك، قال: مجلس واحد من مجالس زيد بن ثابت رضي الله عنه أعلم آية من كتاب الله خير لي من جهاد سبعين سنة.

قال: وكان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدّثه بحديث أبي هريرة: "احتج آدم وموسى"، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف؟ قال: فما زال يقول حتى سكت عنه. وهذا دلالة على أن من علامات أهل السنة تعظيم حديث النبي ﷺ، (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب:36]. لما خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، قالت: أنا أتزوج زيدا؟ لا والله. فأنزل الله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب:36]، قالت: سمعت وأطعت. فاطمة بنت قيس لما قالت: أتزوج أنا زيدا؟ قال: ما بُدّ تزوجي زيدا. قلت: ما بُدّ، فاستننت بسنة النبي ﷺ، قالت: فاغتبطت به.

ولمّا قال أبو هريرة في الوضوء مما مست النار، قال ابن عباس: انظر ما تقول يا أبا هريرة! أنتوضأ بعد ذلك من الحميم؟ قال: يا ابن أخي، إذا حدثتك بحديث النبي ﷺ فلا تضرب له الأمثال. وعمران بن حصين لمّا قال: أن النبي ﷺ قال: **إن الحياء لا تأتي إلا بخير**، قال كعب الأحبار: نعم، الحياء خيرٌ والحياء يأتي بكذا، فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول من الحكم والحكمة. وأيضاً كثيراً من الصحابة كانوا يقولون من عارض كلام النبي ﷺ بالعقل يقول: **لا حدثتك ما حييت**.

بل أبو ذر كان مع معاوية في الشام، ولمّا باعه معاوية سلسلة فيها ذهب وفيها غيره، قال: النبي ﷺ نهى عن ذلك، قال: قد علمنا ما تقول، قال: أحدثك بحديث النبي ﷺ، تقول علمنا ما تقول!! ثم قال: والله لا أسألك بمكان، فرجع إلى عمر بن الخطاب فقال: مالك وأخيك؟! قال: أقول له قال رسول الله ﷺ يقول علمنا. فبعث إليه قال: لا إمرة لك على أبي ذر، واسمع له وأطع. قال له ذلك لأنه العالم بسنة النبي ﷺ، وهذا فيه تعظيم سنة النبي. لا تعجب، فإن عمر نفسه ﷺ قام وطاف بالبيت ثم نظر إلى الحجر قال: **والذي نفسي بيده، أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر. ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلُك ما قبلُك**.

قال: هكذا ينبغي للمرء أن يعظّم أخبار رسول الله ﷺ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق؛ وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله. مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف؟ على طريق الإنكار والاستبعاد له، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ.

هذا كما ورد تعظيم معروف عن الصحابة جميعاً؛ سعيد بن المسيب كان مريضاً جداً وكان مستلقياً، فحدثوه بحديث، فأراد أن يستقيم لهم الحديث فقام، فقالوا: إنك مريض اجلس، قال: **حديث النبي ﷺ أرفع من أن أتكلّم به مستلقياً**. وكان الإمام مالك لا يحدث قط إلا بعدما يغتسل ويتطيب والبخور ينتشر في جميع المكان الذي يجلس فيه الإمام مالك، وكان يمشي حافياً

ويُسأل عن ذلك يقول: تعظيماً لصاحب هذا القبر. والإمام الشافعي لما قالوا له: تقول بهذا؟! يعني بهذا الحديث. قال: يا هذا أرأيتي في كنيسة؟ أرأيت في وسطي زئارة؟ يقول: قال رسول الله، فكيف لا أقول بما يقول رسول الله ﷺ؟ كان تعظيماً عظيماً لسنة النبي ﷺ، فلما عظموها عظم الله قدرهم في قلوب الناس.

ثم ختم الإمام رحمه الله- فقال: جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة محياهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلّة والآراء المضمحلّة والأسواء المذلة، فضلاً منه ومنّة.

آخره والحمد لله وحده.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قد تمت الكتابة في شهر رجب، ١٧ منه، في سنة ١٢٩٧هـ.

الحمد لله والشكر لله، فالحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. الحمد لله رب العالمين، أتم الله علينا وعليكم النعمة، نسأل الله جلّ في علاه أن ييسر لنا. وهذا كما قلت سوق، والسوق يربح فيه العاقل، والمغبون يخسر كثيراً. نسأل الله أن يُلمنا وإياكم ويُثبّت لنا ولكم الخير ما حيينا أبداً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خير الجزاء، أسعدكم الله.